هو العزيز

معرفة الإمام (١٥)

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ
حَوْلَ الإمامةِ و الولايَةِ عُمُوماً؛
و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالبٍ و الأَئِمّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين خصوصاً
دُروسٌ إستِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذةٌ من القرءانِ الكريم و رواياتٌ مأْثورةٌ عن الخاصّةِ و العامّةِ ؛ و أَبحاثٌ حَلّيّةٌ و نَقدِيّةٌ حَوْلَ الولِايَةِ
لمؤلّفه الحقير:
السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ عُفِيَعنه

الشيعة هم روّاد التصنيف والتدوين في النهضة الإسلاميّة

القسم ١
القسم ٢
القسم ٣
القسم ٤
القسم ٥
القسم ٦
القسم ٧
القسم ٨
القسم ٩

الدرس الحادي عشر بعد المائتين إلى الخامس والعشرين بعد المائتين: الشيعة هم روّاد التصنيف والتدوين في النهضة الإسلاميّة

بِسْمِ اللَهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللَهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهِرِينَ

ولَعْنَةُ اللَهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّينِ ولَا حَولَ ولَا قُوّةَ إلّا بِاللَهِ العَلِيّ العَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

بِسْمِ اللَهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . (١)

تحدّثنا بإيجاز عن هذه الآيات المباركة في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا ، الدرس ٢٠١ ، نقلاً عن تفسير «الميزان» لأُستاذنا الكبير الفقيد العلّامة الطباطبائيّ تغمّده الله في رضوانه فلا حاجة بنا هنا إلى الشرح والتفصيل فيها . ونورد فيما يأتي عدداً من الأحاديث والروايات في فضيلة الكتابة وأهمّيّتها وعظمتها استهداءً بكتاب «معادن الجواهر ونزهة الخواطر» للمرحوم آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ . يقول المرحوم الأمين :

وقد ورد في الحثّ على الكتابة والوعد بالثواب الجزيل على فعلها كثير من الآثار . فمنه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : قَيّدُوا العِلْمَ بِالكِتَابِ . (٢) وروي أنّ رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ ! وَأَوْمَى بِيَدِهِ ، أَيْ : خُطّ !

وفي الحديث : لَا تُفَارِقِ المِحْبَرَةَ ! فَإنّ الخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ . مَنْ مَاتَ وَمِيرَاثُهُ المَحَابِرُ وَالأَقْلَامُ دَخَلَ الجَنّةَ .

وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه دعا بنيه وبني أخيه فقال : إنّكُمْ صِغَارُ قَوْمٍ وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ ، فَتَعَلّمُوا العِلْمَ ! فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَنْ يَحْفَظَهُ فَلْيَكْتُبْهُ وَلْيَضَعْهُ فِي بَيْتِهِ .

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : اكْتُبُوا ! فإنّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتّى تَكْتُبُوا . وقال عليه السلام : القَلْبُ يَتّكِلُ عَلَى الكِتَابَةِ .

وقال عليه السلام : احْفَظُوا كُتُبَكُمْ فَإنّكُمْ سَتَحْتَاجُونَ إلَيْهَا .

وقال عليه السلام للمفضّل بن عمر : اكْتُبْ وَبُثّ عِلْمَكَ فِي إخْوَانِكَ ، فَإنْ مُتّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ ، فَإنّهُ يَأْتِي عَلَى النّاسِ زَمَانٌ هَرْجٌ لَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إلّا بِكُتُبِهِمْ !

وذكر المرحوم الأمين هنا معنى الهرج ، فقال : الهرج بسكون الراء ، مصدر . يقال : هَرَجَ النّاسُ (من باب ضرب) هَرْجاً : إذا وقعوا في فتنة واختلاط وقتل . وأصل الهرج الكثرة في الشيء والاتّساع . والهرج : الفتنة في آخر الزمان . وقال ابن قيس الرّقَيّات في فتنة ابن الزبير :

لَيْتَ شِعْرِي أَأَوّلُ الهَرْجِ هَذَا

أَمْ زَمَانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرْجِ ؟!

والمراد بالكتب في الحديثين الآخرين ، الأحاديث المرويّة عنهم عليهم السلام . وقوله عليه السلام : سَتَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ، أي : لفقد من تسألونه من الأئمّة عليهم السلام من جهة شدّة التقيّة أو حصول الغيبة فينحصر أخذكم للأحكام من الكتب .

وكذا قوله عليه السلام : يأتي على الناس زمانٌ هرجٌ ... إلى آخره ، أي : زمان فتنة وقتل وخوف ، فلا يكون لهم مفزع في أخذ الأحكام إلّا كتبهم . وربّما يُستَدَلّ بذلك على حُجّيّة أخبار الثقات .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ المُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ وَتَرَكَ وَرَقَةً وَاحِدَةً عَلَيْهَا عِلْمٌ كَانَتِ الوَرَقَةُ سِتْرَاً فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّارِ ؛ [٣] وَأَعْطَاهُ اللَهُ بِكُلّ حَرْفٍ مدينةً أَوْسَعَ مِنَ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَمَنْ جَلَسَ عِنْدَ العَالِمِ نَادَاهُ المَلِكُ : جَلَسْتَ إِلَى عَبْدِي ، وَعِزّتِي وَجَلَالِي لَأُسْكِنَنّكَ الجَنّةَ مَعَهُ وَلَا أُبَالِي .

وكفاك في هذا قول الصادق عليه السلام :

إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَمَعَ اللَهُ النّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَوُضِعَتِ المَوَازِينُ ، فَيُوزَنُ دِمَاءُ الشّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ العُلَمَاءِ ، فَيُرَجّحُ مِدَادُ العُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشّهَدَاءِ . [٤]

قال شيخنا الشهيد الثاني رضوان الله عليه : وذلك لأنّ مداد العلماء يُنتَفَع به بعد موتهم ودماء الشهداء لا يُنتَفَع بها بعد موتهم .

وأقول : دماء الشهداء بما هي دماء لا نفع لها في حياتهم ولا بعد موتهم . وإنّما فضلها باعتبار ما يترتّب على الجهاد من نصرة الدين وإظهار الحقّ . وهذا يبقى أثره بعد الشهادة غالباً . فالوجه : أنّ ما يترتّب على كتابة العلماء لعلوم الدين من المنافع في حياتهم وبعد موتهم أعظم ممّا يترتّب على الجهاد والقتل في سبيل الله .

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَة ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ .

المراد بالصدقة الوقف في سبيل الله وبالعلم كتب العلم أو ما يشملها . ويشمل العلم الذي تعلّمه غيره منه وانتفع به الناس بعده كما يدلّ عليه بعض الأخبار الآتية .

ومن كلمات الحكماء وعلماء الكتابة ، قالوا :

لَوْ أَنّ فِي الصّنَاعَاتِ صِنَاعَةً مَعْبُودَةً لَكَانَتِ الكِتَابَةُ رَبّاً لِكُلّ صِنَاعَةٍ .

قَيّدُوا العِلْمَ بِالكِتَاب .

العِلْمُ صَيْدٌ وَالكِتَابَةُ قَيْدُهُ .

الخَطّ لِسَانُ اليَدِ .

تَسْوِيدٌ بِخَطّ الكَاتِبِ أَمْلَحُ مِنْ تَوْرِيدٍ بِخَدّ الكَاعِبِ .

كَمْ مِنْ مَآثِرَ أَثْبَتَتْهَا الأَقْلَامُ فَلَمْ تَطْمَعْ فِي دُرُوسِهَا الأَيّامُ .

مَنْ خَدَمَ المَحَابِرَ خَدَمَتْهُ المَنَابِرُ .

وقال الشاعر :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الغُرَابِ

وَأَقْلَامٌ كَمُرْهَفَةِ الحِرَابِ

وَقِرْطَاسٌ كَرَقْرَاقِ السّرَابِ

وَأَلْفَاظٌ كَأَيّامِ الشّبَابِ (٥)

وروى الخطيب البغداديّ بسنده المتّصل عن الحارث ، عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : قَيّدُوا العِلْمَ ، قَيّدُوا العِلْمَ ــ مَرّتَيْن !

وكذلك روى بسنده المتّصل الآخر عن حبيب بن جُرَي قال : قال عليّ عليه السلام : قَيّدُوا العِلْمَ بِالكِتَاب .

وروى أيضا بسنده الآخر عن المنذر بن ثعلبة ، عن عليّ عليه السلام قال : مَنْ يَشْتَرِي مِنّي عِلْماً بِدِرْهَمٍ ؟! قال أبو خيثمة : يقول : يَشْتَرِي صَحِيفةً بِدِرْهَمٍ يَكْتُبُ فِيهَا العِلْمَ .

وروى بسنده الآخر أيضاً عن داود بن عبد الجبّار ، عن أبي إسحاق الهمدانيّ ، عن الحارث ، عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : مَنْ يَشْتَرِي مِنّي عِلْماً بِدِرْهَمٍ ؟! قَالَ : فَذَهَبْتُ فَاشْتَرَيْتُ صُحُفاً بِدِرْهَمٍ (٦) ثُمّ جِئْتُ بِهَا . (٧)

قال المستشار عبد الحليم الجنديّ : وفي حياة النبيّ أو حياة عليّ ، اقتدت بعليّ شيعته في التدوين . أو قُل : هُدِيَتْ لتنفيذ أمر الرسول .

يقول ابن شهرآشوب : أوّل من صنّف في الإسلام عليّ بن أبي طالب . ثمّ سلمان الفارسيّ ، ثمّ أبو ذرّ . والاثنان شيعة عليّ . (٨)

والسيوطيّ يروي أنّ عليّاً ، والحسن بن عليّ ممّن أباحوا كتابة العلم بين الصحابة وفعلوها .

وألّف أبو رافع مولى الرسول ، وصاحب بيت مال عليّ بالكوفة كتاب «السّنن والأحكام والقضايا» . يقول موسى بن عبد الله بن الحسن : سأل أبي رجل عن التشهّد ، فقال أبي : هات كتاب أبي رافع . فأخرجه فأملاه علينا .

أمّا عليّ بن أبي رافع فكتب كتاباً في فنون الفقه على مذهب أهل البيت ــ أي : آراء عليّ بن أبي طالب ــ وكانوا يعظّمون شأن هذا الكتاب ويحملون شيعتهم عليه .

ومن الشيعة زيد الجهضميّ . حارب مع عليّ وألّف كتاباً يحوي خطبه . ومنهم : ربيعة بن سُمَيع له كتاب في زكاة النعم . ومنهم عبد الله بن الحرّ الفارسيّ ، له لمعة في الحديث جمعها في عهد رسول الله . ومنهم الأصبغ بن نُباتة صاحب عليّ . روى عنه عهده إلى الأشتر النخعيّ ، ووصيّته إلى ابنه محمّد ابن الحنفيّة .

ومنهم : سُليم بن قيس الهلاليّ صاحب أمير المؤمنين ، له كتاب في الإمامة ، وله مكانة عُليا في المذهب من حيث الأُصول . إلى أن قال : ومن قبل الإمام الباقر وجدت عند الإمام زين العابدين الصحيفة المسمّاة «الصحيفة الكاملة» . وعن زين العابدين آلت إلى الشيعة رسائل عدّة منها «رسالة الحقوق» ، ورسالة إلى ابن شهاب الزهريّ . (٩)

وكذلك ألّف عمرو بن أبي المقدام جامعاً في الفقه يرويه عن الإمام زين العابدين . فلمّا صارت الإمامة للصادق ، حضّ على تدوين العلم أيّاً كان موضوعه ، دينيّاً أو دنيويّاً ، فقه عبادات أو معاملات أو علوماً تطبيقيّة . وكان يقول : القَلْبُ يَتّكِلُ عَلَى الكِتَابَةِ .

وكان يملي على تلاميذه . ويجيئهم بالدواة والقرطاس . ويقول : اكْتُبُوا فَإنّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتّى تَكْتُبُوا .

ويلتمس سفيان الثوريّ إليه أن يحدّثه بحديث خطبة الرسول بمسجد الخيف . ويرجوه ليأمر له بقرطاس ودواة ليثبته ، فيأمر له ، ثمّ يمليه : بِسْمِ اللَهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ . خُطْبَةُ رَسُولِ اللَهِ فِي مَسْجِدِ الخَيْفِ . نَضرّ اللَهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا . وَبَلّغَهَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ !

يَا أَيّهَا النّاسُ ! لِيُبَلّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ ، فَرُبّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ . وَرُبّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

وكتب عبد الله الحلبيّ كتاباً عرضه على الصادق فصحّحه واستحسنه . وسنرى حفيده الإمام العسكريّ يعرض عليه يونس بن عبد الرحمن كتاب «يوم وليلة» فيصحّحه ويأمر بالعمل به .

ولمّا غاب المهديّ في النصف الثاني من القرن الثالث أحوجت الغيبة إلى الرجوع للمدوّنات التي تزخر بها خزائن الشيعة ، إذ لم يكن لديهم إمامٌ ظاهر يسألونه . وكثرت الكتابة عندهم في القرن الرابع . (١٠)

قال المرحوم آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» : الصّحِيفَةُ الثّالِثَةُ : فِي أَوّلِ مِنْ صَنّفَ الآثَارَ مِنْ كِبَارِ التّابِعِينَ مِنَ الشّيعَةِ .

صنّف هؤلاء في عصر واحد . لا ندري أيّهم السابق في ذلك . وهم :

عَلِيّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ

صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، وخازن بيت ماله ، وكاتبه .

قال النجاشيّ في كتابه في أسماء الطبقة الأُولى من المصنّفين من أصحابنا عند ذكره : تابعي من خيار الشيعة . كانت له صحبة من أمير المؤمنين ، وكان كاتباً له ، وحفظ كثيراً ، وجمع كتاباً في فنون من الفقه : الوضوء ، والصلاة ، وسائر الأبواب . ثمّ أوصل إسناده إلى روايته . (١١) ولأخيه :

عُبَيْدُ اللَهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ

كاتب أمير المؤمنين عليه السلام ، [له] كتاب «قضايا أمير المؤمنين عليه السلام» ، وَكِتَابُ «تَسْمِيَةُ مَنْ شَهِدَ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْه السّلَامُ الجَمَلَ وَصِفّينَ وَالنّهْرَوَانَ مِنَ الصّحَابَةِ» كما في فهرست الشيخ أبي جعفر الطوسيّ قدّس سرّه .

وفي تقريب ابن حجر كان كاتب عليّ ، وهو ثقة من الثالثة . (١٢)

أَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَةَ المُجَاشِعِيّ

من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام ، وعَمّرَ بعده . روى عنه عهده للأشتر . قال النجاشيّ : وهو كتاب معروف . ووصيّته إلى ابنه محمّد ابن الحنفيّة . وزاد الشيخ أبو جعفر الطوسيّ في «الفهرست» : إنّ له كتاب مقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، رواه عنه الدّوْرِيّ . (١٣)

سُلَيْمُ بْنُ قَيْسٍ الهِلَالِيّ

أبو صادق ، صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، له كتاب جليل عظيم . روى فيه عن عليّ ، وسلمان الفارسيّ ، وأبي ذرّ الغفاريّ ، والمقداد ، وعمّار بن ياسر ، وجماعة من كبار الصحابة .

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله النعمانيّ المتقدّم ذكره في أئمّة التفسير ، في كتابه في الغيبة ، بعد نقل حديث من «كتاب سُليم بن قيس» ، ما نصّه : وليس بين جميع الشيعة ممّن حمل العلم ورواه عن الأئمّة خلاف في أنّ «كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ» أصل من كتب الأُصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت وأقدمها ... إلى أن قال : وهو من الأُصول التي ترجع الشيعة إليها ، وتعوّل عليها ــ انتهى .

ومات سُليم بن قيس في أوّل إمارة الحجّاج بن يوسف بالكوفة .

مِيثَمُ بْنُ يَحْيَى أَبُو صَالِحٍ التّمّار

من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وصاحب سرّه . له كتاب في الحديث جليل . أكثر النقل عنه الشيخ أبو جعفر الطوسيّ ، والشيخ أبو عمرو الكشّيّ ، والطبريّ في «بشارة المصطفى» . مات ميثم بالكوفة . قتله عبيد الله بن زياد على التشيّع . (١٤)

مُحَمّدُ بْنُ قَيْسٍ البَجَلِيّ

له كتاب يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام . ذكره الشيوخ في التابعين من الشيعة ، ورووا كتابه . وأسند الشيخ أبو جعفر الطوسيّ في «الفهرست» عن عبيد بن محمّد بن

قيس ، قال : عرضنا هذا الكتاب على أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام فقال : هذا قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأوّل الكتاب : كَانَ يَقُولُ : إذَا صَلّى قَالَ فِي أَوّلِ الصّلَاةِ ــ إلى آخر الكتاب . (١٥)

يَعْلَى بْنُ مُرّةِ

له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام . والنجاشيّ في «الفهرست» أوصل إسناده إلى رواية النسخة عنه . (١٦)

عُبَيْدُ اللَهِ بْنُ الحُرّ الجُعْفِيّ الكُوفِيّ

التابعيّ ، الشاعر ، الفارس ، الفاتك . له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام . ومات أيّام المختار . ذكره النجاشيّ في الطبقة الأُولى من المصنّفين في الشيعة . (١٧)

رَبِيعَةُ بْنُ سُمَيْعٍ

له كتاب في زكاة النعم . ذكره النجاشيّ في الطبقة الأُولى من الشيعة المصنّفين ، وأنّه من كبار التابعين . (١٨)

الحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَهِ الأَعْوَر الهَمْدَانِيّ

أبو زهير ، صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، له كتاب يروي فيه المسائل التي أخبر بها أميرُ المؤمنين عليه السلام اليهوديّ . يرويها عمرو ابن أبي المقدام ، عن أبي إسحاق السبيعيّ ، عن الحارث الهمدانيّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، كما في فهرست الشيخ أبي جعفر الطوسيّ . مات في خلافة ابن الزبير هذا . (١٩)

وذكر المرحوم السيّد حسن الصدر هذه الموضوعات في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» بنحو أكثر تفصيلاً ، كما أشرنا في الهوامش . (٢٠)

ومن الجدير ذكره أنّ لعليّ بن أبي رافع مقاماً ومنزلة عظيمة في تدوين الفقه عند الشيعة حتّى أنّهم كانوا يعملون بكتابه . وبإيجاز كانوا يحترمونه كرسالة عمليّة من رسائل الفقهاء .

وكان آية الله السيّد حسن الصدر يذكره في مواضع كثيرة كما رأينا . وأورد في الفصل الثالث الخاص بتقدّم الشيعة في علم الفقه ، من كتابه الجليل المشار إليه سلفاً أنّ الصحيفة الأُولى المتعلّقة بأوّل مصنّف ومدوّن ومرتّب للفقه على أبوابه هي لعليّ بن أبي رافع دون غيره .

وقال بعد ترجمته : وجمع كتاباً في فنون الفقه الوضوء والصلاة وسائر الأبواب . تفقّه على أمير المؤمنين عليه السلام ، وجمعه في أيّامه . أوّله (باب الوضوء» : إذَا تَوَضّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِاليَمِينِ قَبْلَ الشّمَالِ مِنْ جَسَدِهِ .

قال النجاشيّ : وكانوا [الشيعة] يعظّمون هذا الكتاب . فهو أوّل من صنّف فيه من الشيعة .

وذكر جلال الدين السيوطيّ أنّ أوّل من صنّف ــ يعني من أهل السنّة ــ في الفقه الإمام أبو حنيفة . لأنّ تصنيف عليّ بن أبي رافع في ذلك أيّام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولّد الإمام أبي حنيفة بزمان طويل . بل صنّف في الفقه قبل أبي حنيفة جماعة من فقهاء الشيعة كالقاسم بن محمّد ابن أبي بكر التابعيّ ، وسعيد بن المُسَيّب الفقيه القرشيّ المدنيّ أحد الفقهاء الستّة المتوفّى سنة ٩٤ ه ، وكانت ولادته أيّام خلافة عمر بن الخطّاب . والقاسم بن محمّد بن أبي بكر مات سنة ستّ ومائة على الصحيح . وكان جدّ مولانا الصادق عليه السلام لأُمّه أمّ فروة ابنة القاسم . وكان تزوّج ابنة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام . [٢١]
[٢٢]

وذكر عبد الله الحميريّ في كتابه «قرب الإسناد» ما لفظه : ذُكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، وسعيد بن المسيّب ، فقال : كَانَا عَلَى هَذَا الأمْرِ ــ يعني التشيّع .

وحكى الكلينيّ في «الكافي» في باب مولد أبي عبد الله الصادق عن يحيى بن جرير قال : قال أبو عبد الله الصادق : كان سعيد بن المسيّب ، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر ، وأبو خالد الكابليّ من ثقات عليّ بن الحسين . وفي حديث : إنّهما من حواري عليّ بن الحسين عليه السلام . [٢٣]

وقال المرحوم الصدر في «تأسيس الشيعة...» أيضاً بعد شرح يدور حول أوّل تصنيف فقهيّ لعليّ بن أبي رافع في الإسلام : ... وحينئذٍ فقد وهم الجلال السيوطيّ في قوله في كتاب «الأوائل» : «إنّ أوّل من صنّف في الفقه الإمام أبو حنيفة» ، فإنّ تولّده كان سنة مائة من الهجرة ، ومات سنة خمسين ومائة ، فكيف يكون أوّل من صنّف فيه ؟ اللهمّ إلّا أن يريد أوّل من صنّف فيه من علماء أهل السنّة كما هو الظاهر ، فلا ينافي حينئذٍ ما ذكرناه من تقدّم الشيعة في ذلك . [٢٤]

الصحيفة السجّاديّة الكاملة إنجيل أهل البيت ، زبور آل محمّد

قال ابن شهرآشوب في «معالم العلماء» في ترجمة يحيى بن عليّ بن محمّد الحسينيّ الرقّيّ : يروي عن الصادق عليه السلام الدعاء المعروف ب «إنجيل أهل البيت عليهم السلام» . [٢٥] وقال : دعاء الصحيفة ويُلقّب ب «زبور آل محمّد عليهم السلام» . [٢٦] ووصفها بالكاملة لكمالها فيما أُلّفت له ، أو لكمال مؤلّفها على حدّ :

كُلّ شَيْءٍ مِنَ الجَمِيلِ جَمِيلُ

(٥٦) رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ ، وَجَعَلْتَهُمُ الوَسِيلَةَ إِلَيْكَ ، وَالمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ .

(٥٧) رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وَكَرَامَتِكَ ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوَائِدِكَ .

(٥٨) رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلَاةً لَا أَمَدَ فِي أَوَّلِهَا ، وَلَا غَايَةَ لِأَمَدِهَا ، وَلَا نِهَايَةَ لِآخِرِهَا .

(٥٩) رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ ، وَمِلْأَ سَمَاوَاتِكَ وَمَا فَوْقَهُنَّ ، وَعَدَدَ أَرَضِيكَ وَمَا تَحْتَهُنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ ، صَلَاةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَى ، وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُمْ رِضىً ، وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً .

(٦٠) اللَهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضوَانِكَ ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَالانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ . فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ ، وَكَهْفُ المُؤْمِنِينَ ، وَعُرْوَةُ المُتَمَسِّكِينَ ، وَبَهَاءُ العَالَمِينَ .

(٦١) اللَهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً ، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الأَعَزِّ ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ ، وَقَوِّ عَضُدَهُ ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ ، وَانْصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الأَغْلَبِ .

(٦٢) وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ ، وَابْنِ بِهِ الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً .

(٦٣) وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ .

(٦٤) اللَهُمَّ وَصَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ المُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ ، المُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ ، المُقْتَفِينَ آثَارَهُمْ ، المُسْتَمْسِكِينَ بِعُرُوَتِهِمْ ، المُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَتِهِمْ ، المُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمْ ، المُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمْ ، المُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ ، المُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمْ ، المَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ ، الصَّلَوَاتِ المُبَارِكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ .

(٦٥) وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وَخَيْرُ الغَافِرِينَ ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . (٢٧)

أجل ، لمّا كان كلامنا في هذه العُجالة يدور حول «الصحيفة السجّاديّة الإلهيّة الكاملة» التي أنشأها وأملاها إمامنا الهُمام سيّد العابدين وزين الساجدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة وأتمّ التحيّة والإكرام ، [٢٨] فلم أجد كلاماً يأخذ بالأعناق ويملك القلوب [٢٩] أفضل من الكلام الوارد في هذه الفقرات الدعائيّة التي أنشأها الإمام عليه السلام يوم عرفة مبتهلاً بها إلى الله تعالى . ولم أجد ما قاله العلماء والأُدباء والشعراء والمؤرّخون والمفسّرون والحكماء الأجلّاء والعرفاء ذوي العزّة والاعتبار منذ عصر الإمام حتّى الآن كهذا الكلام الذي يناسب كثيراً كتابنا الحالي الدائر حول الإمامة والإمام ، والخلافة والخليفة ، والولاية والوليّ .

وعلى الرغم من أنّ البحث في «معرفة الإمام» وتعريف حقيقته وولايته التي ترشّحت من أعماقه على شكل عبائر دعائيّة لا تنحصر بهذا الدعاء وفقراته ، [٣٠] بيد أنّا إذا لاحظنا هذا المقدار المذكور يستبين لنا كيف أماط الإمام عليه السلام اللثام عن حقيقة الإمامة والخلافة ، وكيف بيّن مكانتها ، وواجب الأُمّة حيالها ، ولزوم وجود الإمام في كلّ عصر وزمان ! ويتسنّى لنا أن نستنتج ونستخرج ونستنبط جميع مضامين الأدعية والزيارات التي ذكرها الأئمّة عليهم السلام ، وأبواب التوحيد والولاية المذكورة في هذه الأخبار مفصّلاً من هذه الفقرات القصيرة المختصرة . ونجعلها في الحقيقة مصدراً وينبوعاً رائقاً سلسالاً نتمثّله في كلمات الإمام الباقر ، والإمام الصادق ، والإمام الرضا ، وسائر الأئمّة عليهم السلام . ونأخذ منها الاحتجاجات والاستشهادات والشروح المفصّلة الدائرة حول مقام الوحدة الإلهيّة ، والنبوّة المصطفويّة والولاية المرتضويّة حتّى الإمام الحجّة ابن الحسن العسكريّ أرواحنا فداه .

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه أيضاً في هذا الدعاء المنيف ، إلى أن يقول :

وَإنّي وَإنْ لَمْ أُقَدّمْ مَا قَدّمُوهُ مِنَ الصّالِحَاتِ فَقَدْ قَدّمْتُ تُوحِيدَكَ وَنَفْيَ الأَضْدَادِ وَالأَندادِ وَالأَشْباهِ عَنْكَ ، وَأَتَيْتُكَ مِنَ الأَبْوَابِ الّتِي أَمَرْتَ أَنْ يُؤْتَى مِنْهَا ، وتَقَرّبْتُ إلَيْكَ بِمَا لَا يَقْرُبُ أَحَدٌ مِنْكَ إلّا بِالتّقَرّبِ بِهِ .

ثُمّ أَتْبَعْتُ ذَلِكَ بِالإِنَابَةِ إلَيْكَ ، وَالتّذَلّلِ وَالاسْتِكَانَةِ لَكَ ، وَحُسْنَ الظّنّ بِكَ ، وَالثّقَةِ بِمَا عِنْدَكَ ، وَشَفَعْتُهُ بِرَجَائِكَ الّذِي قَلّ مَا يَخِيبُ عَلَيْهِ رَاجِيكَ . [٣١]

ويستمرّ الإمام عليه السلام في دعائه على هذا المنوال ، إلى أن يقول :

بِحَقّ مَنِ انْتَجَبْتَ مِنْ خَلْقِكَ ، وَبِمَنِ اصْطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ !

بِحَقّ مَنِ اخْتَرْتَ مِنْ بَرِيّتِكَ وَمَنِ اجْتَبَيْتَ لِشَأْنِكَ !

بِحَقّ مَنْ وَصَلْتَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ ، وَمَنْ جَعَلْتَ مَعْصِيَتَهُ كَمَعْصِيَتِكَ !

بِحَقّ مَنْ قَرَنْتَ مُوالاتَهُ بِمُوالَاتِكَ ، وَمَنْ نُطْتَ مُعَادَاتَهُ بِمُعَادَاتِكَ ؛ تَغَمّدْنِي فِي يَوْمِي هَذَا بِمَا تَتَغَمّدُ بِهِ مَنْ جَأَرَ إلَيْكَ مُتَنَصّلاً ، وَعَاذَ بِاسْتِغْفَارِكَ تَائِباً ! [٣٢]

هذا نموذج من «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» التي تدهش أُولي الألباب ، وتدفع النابهين إلى التأمّل والتفكير ، وتستتبع الحكماء العلماء ، وترغم العلماء ذوي الدراية على قبولها ، وترغم العارفين من أصحاب الفكر الوقّاد على أن يخضعوا ويخشعوا أمام هذه التعاليم العظيمة .

حتّى نجد أنّ ذلك الرجل الجليل الحكيم المتألّه الفقيه الخبير الشاعر المفلق الأديب الضليع الجامع للكمالات الحسنة كلّها ، آية الله المرحوم السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ الكبير تغمّده الله برضوانه قد كتب عليها شرحاً عظيماً برهن فيه على حاجة أولي الفضل والعلم إليها ، وكأنّ حقّها لم يُوَفّ بدونه ، وكأنّها لم تظهر لأرباب الأدب والعرفان بغيره . وكان لعلماء باحثين آخرين جهود مشكورة في رحابها كالملّا محمّد محسن المعروف بالفيض الكاشانيّ ، إذ كتب تعليقة عليها ، والشيخ بهاء الدين العامليّ ، والسيّد محمّد باقر الداماد المعروف بالميرداماد ، إذ لهما شروح ممتعة مفيدة عليها . هذا ماعدا الشروح الأُخرى التي نهض بأعبائها بعض الأعلام أخيراً كآية الله المدرّسيّ الجهاردهيّ ، وآية الله الميرزا أبي الحسن الشعرانيّ الذي كتب تعليقة عليها .

قال آية الله أبو المعالي السيّد شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ رضوان الله عليه : وإنّي في سنة ١٣٥٣ بعثت نسخة من الصحيفة الشريفة إلى العلّامة المعاصر الشيخ الجوهريّ الطنطاويّ ــ صاحب التفسير المعروف مفتي الإسكندريّة ــ ليطالعها . فكتب إليّ من القاهرة وصول الصحيفة ، وشكرني على هذه الهديّة السنيّة ؛ وأطرى في مدحها والثناء عليها ، إلى أن قال :

وَمِنَ الشّقَاءِ أَنّا إلى الآن لَمْ نَقِفْ عَلَى هَذَا الأَثَرِ القَيّمِ الخَالِدِ مِنْ مَوَارِيثِ النّبُوّةِ وَأَهْلِ البَيْتِ .

وإنّي كلّما تأمّلتها رأيتها فَوْقَ كَلَامِ المَخْلُوقِ وَدُونَ كَلَامِ الخَالِقِ ــ إلى آخر ما قال . [٣٣]

قال المحقّق العليم والحكيم الخبير السيّد علي خان الكبير . [٣٤] قدّس

سرّه في «رياض السالكين» ، في التعريف ب «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» :

وَاعْلَمْ أَنّ هَذِهِ الصّحِيفَةَ الشّرِيفَةَ عَلَيْهَا مَسْحَةٌ مِنَ العِلْمِ الإِلَهِيّ ، وَفِيهَا عَبْقَةٌ مِنَ الكَلَامِ النّبَوِيّ . كَيْفَ لَا ، وَهِيَ قَبَسٌ مِنْ نُورِ مِشْكَاةِ الرّسَالَةِ ، وَنَفْحَةٌ مِنْ شَمِيمِ رِيَاضِ الإِمَامَةِ ، حَتّى قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ : إنّهَا تَجْرِي مَجْرَى التّنْزِيلَاتِ السّمَاوِيّةِ ، وَتَسِيرُ مَسِيرَ الصّحُفِ اللّوْحِيّةِ وَالعَرْشِيّةِ ، لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ حَقَائِقِ المَعْرِفَةِ وَثِمَارِ حَدَائِقِ الحِكْمَةِ . وَكَانَ أَخْيَارُ العُلَمَاءِ وَجَهَابِذُ القُدَمَاءِ مِنَ السّلَفِ الصّالِحِ يُلَقّبُونَهَا بِزَبُورِ آلِ مُحَمّدٍ وَإِنْجِيلِ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السّلَامُ .

قَالَ الشّيْخُ الجَلِيلُ مُحَمّدُ بْنُ عَلِيّ بْنِ شَهْرَآشُوبٍ فِي «مَعَالِمِ العُلَمَاءِ» فِي تَرْجَمَةِ المُتَوَكّلِ بْنِ عُمَيْرٍ : رَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ «دُعَاءَ الصّحِيفَةِ» وَتَلَقّبَ بِزَبُورِ آلِ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ــ انتهى .

وَأَمّا بَلَاغَةُ بَيَانِهَا وَبَرَاعَةُ تِبْيَانِهَا فَعِنْدَهَا تَسْجُدُ سَحَرَةُ الكَلَامِ ، وَتَذْعَنُ بِالعَجْزِ عَنْهَا مَدَارَةُ الأَعْلَامِ [٣٥] ، وَتَعْتَرِفُ بِأَنّ النّبُوّةَ غَيْرُ الكِهَانَةِ وَلَا يَسْتَوِي الحَقّ وَالبَاطِلُ فِي المَكَانَةِ ؛ وَمَنْ حَامَ حَوْلَ سَمَائِهَا بِغَاسِقِ فِكْرِهِ الوَاقِبِ رُمِيَ مِنْ رُجُومِ الخِذْلَانِ بِشِهَابٍ ثَاقِبٍ .

حَكَى ابْنُ شَهْرَآشُوبٍ فِي «مَنَاقِبِ آلِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السّلَامُ» أَنّ بَعْضَ البُلَغَاءِ بِالبَصْرَةِ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ «الصّحِيفَةُ الكَامِلَةُ» ، فَقَالَ : خُذُوا عَنّي حَتّى أُمْلِي عَلَيْكُمْ مِثْلَهَا ، فَأَخَذَ القَلَمَ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ فَمَا رَفَعَهُ حَتّى مَاتَ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَامَ شَطَطاً فَنَالَ سَخَطاً . [٣٦]

ونقل المحدّث القمّيّ رحمه الله أنّ «الصحيفة » لُقّبت ب «إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمّد عليهم السلام» . وتُدعى «أُخت القرآن» . وذكر قصّة العالم البصريّ وموته عند عجزه عن الإتيان بمثلها . ثمّ قال : قال السيّد محمّد بن عليّ بن حيدر الموسويّ في كتاب «تنبيه وَسَنِ العين» في حقّ «الصحيفة الكاملة» : هي المشهورة الكثيرة الوجود بأيدي الناس وَفِيهَا مِنَ البَلَاغَةِ وَالإِخْبَاتِ [٣٧] مَا يَقَعُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمَا يُقَارِبُهُ إِلْيَاسُ .

وترويها الزيديّة والإماميّة عن رجالهم . وقد ذكر ابن حمدون النديم في تذكرته العظيمة الشهيرة بين العلماء والأُدباء من أهل السّنّة وغيرهم بعض أدعيتها .

ونقل منها دعاء رؤية الهلال الشيخ عبد الرحمن المرشديّ في مصنّفه الذي سمّاه «براعة الاستهلال» ــ انتهى كلام صاحب «تنبيه وسَنِ العين» .

قال المحدّث القمّيّهنا : ابن حمدون النديم هو محمّد بن الحسن البغداديّ الكاتب المتوفّى سنة ٥٦٣ أو . ٦٠٨ وعبد الرحمن المرشديّ هو ابن عيسى الحنفيّ المفتي بمكّة المقتول سنة ١٠٣٧. [٣٨]

قال ابن شهرآشوب : قال الغزاليّ : أوّل كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جُرَيح في الآثار ، و«حروف التفاسير» عن مجاهد ، وعطاء بمكّة ، ثمّ كتاب معمر بن راشد الصنعانيّ باليمن ، ثمّ كتاب «المُوَطّأ» بالمدينة لمالك بن أنس ، ثمّ جامع سفيان الثوريّ .

بل الصحيح أنّ أوّل من صنّف فيه أمير المؤمنين عليه السلام ، جمع كتاب الله جلّ جلاله ، ثمّ سلمان الفارسيّ رضي الله عنه ، ثمّ أبو ذرّ الغفاريّ رحمه الله ، ثمّ الأصبغ بن نُباتة ، ثمّ عبيد الله بن أبي رافع ، ثمّ «الصحيفة الكاملة» عن زين العابدين عليه السلام .

وقال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان البغداديّ رضي الله عنه وقدّس روحه : صنّف الإماميّة من عهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى عهد أبي محمّد العسكريّ صلوات الله عليه أربعمائة كتاب تسمّى «الأُصول [الأربعمائة]» وهذا معنى قولهم : أصل . [٣٩]

وقال السيّد حسن الصدر : الطبقة الثانية من المصنّفين :

الإمامُ السّجّادُ عَلِيّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السّلَامُ

أوّلهم إمامهم السجّاد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، زين العابدين . له «الصحيفة الكاملة» الموصوفة ب «زبور آل محمّد» ، يرويها عنه الإمام أبو جعفر الباقر ، وزيد الشهيد .

ونقل المرحوم الصدر هنا صدر الموضوع الذي أوردناه عن ابن شهرآشوب . [٤٠] ثمّ قال : وهي من المتواترات مثل القرآن عند كلّ فرق الإسلام ، وبها يفتخرون . وكانت وفاته سنة خمس وتسعين . [٤١]

أجل ، كانت قراءة الأدعية الكاملة ل «الصحيفة السجّاديّة» وتلاوتها وممارستها ومزاولتها أُموراً معلومة معروفة بين العلماء الأعلام والسابقين الذين قرنوا العلم بالعمل والتخشّع والابتهال واجتناب هوى النفس الأمّارة . وكانت تُعدّ ضروريّة لازمة عند الحكماء والفلاسفة الأجلّة وعرفاء الإسلام العظام ، بحيث إنّهم كانوا يرون ملازمة «الصحيفة» كملازمة القرآن العظيم ، وحفظ أدعيتها كحفظ سوره وآياته ، ويعدّون ذلك من فرائضهم وواجباتهم . ولم يكتفوا بقراءة الأدعية قراءة سطحيّة يوميّة رتيبة . وجعلوا أدعية سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذات الصبغة الخاصّة من التوحيد والعظمة والأُبّهة شعارهم ودثارهم كما يتبيّن ذلك من «صحيفة السماهيجيّ» ، و«صحيفة النوري الثانويّة» . وثابروا على قراءة «الصحيفة السجّاديّة» فنفذ التضرّع والابتهال إلى أعماقهم ، وأنسوا بمناجاة ربّهم الودود ومسارّته بما عندهم ؛ وجلوا بها صدأ النفوس الأمّارة الخبيثة المنقطعة إلى عالم الكثرة والتعيّنات الاعتباريّة ، فخرجوا أُناساً متوقّدة ضمائرهم ، صافية قلوبهم ، طاهرة أعماقهم ، بعيدين عن هوى النفس ، بل مجرّدين منه . وهؤلاء العلماء بالله والحكماء والعرفاء الزهّاد الأتقياء الممدوحون الخارجون من سلطان الهوى المنقطعون إلى الله لم ينوّروا أنفسهم فحسب ، بل هدوا حشداً غفيراً من الناس وأخذوا بأيديهم نحو عالم الفضيلة والنزاهة والقداسة والطهارة .

وبدا لي هنا أن أنقل حكاية عن جدّي الأعلى من جهة أُمّ والدي المحدّث العظيم ، والسالك التقيّ ، والأخلاقيّ الكبير المرحوم المجلسيّ الأوّل رضوان الله عليه ليتعطّر بها الناس ، وليفكّروا بأنفسهم من خلال التدبّر والتفكّر في صحيفة إمام الساجدين قبل أن ينزلوا في قبورهم ، وليتلمّسوا علاجاً وحيلة لهم ! وإلّا فإنّهم وأيم الله ومقام عزّته وجلاله لا يتقدّمون ولا يستمتعون هم وغيرهم بهذه الدروس الحوزويّة المتعارفة المتداولة ما لم يحاسبوا أنفسهم ويطووا طريق ومنهاج الأولياء الصالحين الذين جعلوا «الصحيفة السجّاديّة» نصب أعينهم ، وصقلوا بها أرواحهم. [٤٢]

أمّا الحكاية فننقلها فيما يأتي حسب ما ذكرها المرحوم آية الله آغا ميرزا محمّد عليّ المدرّسيّ الجهاردهيّ الرشتيّ في مقدّمة شرحه على «الصحيفة» . بدأ شرحه الفارسيّ على «الصحيفة» بما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

وبعد ، قال المنقطع عن نيل آباديّ محمّد علي بن نصير الجيلانيّ : في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٠٤ ه ، كان السيّد الأجلّ الأكرم الزاهد العابد الصفيّ المخلص التقيّ السيّد الميرزا الإصفهانيّ الذي يتشرّف الآن بالسكن في المدينة المنوّرة ، يقرأ علَيّ كتاب المشيخة للمرحوم الملّا محمّد تقي المجلسيّ رحمه الله في الحرم المرتضويّ الشريف (حرم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام) عند غروب الشمس . وذكر من شيوخه المرحوم الشيخ البهائيّ . ونقل خلال ذلك حكاية رأيتها بعينها في ذلك الكتاب بخطّه الشريف في شرح «الصحيفة» .

وملخّصها : قال المرحوم المجلسيّ : كنت في عنفوان شبابي راغباً في أن أُصلّي صلاة الليل ، لكنّي احتطتُ لقضاء كان في ذمّتي . فأخبرتُ الشيخ البهائيّ رحمه الله بذلك ، فقال : صلّ ثلاث عشرة ركعة قضاءً وقت السحر . بَيدَ أنّ نفسي كانت تحدّثني بأنّ لنافلة الليل مزيّة معيّنة . وأنّ الفريضة شيء آخر .

وكنت ذات ليلة على سطح داري وأنا بين النوم واليقظة ، فرأيتُ قبلة البَرِيّة إمام المسلمين حجّة الله على العالمين عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه في سوق البطّيخ بجنب المسجد الجامع بإصفهان .

فتشرّفت بالمثول أمامه عليه الصلاة والسلام بشوق بالغ ، فسألته عن مسائل منها أداء صلاة الليل ، فقال : صلّ !

ثمّ قلت له : يا ابن رسول الله ! لا سبيل لي إليك دائماً ! فأعطني كتاباً أعمل به !

قال : اذهب وخذ كتاب آغا محمّد تاجا ! وكأنّي كنتُ أعرفه .

ذهبتُ وأخذتُ منه الكتاب . فقرأته وأنا أبكي . فاستيقظت من نومي ورأيتُ نفسي على سطح داري . فحزنت لذلك حزناً عظيماً . وانقدح في ذهني أنّ محمّد تاجا هو الشيخ البهائيّ نفسه . وإنّما ذُكرت كلمة «التاج» بسبب رئاسته للشريعة .

ولمّا أصبحتُ توضّأتُ وصلّيتُ صلاة الفجر . ثمّ توجّهتُ إليه . فرأيته في مِدْرَسِه مشغولاً بمقابلة «الصحيفة» مع السيّد ذو الفقار عليّ الجُرْفادقانيّ (الكلبايكانيّ) .

وبعد فراغه من المقابلة ، سألته عن أحواله . فقال لي : ستدرك ما تريد إن شاء الله .

فلم يرقني كلامه لاتّهامه إيّاي ببعض الأشياء . [٤٣]

ثمّ إنّي رأيتُ الموضع الذي رأيتُ فيه الإمام عليه الصلاة والسلام في المنام . فأوصلت نفسي إليه مشتاقاً ؛ فالتقيتُ بحسن تاجا الذي كنتُ أعرفه . وما إن رآني ، حتّى قال : يا محمّد تقي ! ضقتُ ذرعاً بالطلّاب (يقصد طلّاب العلوم الدينيّة) ، يستعيرون منّي كتاباً ولا يعيدونه . هلمّ إليّ لنذهب إلى البيت كي أُعطيك بعض الكتب التي وقفها المرحوم آغا قدير !

وأخذني إلى باب الحجرة ، وفتح الباب ، وقال لي : خذ ما تشاء من الكتب ! فمددتُ يدي وأخذتُ كتاباً . ونظرتُ فيه فرأيته نفس الكتاب الذي كان الإمام الحجّة روحي فداه قد أعطانيه في المنام . وإذا هو «الصحيفة السجّاديّة» . فطفقتُ أبكي ، ثمّ قمتُ من مكاني .

فقال لي : خذ كتاباً آخر ! قلتُ : حسبي هذا الكتاب .

ثمّ شرعتُ في تصحيحه ومقابلته وتعليمه للناس . وهكذا أصبح معظم أهالي إصفهان ممّن يستجاب دعاؤهم ببركته . [٤٤] قال المرحوم المغفور المجلسيّ الثاني : ولقد انهمك ببثّ «الصحيفة» طوال أربعين سنة . فانتشرت بواسطته ، فإنّه شذّ بيت لا تكون «الصحيفة» فيه .

وحَدَتْني هذه الحكاية على أن أشرح «الصحيفة» بالفارسيّة لينتفع بها العوامّ ، بل الخواصّ أيضاً . [٤٥]

إنّ «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» من المتواترات . وإنّ نسبتها إلى الإمام سيّد الساجدين وزين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة وأكمل التحيّة والسلام كنسبة كتاب «الكافي» إلى الكلينيّ ، وكتاب «التهذيب» إلى الشيخ الطوسيّ . وذلك من المتواترات التي لا شكّ فيها .

ورواها علماؤنا الأعلام ومحدّثونا العظام منذ عصر الإمام الباقر عليه السلام إلى يومنا هذا يداً بيد ولساناً عن لسان وكتابةً عن كتاب . وكان لها تواترها في كلّ زمان . ولا يضيرها ــ كما سنرى ــ ما نُسب إلى بعض رواتها من الجهل أو الضعف ممّا ورد في مفتتح نسخها المطبوعة المتداولة هذا اليوم . ذلك أنّ سندها كضمّ الحَجَر على جنب الإنسان ، إذ لا يضيف وجوده إلى كمال إنسانيّته ولا ينقص عدمه من إنسانيّته شيئاً . وإذا كانت أدعية هذه «الصحيفة» قد بلغت حدّ التواتر المتّصل المنسجم منذ عصر المعصوم إلى يومنا هذا ، فَلْتَخْلُ من السند على فرض عدم وجوده .

أمّا عدد الأدعية على ما روى جعفر بن محمّد الحسينيّ ــ وهو المذكور في «الصحيفة» نفسها ــ فخمسة وسبعون دعاءً . قال راويها المتوكّل بن هارون : سقط عنّي منها أحد عشر باباً ، وحفظتُ منها نيّفاً وستّين باباً (أربعة وستّين) . ولكن جاء في رواية محمّد بن أحمد بن مسلم المطهّريّ ، الذي ذكر عدد الأدعية وأسماءها ، أربعة وخمسون

دعاءً فقط ، وهو ما نراه في «الصحيفة» المتداولة هذا اليوم . وفي ضوء ذلك فقد سقط من أصل «الصحيفة» واحد وعشرون دعاءً .

وحاول أساطين العلم والحديث أن يعثروا على تلك الأدعية ويلحقوها ب «الصحيفة» ــ بوصفها ملحقات لا بوصفها إقحاماً بين الأدعية نفسها ــ لئلّا يحدث تغيير في الأدعية ذاتها .

ورأيت مخطوطة من «الصحيفة الكاملة» مع حواشيها بإمضاء الملّا محسن الفيض الكاشانيّ ، وورثتها من أبي ، وتأريخ الفراغ من كتابتها هو سنة ١٠٩١ ه . [٤٦] وأورد فيها الملّا تقي الصوفيّ الزيابادي القزوينيّ ــ الذي ذكر أنّه من تلاميذ الشيخ البهائيّ ــ أربعة عشر دعاءً بعد ختم الأدعية ، بوصفها ممّا يلحق به . وقد جمعها من الكتب المعتبرة . [٤٧]

ونحن نعلم أنّ المرحوم الشيخ البهائيّ توفّي سنة ١٠٣٠ ه . لذلك فإنّ جمع هذه الملحقات من قِبَل تلميذه قد سبق تدوين «الصحيفة الثانويّة» للشيخ الحرّ العامليّ ، و«الصحيفة الثالثة» للميرزا عبد الله الأفندي .

وفي ضوء ذلك يلزم أن تكون هذه «الصحيفة» أوّل صحيفة دوّنت بعد «الصحيفة الكاملة» . ونسمّيها «الصحيفة الثانية السجّاديّة» . ونعدّ صحيفة الشيخ الحرّ من الصحف التالية لها . لكن لمّا كانت صحيفة المرحوم الشيخ الحرّ متداولة على الألسن وفي الكتب باسم «الصحيفة الثانية» ، لذلك نذكرها فيما يأتي بهذا اللقب :

«الصحيفة السجّاديّة الثانية» تدوين صاحب «الوسائل» الشيخ محمّد بن حسن الحرّ العامليّ المتوفّى في سنة ١١٠٤ ه

قال الشيخ العالم الفقيه المتتبّع المحقّق السيّاح الميرزا عبد الله الأفندي الإصفهانيّ في مقدّمة صحيفته الثالثة : إنّ شيخنا العالم الفاضل الجليل والكامل المحدّث النبيل الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ المعاصر المحفوف بصنوف مراحم الربّ الملك الغافر قد بذل غاية كدّه بقدر وسعه وجدّه ومقدار سعيه وكدّه في أصل جمع ما خرج عن نسخة «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» المتداولة من أدعيته صلوات الله عليه ، وكذا في تأليفه صحيفة جديدة مشتملة على سائر الأدعية المرويّة عنه عليه السلام ممّا قد عثر عليها في مطاوي كتب الأدعية والأعمال المشهورة المتداولة بين متأخّري الأصحاب رضوان الله عليهم . وكان من جملة جمعها فيها تلك الأدعية المعروفة المذكورة في ملحقات «الصحيفة الكاملة» المشهورة السجّاديّة ، وقد سمّى ما ألّفه ب «الصحيفة الثانية» ، وهي أيضاً قد صارت في زماننا هذا صحيفة على حدة أُخرى برأسها شايعة بين الناس مثل أُختها ولاسيّما في بلاد خراسان وما والاها .

وقد حسب رضي الله عنه أنّه لم يسبقه إلى ذلك أحد من العلماء ، بل ظنّ رحمة الله عليه ما أبقى دعاءً من سائر أدعيته عليه السلام حتّى من تلك الأدعية الساقطة من «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» المشهورة إلّا وقد أوردها في هذه الصحيفة الشريفة الجديدة له . ولكن في الحقيقة ليس الحال كما ظنّه قدّس سرّه . أمّا أوّلاً فلأنّه قد سبقه إلى ذلك بعض علمائنا المتأخّرين كما أوردنا ترجمته في كتاب رجالنا «رياض العلماء» فلاحظه .

وأمّا ثانياً فلأنّا قد وجدنا أدعية كثيرة من جملة أدعيته صلوات الله عليه في أماكن متفرّقة ومواطن متبدّدة ممّا هي غير مذكورة في «الصحيفة الأُولى» المشهورة المتداولة ، ولا في «الصحيفة الثانية» المعروفة التي قد جمعها هذا الشيخ المعاصر رحمه الله .

ونظير ذلك من الظنّ والحسبان ما قد حسبه هو أيضاً في كتابه الموسوم ب «الجواهر السنيّة في جمع الأحاديث القدسيّة» التي هي أُخت القرآن حيث اعتقد أنّه قد أحاط فيه بجميع الأحاديث القدسيّة ، وأنّ أحداً لم يسبقه أيضاً إليه . ولكن كلاهما مجرّد وهم وخيال ، وذلك ، لأنّه قد صنّف بعض الأصحاب قبله مثل ما ألّفه وزاد عليه بكثير . ومع ذلك لم يحط هو ، ولا هذا الشيخ المعاصر أيضاً بجميع ما ورد من الأحاديث القدسيّة كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَتَبَّعَ وَتَأَمَّلَ وَأَعَادَ وَأَنْعَمَ النَّظَرَ وَأَجَادَ . (٤٨)

وقال العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ قدّس سرّه بعد التعريف بهذه «الصحيفة» : حكى لي بعض أفاضل المعاصرين أنّه أطّلع على صحيفة ثانية سجّاديّة من جمع الشيخ محمّد بن عليّ الحرفوشيّ المعاصر للشيخ الحرّ والمتوفّى قبله بأزيد من أربعين سنة .

وعلى هذا فصحيفة المحدّث الحرّ ثالثة وما بعدها رابعة وهكذا . (٤٩) لعلّ هذا مراد صاحب «الرياض» في «الصحيفة الثالثة» حيث ردّ على المحدّث الحرّ في قوله : إنّه لم يسبقه أحد .

وقال المحدّث الجزائريّ في أوّل شرح ملحقات الصحيفة : إنّ الشيخ الحرّ لمّا جمع من أدعية السجّاد عليه السلام ما يقرب من «الصحيفة» ، سمّاه : «أُخت الصحيفة» . كما أنّه لمّا جمع الأحاديث القدسيّة ، سمّاها : «أخ القرآن» ــ انتهى .

وقد استخرجها المحدّث الحرّ من الأُصول المعتمدة عنده التي ذكرها في هامش النسخة . وفرغ من جمعها في شهر رمضان ١٠٥٣ ه ... . (٥٠)

«الصحيفة الثالثة السجّاديّة»تدوين الميرزا عبد الله الأفندي

صاحب «رياض العلماء» ، من أخصّ تلاميذ العلّامة المجلسيّ

الفاضل المتبحّر الميرزا عبد الله بن الميرزا عيسى بن محمّد صالح التبريزيّ الإصفهانيّ المعروف بالأفندي من أعلام القرن الثاني عشر . ردّ في صحيفته على الشيخ

المحدّث الحرّ في دعواه استقصاء أدعية الإمام السجّاد عليه السلام . وقد طبعت في طهران ، وطُبع جميع ما فيها من أدعية ضمن «الصحيفة الخامسة» . ومرّت بعنوان «الدرر المنظومة المأثورة» . وقد طبعت سنة ١٣٦٤ ه . [٥١]

قال المرحوم الأفندي في صحيفته بعد خطبته وبيانه الخاصّ حول أدعية الإمام سيّد الساجدين عليه السلام : وبالجملة فقد حداني ذلك (نقصان «الصحيفة الثانية») إلى جمع صحيفة ثالثة كافلة بجميع ما شذّ عن تينك الصحيفتين المذكورتين إن شاء الله تعالى ممّا قد وصلت إلينا من جملة أدعيته صلوات الله عليه اللهمّ إلّا ما ندر عنها أو لم يصل إلينا منها . فإنّ أكثر كتب الأدعية والأعمال ، وخاصّة من روايات قدماء أصحابنا قد تلفت في البَين وضاعت وما وصلت إلينا منها أثر ولا عين . فكيف ندّعي الحصر والإحصاء الكامل التامّ في أمثال ذلك المقام ؟!

إلّا أنّي قد بذلتُ نهاية مقدرتي وجهدي وصرفت فيه غاية وَكْدي وكَدّي على حسب الوسع والطاقة والحسبان وبقدر القدرة والإمكان ، وعلى الله التكلان فجاء بحمد الله تعالى كما قصدت وبرز إلى الوجود كما عمدت .

ثمّ إنّي عند ذكري لكلّ دعاء قد أشرتُ في المتن بعون الله غالباً وفي الهامش أحياناً أيضاً إلى الكتاب الذي قد أخذتُ منه أو إلى المكان الذي قد عثرتُ عليه . وبذلك أيضاً قد فاقت صحيفتنا هذه «الصحيفة الثانية» المشار إليه لشيخنا المعاصر . فإنّه قدّس سرّه لم يتعرّض في تلك الصحيفة المذكورة له لذكر مأخذ الأدعية التي قد نقلها . ولذلك قد خرجت أدعيتها من حدّ المسانيد إلى درجة المراسيل .

بل أكثر من ذلك ، وباعتقاد أهل عصرنا حيث إنّهم لم يعتمدوا على مراسيل أمثالنا إلّا وقد بليت عظامنا وطال زمان رفاتنا عن مرتبة الاعتماد والكمال إلى منزلة التزلزل والاحتمال ، وإن كان هو قدّس الله روحه في نفسه ثقة أميناً مأموناً ناقداً بصيراً مسكوناً إليه في الرواية ، وفي الحقيقة عدلاً صدقاً في النقل والدراية .

ثمّ لا يخفى أنّ عمدة السبب الفائق والغرض الأعلى اللائق بشأنه من تأليفه لتلك الصحيفة الجديدة له ، أوّلاً إنّما هو جمع الأحد والعشرين أدعية التي قد سقط من نسخة «الصحيفة الكاملة» المشهورة كما سنشير إليه مفصّلاً ، ثمّ ختم باقي أدعيته عليه السلام إليها .

ولكنّ شيخنا المعاصر قدّس سرّه هذا قد نقل عن أصلها رأساً أو تغافل عنه عمداً ، حيث إنّه لم يتعرّض هو لذكر شيء منها أصلاً في طيّ «الصحيفة الثانية» هذه بل لعلّه قدّس سرّه لم يعثر نفسه على شيء من ذلك مطلقاً .

وأمّا نحن فقد عثرنا بحمد الله تعالى وعونه ومنّه على جلّها بل كلّها في مدّة سياحتنا في الأمصار ، في الخراب والعمران وأثناء طول جولاتنا وسفرنا في البحار والقفار والبلدان .

إلى أن يقول : ثمّ إنّه قد كان بين أكثرها وبين النسخة المتداولة المشهورة من هذه «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» اختلافات كثيرة في الديباجة ، وفي عدد الأدعية وفي ألفاظها وعباراتها ، وفي كثير من فقراتها أيضاً بالزيادة والنقصان ، وفي التقديم والتأخير .

وكذلك قد وجدنا في بعض مطاوي كتب أصحابنا كثيراً من الأدعية المنقولة عن «الصحيفة السجّاديّة» المشهورة ، ولكن مع أنواع من التفاوت والاختلافات في العبارات والفقرات ، بل في تعداد الأدعية أيضاً ، ونحن قد أعرضنا عن التعرّض لشرح تحقيق ذلك ، وعن إيراد وجوه الاختلافات هنا على جهة التفصيل ، حيث إنّ ذكر هذه كلّها يُفضي إلى مزيد التطويل . على أنّ استقصاء الكلام في ذلك المرام لا شكّ أنّه قد يوجب الملال والملام ، ويورث الخروج في هذا المقام عمّا هو مقصودنا الأهمّ ومنظورنا الأتمّ في أصل الإقدام على مثل هذا الشأن . وَاللَهُ المُستَعَانُ وَعَلَيْهِ التّكلَانُ .

بل نحن اقتصرنا في هذه الصحيفة الشريفة الثالثة على مجرّد إيراد جميع تلك الأدعية الشريفة الساقطة من أصل «الصحيفة السجّاديّة» المشهورة أوّلاً . ثمّ ذكر بعض الأدعية المنسوبة إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام الخارجة عن تينك الصحيفتين الشريفتين ثانياً وضمّها إليها حسب الإمكان وَاللَهُ المُستَعَانُ .

وأمّا التعرّض لتلك الاختلافات فقد وكّلناه إلى ما علّقناه على هوامش «الصحيفة الثانية» المذكورة إن شاء الله تعالى . وَاللَهُ المُوَفّقُ .

واعلم أنّ عدد أدعية «الصحيفة السجّاديّة» المباركة المتداولة على ما هو الموجود الآن فيها برواية محمّد بن أحمد بن مسلم المطهّريّ ، المعروفة برواية المطهّريّ سوى ما يوجد في أكثر نسخ ملحقات «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» إنّما هي بقدر أربعة وخمسين دعاء . مع أنّ المذكورة أوّلاً في ديباجة نسخ هذه «الصحيفة السجّاديّة» المتداولة من عدد أدعيتها مجملاً هي خمسة وسبعون دعاء .

ثمّ إنّ بعد ذلك قال المتوكّل بن هارون الراوي ل «الصحيفة السجّاديّة» المشهورة ثانياً ــ كما هو مذكور في أوّلها ــ أنّه قد سقط منّي بعد عشرة أدعية ، وحفظتُ منها نيّفاً وستّين دعاء . وعلى هذا فقد سقط من تلك الأدعية الباقية المذكورة عشرة أُخرى أيضاً .

وهذا عجيب . لكن قد يُظَنّ أنّ هذه الأدعية المعروفة المذكورة في مطاوي ملحقات نسخ «الصحيفة الكاملة» الشائعة من جملة تلك الأدعية الساقطة عن أصل «الصحيفة» المتداولة المشهورة . وَاللَهُ يَعْلَمُ .

ونحن قد وسمنا هذه «الصحيفة الكاملة» ب «الصحيفة الثالثة» . وإن شئت فسمّها : «الدّرر المنظومة المأثورة في جمع لئالي الأدعية السجّاديّة المشهورة» !

إلى أن يقول : ولنذكر أوّلاً بعون الله سبحانه في أوّل الأدعية الأحد والعشرين الساقطة من «الصحيفة الكاملة» المشهورة . ثمّ نورد بعدها سائر الأدعية السجّاديّة إن شاء الله سبحانه . (٥٢)

«الصحيفة الرابعة السجّاديّة» ، تدوين الحاجّ الميرزا حسين بن محمّد تقي النوريّ المتوفّى سنة ١٣٢٠ ه

توفّي عشيّة الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٢٠ ه . وقد جمع ٧٧ دعاء له غير المذكورة في سائر الصحائف السابقة . (٥٣)

قال المرحوم المحدّث النوريّ في صحيفته بعد حمد الله والثناء عليه والصلوات على الرسول المختار :

يقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي النوريّ الطبرسيّ : هذه مجموعة رائقة لطيفة وصحيفة رابعة شريفة جمعت فيها من الأدعية المباركة السجّاديّة على منشئها آلاف سلام وتحيّة ما ليس في الصحيفة المنعوتة بين علماء الإسلام تارة ب «أُخت القرآن» ، وأُخرى ب «زبور آل محمّد عليهم السلام» ، ولا في «الصحيفة الثانية» التي جمعها العالم الجليل المحدّث الحرّ العامليّ ، ولا في «الصحيفة الثالثة» التيجمعها الفاضل الماهر الخبير الميرزا عبد الله الإصفهانيّ رحمهما الله ممّا لم يكن موجوداً في الصحيفتين ، وقد طُعِن على شيخنا الحرّ رحمه الله بأنّه ادّعى الاستقصاء ، وقد سقط من يده أدعية لا تحصى ؛ فجمع ما عثر عليه من الساقط وخفي عليه كما خفي عليه ما يلتقطه اللاقط . وأنا وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان إلّا أنّ السّهَى الّتي استَصْغَرَتْهُ العُيُونُ تَتَحَرّكُ كُلّمَا سَارَ الفَرْقَدَانِ . (٥٤)

ثمّ ذكر عدداً من الأدعية نقلاً عن مصادر مختلفة ، وبعضها أدعية شعريّة نُسبت إلى الإمام عليه السلام وهي ضعيفة لغويّاً وأدبيّاً . (٥٥) وقال في آخر كتابه :

هذا آخر ما أردناه من جمع الأدعية السجّاديّة عَلَى مُنْشِيَها أَلْفُ سَلَامٍ وَتَحِيّةٍ الساقطة عن الصحيفتين الكريمتين المتمّمتين ل «الصحيفة المباركة» المعروفة . وقد أشرنا إلى مأخذها ، وذكرنا أسانيد ما وقفنا على طرقه . وجلّها بل كلّها إلّا ما شذّ منها مأخوذة من الكتب المعتبرة المعوّل عليها . فلا يرد علينا ما أورده صاحب «الثالثة» على «الثانية» من عدم ذكر المأخذ ، وخروج ما أورده عن حدّ المسانيد . وغرضه الطعن على بعض الأدعية التي ذكرها وليس لها في كتب الأصحاب عين ولا أثر كالمناجاة الخمس عشرة ، وإلّا فأغلب ما أورده من الأدعية المعروفة موجودة فيها .

ولا يخفى أنّه لولا المثل السائر : كَمْ تَرَكَ الأَوّلَ لِلآخِرِ لما بقي بعد جهد هذين العالمين المتبحّرين ، وما كان لهما من الكتب والأعوان ما يلتقطه مثلي القاصر الفاقد المبتلى بشرّ الأزمان في شرّ البلدان من مساكن أهل الإيمان .

نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق ، ومرافقة الأبرار ! وثبت هذه الصحيفة الشريفة في ديوان الحسنات يوم يميز الأخيار من الأشرار . (٥٦)

«الصحيفة الخامسة» ، تدوين السيّد محسن الأمين‌الحسينيّ العامليّ المتوفّى سنة ١٣٧١ ه

للسيّد المعاصر محسن بن عبد الكريم بن عليّ بن محمّد الأمين الحسينيّ العامليّ نزيل دمشق . طبعت سنة ١٣٣٠ . وهي محتوية على «الصحيفة الثالثة» و«الرابعة» وزيادة . وفرغ منها سنة ١٣٢٣ ، ومجموع أدعيتها ١٨٢ دعاء انفرد منها باثنين وخمسين دعاء ، والبواقي موجودة في إحدى الصحيفتين . (٥٧)

قال المرحوم الأمين في مقدّمة صحيفته بعد الحمد والصلوات : لمّا اضطرّني القدر إلى ترك الوطن والإقامة بدمشق الشام ، اقتضى الحال في سنة ثلاث وعشرين بعد الثلاثمائة وألف أن أنظر في صحّة نسخة من «الصحيفة الثانية السجّاديّة» وأُعلّق عليها حواشي تتضمّن شرح غريبها وتفسير غامضها وغير ذلك من الفوائد إجابة لالتماس بعض الإخوان . وهي الصحيفة التي جمعها الثقة الجليل المحدّث الشيخ محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسين الحرّ العامليّ المشغريّ ، صاحب «الوسائل» قدّس سرّه من أدعية مولانا زين العابدين وسيّد الساجدين وإمام العارفين وأبي الأئمّة الميامين الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقال : إنّه جمع فيها ما وصل إليه ممّا نقله العلماء الأعلام من أدعيته عليه السلام ممّا ليس في «الصحيفة الكاملة» المشهورة . ولم يكن عندي يومئذٍ من نسخها ما أعتمد على صحّته ، فرجعت إلى الكتب المتضمّنة لتلك الأدعية ، وفي أثناء ذلك عثرتُ على بعض الأدعية المرويّة عنه عليه السلام ممّا ليس في الأُولى ولا في الثانية . فعزمتُ على أن ألحقها بالثانية ، لظنّي أنّها يسيرة . فلمّا استقصيتُ التتبّع وجدتُ من الأدعية المودعة في الكتب المعتبرة التي خلت عنها الصحيفتان شيئاً كثيراً بحيث لو جمع لكان صحيفة كبيرة ، هذا مع تبحّر جامع «الصحيفة الثانية» وتصدّيه لجمع كلّ ما فات «الصحيفة الكاملة» .

فعزمت بعد الاتّكال عليه تعالى على جمع تلك الأدعية في صحيفة ثالثة ، فجمعت منها نيّفاً وسبعين دعاء قد خلت عنها الصحيفتان الأُولى والثانية . ثمّ علمت أنّ هناك صحيفة ثالثة ، فاجتهدتُ في تحصيلها حتّى عثرتُ عليها بتوفيقه تعالى بعد بحث طويل وطلب في

الآفاق شديد . وهي التي جمعها الفاضل المتبحّر المتتبّع الميرزا عبد الله بن عيسى بن محمّد صالح الإصفهانيّ قدّس سرّه المعروف بالأفندي صاحب «رياض العلماء» ، [٥٨] وتلميذ العلّامة المجلسيّ والمعاصر لصاحب «الوسائل» وأورد فيها ما خلت عنه صحيفة معاصره المذكور ولسان حاله يقول : كَمْ تَرَكَ المُعَاصِرُ لِلْمُعَاصِرِ .

وعثرتُ أيضاً على صحيفة رابعة جمعها الفاضل المعاصر المتبحّر المتتبّع المطّلع الميرزا حسين بن محمّد تقي الطبرسيّ النوريّ المجاور بسامرّاء ، ثمّ بالمشهد المقدّس الغرويّ حيّاً وميّتاً صاحب «مستدرك الوسائل» قدّس سرّه ، وأورد فيها ما خلت منه «الصحيفة الثانية» و«الثالثة» متمثّلاً بالمثل السائر كَمْ تَرَكَ الأَوّلُ لِلآخِرِ . وبعد استقراء جميع أدعية الصحيفتين المذكورتين الثالثة والرابعة وجدتهما خالتين من أدعية كثيرة قد اشتملت عليها الصحيفة التي جمعتها ، فقلتُ : كَمْ تَرَكَ الأَوّلُ لِلآخِرِ وَالمُعَاصِرُ لِلْمُعَاصِرِ . كما وجدتها خالية من جملة من الأدعية التي اشتملا عليها . فَعَنّ لي أن أُفرد ما انفردت به صحيفتي عنهما وأجعله صحيفة خامسة . ثمّ عدلتُ عن ذلك .

أوّلاً : لئلّا يذهب ما عانيتُه في جمع باقي الأدعية وترتيبها وما ذكرته معها من بعض الفوائد ضياعاً .

وثانياً : ليعلم الناظر أنّي لم آل جهداً في التفتيش والتنقيب . وأنّني وصلت بحمد الله تعالى وتوفيقه إلى أكثر ما وصلوا إليه ، وكثير ممّا لم يصلوا إليه ، فيكون ذلك سبباً لدعائه لي بالمغفرة وباعثاً لي على مجانبة الجبن والكسل ، وموجباً للعلم بأنّ كلّ مَنْ سَارَ عَلَى الدّرْبِ وَصَلَ . فعوّلتُ على أن أُضيف إلى صحيفتي ما فاتها من صحيفتيهما ، وأُسمّيها ب «الصحيفة الخامسة» وإن تضمّنت الثالثة والرابعة . لكن لاشتمالها على ما ليس فيهما فارقتهما ، واستحقّت أن تكون خامسة لرابعتهما .

فبلغ مجموع ذلك مائة واثنين وثمانين دعاء وندبة . منها اثنان وخمسون دعاء انفردنا بنقلها ، وخلت منها كلّ من الصحائف الأربع ، وواحد وسبعون دعاء وجدناها في مجموع الصحيفتين المذكورتين وفي غيرهما ، واثنان وثلاثون دعاء نقلناها من «الصحيفة الثالثة» خاصّة ، وسبعة وعشرون دعاء نقلناها من «الصحيفة الرابعة» خاصّة .

ومن ذلك يعلم أنّا لو لم نطّلع على صحيفتيهما لبلغ ما جمعناه مائة وثلاثة وعشرين دعاء مجتمعةً ممّا انفردنا بنقله ، وهو اثنان وخمسون دعاء ، وما وجدناه في مجموع الصحيفتين وفي غيرهما ، وهو أحد وسبعون دعاء . وهو يزيد كثيراً عمّا في كلّ واحدة من الصحائف الثلاثة بانفرادها .

وبذلك يُعْلَم فَضْلُ صحيفتي عليها ، اللهمّ إلّا «الصحيفة الثالثة» التي لم يعلم مقدار ما وصل إليه تتبّع جامعها لنقصان نسختها كما ستعرف . ولم نأل جهداً في التنقيب والتفتيش في مظانّ ذلك ، وفي الجمع بين النسخ المختلفة بحسب الوسع والطاقة . كما لم نأل جهداً

في ترتيب الأدعية بالتقديم والتأخير ، ووضع كلّ دعاء مع مناسبه ، وقد أهملا ذلك في صحيفتيهما .

ولم يكن يدور في خلدي أو يخطر ببالي أن يتيسّر لأحد الاستدراك على هؤلاء الفضلاء الثلاثة الذين امتازوا عن أهل عصرهم بالتتبّع والتبحّر والاطّلاع ، بل لم يكن لهم شغل طول عمرهم سوى ذلك .

ومن العجيب أنّني وجدتُ كثيراً من الأدعية في الكتب المشهورة المتداولة التي كانت عندهم نسخها يقيناً ، ونقلوا عنها .

وحسبك بصاحب «الصحيفة الثالثة» الذي كان قليل النظير في الحفظ والتتبّع ومعرفة التصانيف والمصنّفين . وكانت تعرض عليه الأوراق من الكتب المجهولة التي ذهب أوّلها وآخرها فيميّزها ويعرف أنّها من أيّ كتاب ، وقد قضى نحواً من نصف عمره في السياحة ودخل أكثر البلاد وهو في كلّ ذلك يتصفّح الكتب ويتتبّعها .

بل وصاحب «الصحيفة الرابعة» الذي عاصرناه وشاهدناه ولم نر ولم نسمع بنظيره في عصره في التتبّع والتصفّح وجمع الكتب العزيزة الوجود والبحث والتنقيب عن آثار أهل البيت عليهم السلام طول عمره ، بحيث لم يكن له شغل سوى ذلك حتّى بلغ سنّ الشيخوخة .

وقد تعاقبوا على مقصد واحد ، واجتهد كلّ لاحق في أن يصل إلى ما لم يصل إليه السابق حتّى مَنّ الله علَيّ بأفضل ممّا أدركوا وسهّل لي الوصول إلى أصعب ممّا إليه وصلوا . فإنّ جمع مقدار من هذه الأدعية قبل أن تمدّ إلى ذلك يد أهون من الزيادة عليها ، والزيادة عليها قبل تتابع الأفكار وتعاقب الأنظار أهون منها بعد ذلك كما لايخفى ، ولكن ذَلِكَ فَضْلُ اللَهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . (٥٩)

فأنا أشكره على فضله وكرمه ، وأقول ما قلتُ تحدّثاً بنعمه ، على أنّي لستُ من فرسان هذا المجال ، ولكنّ الله تعالى أمر سفينة نوح عليه السلام فاستوت على أصغر الجبال .

وقد قال صاحب «الصحيفة الرابعة» : لولا المَثَل السائر كَمْ تَرَكَ الأَوّلُ لِلآخِرِ ، لما بقي بعد جهد هذين العالمين المتبحّرين ، يعني الحرّ العامليّ ، والفاضل الإصفهانيّ قدّس سرّهما ، وما كان لهما من الكتب والأعوان ما يلتقطه مثلي القاصر الفاقد للأعوان المبتلى بشرّ الأزمان في شرّ البلدان من مساكن أهل الإيمان ــ انتهى .

فإذا كان هذا قوله رحمه الله وشكواه من فقد الأعوان ومن البلد والزمان مع ما كان عليه من سعة الحال ، فما الذي يقوله مثلي يا ترى ؟!

هذا ولست أدّعي الإحاطة بجميع الأدعية المأثورة عنه عليه السلام ، بل ربّما يكون ما فات منّي أكثر ممّا وصل إليّ . وقد يتيسّر لمن يأتي بعدي أن يزيد على ما جمعته كما تيسّر لي أن أزيد على جمع من تقدّمني . فإنّ علوم آل محمّد عليهم الصلاة والسلام لا

تحصى ، ومآثرهم لا تستقصى . كيف وهي مأخوذة من مدينة العلم النبويّ ومستمدّة من منبع الفيض الإلهيّ ؟

ولعلّ ما خفي منها عنّا أكثر ممّا وصل إلينا . وعبادة زين العابدين عليه السلام ودعواته ومناجاته يعجز القلم عن إحصائها . وقد قال صاحب «الصحيفة الثالثة» : إنّ أكثر كتب الأدعية والأعمال ، وخاصّة من روايات قدماء أصحابنا قد تلف ، وما وصل إلينا منها أثر ولا عين . فكيف ندّعي الحصر والإحصاء ؟ ثمّ قال : إلّا أنّي قد بذلت نهاية مقدرتي وجهدي ... إلى آخره ــ انتهى . [٦٠]

وذكر المرحوم الأمين قدّس سرّه هنا تسعة تنبيهات . ثمّ أورد الأدعية. وقال في التنبيه الرابع: اعلم أنّي حين جمعي لهذه الأدعية ، لم أكن أتعرّض أوّلاً لأسانيدها وللكتب المأخوذة منها غالباً ، مع أنّي وجدتُ كثيراً منها متكرّراً في الكتب طلباً للاختصار كما فعل صاحب «الصحيفة الثانية» . مع عدم فائدة مهمّة في ذلك لسهولة الأمر في المستحبّات ، ولا سيّما الدعوات ، [٦١] مع أنّ إرسالها في كتاب المتأخّر لايقصر عن إرسالها في كتاب المتقدّم . ولنعم ما قال صاحب «الصحيفة الثالثة» في أثناء كلام له في خطبتها : إنّ أَهْلَ عَصْرِنَا لَمْ يَعْتَمِدُوا عَلَى مَرَاسِيلِ أَمْثَالِنَا إلّا وَقَدْ بَلِيَتْ عِظَامُنَا وَطَالَ زَمَانُ وَفَاتِنَا .

وفيه إشارةٌ إلى أنّ ما يرسله المعاصر لا يقصر عمّا يرسله المتقدّم مع تساويهما في الوثاقة ، إلّا أنّ أهل كلّ عصر قد طبعوا على استحقار معاصريهم ، ولا يظهر فضل الرجل غالباً إلّا بعد موته ، بل تقادم العهد لوفاته ، ولكنّه مع ذلك قد نقم على صاحب «الصحيفة الثانية» عدم ذكره لمأخذ الأدعية التي نقلها الموجب لخروجها عن حدّ المسانيد ودخولها في المراسيل . ولذلك فقد أشار هو عند ذكر كلّ دعاء إلى الكتاب الذي أخذه منه لكنّه كثيراً ما يهمل ذكر الأسانيد . ولعل بعضها لم يكن مسنداً في الكتب التي نقل عنها .

ولمّا عثرتُ على كلامه هذا عزمتُ على ذكر الأسانيد وأسماء الكتب التي نقلتُ عنها هرباً عن مثل هذا الاعتراض ، ولعدم خلوّ ذلك من فائدة ــ [٦٢] إلى آخر كلامه .

وقال في التنبيه التاسع : اعلم أنّ أكثر ما جمعناه في هذه الصحيفة الشريفة نقلناه من كتب معتبرة معتمدة . ومع ذلك فإنّ له منه عليه شواهد . فإنّ بلاغة ألفاظه وعلوّ مضامينه أقوى شاهد على صحّة نسبته . وبعضه ليس بهذه المثابة ، وبعضه في النفس منه شيء كما يظهر للناقد البصير ، لكنّا حيث لم نقطع بعدم صحّة نسبته ، لم يكن لنا عذر في تركه . فأثبتناه جاعلين عهدته على ناقله مع سهولة الأمر لعدم ترتّب حكم شرعيّ ، ورجاء حصول الثواب للداعي به . [٦٣]

ولكنّا قد عثرنا على غير واحدة من المناجاة المنظومة ممّا قطعنا بفساد نسبتها إليه عليه السلام لركاكة ألفاظها بحيث لايرضى من له أقلّ تمييز بنسبتها إلى نفسه ، فكيف يحتمل صدورها من منبع الفصاحة والبلاغة ؟ ومع ذلك ففي بعضها «لحن وإيطاء» ، وفي

بعضها إيطاء . فمن ذلك المناجاة التي أوردها صاحب «الصحيفة الرابعة» نقلاً عن خطّ بعض العلماء ، وأوّلها :

أَلَمْ تَسْمَعْ بِفَضْلِكَ يَا مُنَائِي
دُعَاءَ مِنْ ضَعِيفٍ مُبْتَلَاءِ

إلى تمام تسعة أبيات كلّها من هذا القبيل . ورَوِيّ بيتين منها لفظ الخطاء بالمدّ التي جمعت بين الخطأ والإيطاء . ورَوِيّ بيتين لفظة رجائي .

ومنه المناجاة التي أوردها هو نقلاً عن خطّ بعض العلماء أيضاً ، وأوّلها :

إِلَيْكَ يَا رَبِّ قَدْ وَجّهْتُ حَاجَاتِي
وَجِئْتُ بَابَكَ يَا رَبِّ بِحَاجَاتِي

إلى تمام أحد عشر بيتاً كلّها متساوية في الركاكة . ورَوِيّ البيت الثالث أيضاً لفظ حاجاتي . وبعض شطورها هكذا : أَنْتَ العَلِيمُ بِمَا يَحْوِي الضّمِيرُ بِهِ . وبعضها هكذا : وَارْحَمْ ذُنُوبِي بِمَا أَخْطَأْتُ وَارْحَمْنِي . وعذر صاحب «الصحيفة الرابعة» في إيرادهما عدم كمال معرفته باللسان العربيّ .

ومنه المناجاة التي وجدناها في كتاب محمّد الطبيب ، ولم يذكرها أحد من أهل الصحائف ، وأوّلها :

أُجِلّكَ عَنْ تَعْذِيبِ مِثْلِي عَلَى ذَنْبٍ
وَلَا نَاصِرٌ لِي غَيْرُ نَصْرِكَ يَا رَبِّ

إلى تمام خمسة عشر بيتاً يستحيي من له أقلّ معرفة من نسبتها إليه لصدورها ممّن لا يحسن علم العربيّة ، ولا يعرف معنى الفصاحة والبلاغة . وفيها : وَأَنَا عَبْدُكَ المَحْقُورُ فِي عِظَمِ شَأْنِكُمْ . وفيها :

وَتَقْلِبُنِي مِنْ ظَهورِ آدَمَ نُطْفَةً
أُحَدّرُ فِي قَعْرٍ صَرِيحٍ مِنَ الصّلْبِ
فَأَخْرَجْتَنِي مِنْ ضِيقِ قَعْرٍ بِمَنّكُمْ

وفيها :

فَحَاشَاكَ فِي تَعْظِيمِ شَأْنِكَ وَالعُلَى
تُعَذّبُ مَحْقُوراً بِإِحْسَانِكُمْ رَبّي
لِأَنّا رَأَيْنَا فِي الأَنَامِ مُعَظّماً
تَجَلّى عَنِ المَحْقُورِ فِي الحَبْسِ وَالضّربِ

إلى غير ذلك من أمثال هذه الهذيانات . (٦٤)

ثمّ يبدأ مصنّف «الصحيفة الخامسة» بذكر مائة وثلاثة وثمانين دعاء ومناجاة للإمام عليه السلام بالترتيب . وبخاصّة الأدعية الأحد والعشرين الساقطة من «الصحيفة الكاملة»

، فإنّه يذكر كلّ دعاء في موضعه المناسب ، وينبّه على أنّه من الأدعية الساقطة . ويحدّد كلّ دعاء من أدعية «الصحيفة الثالثة» للأفندي ، و«الصحيفة الرابعة» للنوريّ ، التي تفرّدا بنقلها . ويعيّن كلّ دعاء من أدعيته التي تفرّد هو نفسه بنقلها . ويشير إلى كلّ دعاء وُجِدَ في سائر المجاميع مع ذكر كتبه ومصادره . وتشغل هذه الأدعية ٤٩٤ صفحة من صحيفته . والحقّ أنّه بذل جهوداً مضنية في تدوينها بهذا النحو وتعب كثيراً في هذا السبيل . ونظّم وجمع أدعية كثيرة من الأدعية التي تتمتّع بشأن يذكر ، كما عرض تفصيل ذلك نفسه .

جَزاهُ اللَهُ عَنِ الإسْلَامِ وَالإيمَانِ وَالعِرْفَانِ وَالشّهودِ ، وَعَنْ مُنْشِئِ الصّحِيفَةِ سَيّدِ السّاجِدِينَ وَزَيْنِ العَابِدِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ التّحِيّةُ وَالسّلَامُ أَحْسَنَ الجَزَاءِ وِالثّوَابِ وَالإكْرَامِ .

«الصحيفة السادسة السجّاديّة» تدوين الشيخمحمّد صالح بن الميرزا فضل الله المازندرانيّ الحائريّ المولود سنة ١٢٩٧ ه

ذكرها في فهرس تصانيفه [٦٥]

لم يذكر آية الله المرعشيّ النجفيّ هذه الصحيفة في الاستدراك الذي كتبه على مقدّمة السيّد محمّد مشكاة ، الوارد في الشرح الفارسيّ لصحيفة السيّد صدر الدين البلاغيّ . بَيدَ أنّه ذكر صحائف ثلاث أُخرى بأرقام ومصنّفين مستقلّين ، فقال : و«السادسة» لشيخنا الفقيه المحدّث الحاجّ الشيخ محمّد باقر بن محمّد حسن البيرجنديّ القائنيّ .

و«السابعة» لشيخنا في الرواية العلّامة الشيخ هادي بن العبّاس آل كاشف الغطاء النجفيّ صاحب كتاب «مستدرك نهج البلاغة» وغيره .

و«الثامنة» لشيخنا العلّامة الحاج ميرزا عليّ الحسينيّ المرعشيّ الشهرستانيّ الحائريّ . [٦٦]

وإذا ضممنا صحيفة الحائريّ السادسة المذكورة في «الذريعة» إلى هذه الصحائف الثلاثة الأخيرة ، والصحيفة التي حملت عنوان الملحقات للملّا محمّد تقي الصوفيّ الزرآباديّ القزوينيّ ، فإنّ عدد الصحائف المذكورة يبلغ عشراً . ولكن ينبغي أن ننظر هل زادت هذه الصحائف الأربع الأخيرة شيئاً على «الصحيفة الخامسة» للمرحوم السيّد محسن الأمين ، أو أنّ هؤلاء الأعلام لمّا كانوا يعيشون في عصر واحد ، فكلّ منهم جمع لنفسه مستدركات معيّنة ، ولمّا لم تطبع ، ولم يطّلع أحدهم على مصنّفات الآخر ، فلعلّ تداخلاً قد حصل في أدعيتهم المرويّة ، ومن حيث المجموع لم يضيفوا شيئاً إلى الأدعية المجموعة في «الصحيفة الخامسة» للسيّد الأمين ؟!

الأمين ؟!

«الصحيفة السجّاديّة الجامعة»

انتشرت أخيراً مجموعة تحت عنوان «الصحيفة السجّاديّة الجامعة» . قام بتدوينها أحد الباحثين الكبار في حوزة قم المقدّسة . والحقّ أنّها بلغت درجة الكمال فيما يأتي :

(١) جمع كافّة الأدعية المنسوبة إلى الإمام السجّاد عليه السلام ، وجمع أدعية «الصحيفة الكاملة» ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، ومصادر أُخرى غيرها .

(٢) الذوق الرفيع الملحوظ في التصحيح ، والورق ، والتجليد ، والطبع ، وسائر المزايا . بخاصّة أنّها تميّزت بأربعة عشر فهرساً متنوّعاً في آخر الكتاب ، وببحث مفصّل يدور حول تواتر سند «الصحيفة الكاملة» والقطع به . كما تزيّنت بتنظيم تصميم ورسم بعض الأسناد الثابتة حتّى من فضيلة المدوّن نفسه معنعناً حتّى الإمام زين العابدين عليه السلام .

(٣) التبويب ، وترتيب الأدعية موضوعيّاً حسب الأُسلوب القديم .

(٤) سهولة الرجوع إلى كلّ دعاء مطلوب يختلف حسب الموضوعات والحالات المتباينة للداعي .

وهذه الصحيفة ذات قطع وزيريّ ، وحجم ملحوظ . وهي رائعة مهمّة في دلالتها على شخصيّة الإمام عليه السلام من جهة الحالات والأدعية والمناجاة .

بَيدَ أنّي سجّلتُ إشكالاً مهمّاً خطيراً انقدح في ذهني ــ والله العالِم ــ ويتلخّص هذا الإشكال في أنّ أدعية «الصحيفة الكاملة» قد اختلطت بأدعية سائر الصحف والمصادر . فصار يتعذّر تمييزها إلّا بالرجوع إلى الدليل الموجود في آخر الكتاب (الفهرس) .

ولمّا كانت الأدعية قد قُسّمت موضوعيّاً ، ولم يُشَرْ في عنوان كلّ دعاء إلى مصدره ، هل هو «الصحيفة الكاملة» أو غيرها ، فإنّ كلّ من أراد أن يقرأ دعاء «الصحيفة الكاملة» ، لا سبيل له إلى تعيينه إلّا الرجوع إلى فهرس تخريجاته واتّحاداته . علماً أنّ هذا الفهرس يدلّ فقط على أنّ الدعاء المرقّم كذا هو من الكاملة أو من غيرها . ولا يرشد القارئ إلى دعاء من «الصحيفة الكاملة» يريد أن يقرأه حسب ما يستدعيه حاله فيقول مثلاً : راجع الدعاء الفلانيّ !

ومن الواضح أنّ أدعية «الصحيفة الكاملة» بخصوصها ذات مزيّة من حيث المتن والمضمون ، والبلاغة والفصاحة ، والسند والمصدر ممّا يجعلها لا تقبل القياس بأدعية سائر الصحائف أبداً .

وتتمتّع «الصحيفة الكاملة» بسند متواتر قطعيّ وقد حافظت على تواترها منذ عصر الإمام عليه السلام حتّى الآن . وكان الأعلام من العلماء والمحدّثين يذكرون في إجازاتهم

ــ بخاصّة ــ «نهج البلاغة» وتلك الصحيفة . ولم يوردوها مجرّدة وإنّما مشفوعة بسند واحد ، بل بإسناد كثيرة ومتنوّعة في كلّ عصر .

ورواها المجلسيّ رضوان الله عليه فيكتاب الإجازات من «بحار الأنوار» بطرق عديدة ، منها عن والده العلّامة محمّد تقي المجلسيّ الأوّل ، إذ أخذها مباشرة من الإمام المهديّ قائم آل محمّد عليه السلام في عالم المنام مناولةً ورواها . (٦٧)

ثمّ رواها برواية والده محمّد تقي عن بعض مشايخه معنعناً . وقال العلّامة المجلسيّ الأوّل في خاتمتها : إلى غير ذلك من الطرق الكثيرة التي تزيد على الآلاف والأُلوف ، وإن كان ما ذكرته مع وجازته يرتقي إلى ستمائة طريق عالية . (٦٨)

وقال بعد أن ذكر رواية «الصحيفة» عن والده محمّد تقي ، عن طريق الشهيد الثاني : ما كان مكتوباً بعد هذه الإجازة الشهيديّة الثانويّة بخطّ الوالد العلّامة : أجزتُ للولد الأعزّ أن يروي عنّي «الصحيفة» بهذه الأسناد عن إمام الساجدين وزين العابدين والعارفين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب مع الإسناد الذي بلا واسطة عن صاحب الزمان وخليفة الرحمن صلوات الله وسلامه عليه الذي وقع في الرؤيا مع سائر الأسانيد التي تزيد على ألف ألف سند (مليون) . (٦٩)

ونلحظ أنّه بعد أن نقل رواية «الصحيفة» بأسناد كثيرة مختلفة عبر ذكر الحيلولات بين السند عن والده محمّد تقي ، عن الشيخ بهاء الدين العامليّ وسائر أساتذة إجازته وأعلامها ، أورد في خاتمتها لفظ أبيه ، وهو : ويرتقي الأسانيد المذكورة هنا إلى ستّة وخمسين ألف إسناد ومائة إسناد . (٧٠)

وكذلك عندما نقل في إجازة أُخرى رواية «الصحيفة» عن والده : العلّامة محمّد تقي عن طريق صاحب الزمان عليه السلام ، وعن خطّ الشّيخ شمس الدين محمّد صاحب الكرامات : جدّ الحسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائيّ العامليّ أعلى الله تعالى مقامهم ، وأيضاً صرّح المرحوم المجلسيّ الأوّل بكثرة الطرق من خلال ذكر الحيلولات ، قال في آخرها : والحاصل أنّه لا شكّ في أنّ «الصحيفة الكاملة» عن مولانا سيّد الساجدين بذاتها وفصاحتها وبلاغتها ، واشتمالها على العلوم الإلهيّة التي لا يمكن لغير المعصوم الإتيان بها . والحمد للّه ربّ العالمين على هذه النعمة الجليلة العظيمة التي اختصّت بنا معشر الشيعة ، والصلاة على مدينة العلوم الربّانيّة ، سيّد المرسلين وعترته أبواب العلوم والحكم القدّوسيّة والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته .

نمّقه محمّد تقي بن مجلسيّ في غرّة شهر الله الأعظم رمضان لسنة أربع وستّين بعد الألف والأسانيد المذكورة هنا خمسة آلاف وستمائة وستّة عشر إسناداً . (٧١)

ونلحظ بين إجازات المجلسيّ الأوّل كلمة لَا يُحْصَى كثيراً ، أي : أنّ الأسناد من الكثرة بحيث يتعذّر حصرها وإحصاؤها ، مثلاً قال في إحدى حيلولات إجازة «الصحيفة» عن الشيخ البهائيّ :

وبالأسانيد السابقة وغيرها ممّا لَا يُحْصَى بواسطة الشهيد وبغيرها عن السيّد تاج الدين ، عن جمّ غفير من علمائنا الذين كانوا في عصره . (٧٢)

وقال أيضاً وسط إجازته عن والد الشيخ البهائيّ ضمن حيلولة : والذي رأيتُ من أسانيد «الصحيفة» بغير هذه الأسانيد فَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى . (٧٣)

أجل ، إذا كانت «الصحيفة الكاملة» على هذه الدرجة من الإتقان ، فكيف يمكن خلط أدعيتها بسائر الأدعية التي لا تبلغ مستواها ، أو التي تعرف بضعف سندها أحياناً ، أو التي يبدو التشويش على متنها وألفاظها ؟!

ومن وحي ذلك الإتقان والرصانة والإحكام كان العلماء الأعلام في كلّ زمان يكتبونها بخطّهم ، ويقابلونها ، ويبذلون قصارى جهودهم في المحافظة على عباراتها وكلماتها نفسها ، ويذكرون تلك الأدعية عينها في إجازاتهم ، ويوصون تلاميذهم والأشخاص المجازين من قبلهم بالاحتياط . أي : أنّهم كانوا يتشدّدون كثيراً في إجازة روايتها للآخرين ، وفي نقلها وحكايتها لئلّا تتغيّر فيها كلمة أو حرف ، أو ينالها تحريف وتبديل ، لا سمح الله .

وهذا هو معنى الاحتياط المألوف الذي يوصي به مشايخ الإجازة في إجازاتهم لمن يجيزونهم !

وحينئذٍ هل يتسنّى لنا أن نساوي صحيفة هي كالقرآن في تواتر سندها ، وحملت عنوان «إنجيل أهل البيت» ، و«زبور آل محمّد» (٧٤) ــ وهما مشهوران متداولان في الكتب ــ مع أدعية غير فصيحة لا ترقى إلى مستوى عالٍ من المعارف الإلهيّة ؟ أو أنّها فصيحة بَيدَ أنّ معارفها قاصرة عن بلوغ ذلك المستوى الرفيع من المعارف ؟ وهل يمكننا أن نجعلها في سِلك واحد ؟!

وهل يعني هذا العمل غير جعل العالم مع الجاهل ، واللؤلؤ البرّاق مع الخزف ، والفيروزج مع الخرز ، ونظمها جميعها في عقد واحد ؟!

وعندما يقرّ المؤلّف المحترم في موضع من صحيفته أنّ الدعاء ٢٠١ المروي في الصحيفة ٢٢٨/٥ ، الدعاء ٦٧ عن كتاب «أنيس العابدين» و«بحار الأنوار» وفي «الصحيفة الرابعة» ، قد قال فيه صاحب «الصحيفة الخامسة» أعني : آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ ما نصّه : وَلَكِنْ فِي عِبَارَاتِهِ مَا يُوهِنُ الجَزْمَ بِكَوْنِهِ مِنَ الإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقْوَى كَوْنُهُ مِنْ تَأْلِيفِ مَنْ لَا يُحْسِنُ العَرَبِيّةَ ، (٧٥) فكيف ذكره بطوله ومضامينه الباردة ، وجعله في عداد أدعية «الصحيفة الكاملة» ؟!

وأورد المرحوم المحدّث النوريّ في آخر صحيفته الرابعة مناجاتين منظومتين منسوبتين إلى الإمام وجدهما بخطّ بعض العلماء ، ومطلع أوّلهما :

* أَلَمْ تَسْمَعْ بِفَضْلِكَ يَا مُنَائِي * ؟

ومطلع الأُخرى :

* إِلَيْكَ يَا رَبِّ قَدْ وَجّهْتُ حَاجَاتِي *

والأُولى تسعة أبيات ، والثانية أحد عشر بيتاً . [٧٦] وسبق لنا أن نقلناهما عن آية الله الأمين الذي لم يذكرهما في صحيفته الخامسة ــ مع أنّه نقل كافّة أدعية «الصحيفة الثالثة» و«الصحيفة الرابعة» ــ وعدّهما في التنبيه التاسع الوارد في مقدّمة صحيفته موضوعتين ، ركيكتين ، قد صدرتا من شخصٍ لا يحسن العربيّة .

ولكنّ مدوّن «الصحيفة السجّاديّة الجامعة» قد ذكرهما معاً . والعجيب أنّه قال : وَنَحْنُ نُورِدُهُمَا كَذلِكَ مَعَ اعْتِقَادِنَا بِعَدَمِ صِحّةِ نِسْبَتِهِمَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ السّلَامُ ، لِمَا فِيهِمَا مِنْ ضَعْفٍ فِي نَظْمِهِمَا وَلَفْظِهِمَا ، وَهُوَ عَلَيْهِ السّلَامُ عَيْنُ الفَصَاحَةِ وَمَنْبَعُ البَلَاغَةِ . وَقَدْ قَطَعَ السّيّدُ الأَمِينُ بِفَسَادِ نِسْبَتِهِمَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ السّلَامُ فِي مُقَدّمَةِ الصّحِيفَةِ «٥» وَقَالَ : عُذْرُ صَاحِبِ الصّحِيفَةِ «٤» فِي إِيرادِهِمَا عَدَمُ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ بِاللّسَانِ العَرَبِيّ . [٧٧]

لو فرضنا أنّ الإمام السجّاد عليه السلام عاتب المحدّث النوريّ وآخذه قائلاً له : لِمَ ذكرت هذه الأدعية الركيكة الخالية من السند في عِداد أدعيتي ونَسَبْتَها إليّ ؟! وأنّ المرحوم الأمين نهض للدفاع عنه مطايبةً وقال : عذره عدم كمال معرفته باللسان العربيّ . فماذا يقول المؤلّف المحترم للإمام عليه السلام إذا عاتبه بقوله : إذا كنتَ تعترف بفساد نسبتهما إليّ ، فَلِمَ ذكرتَهما في صحيفتك الجامعة ونسبتهما إليّ ، ومن ثمّ جعلتهما في عداد أدعية «الصحيفة الكاملة» ؟!

وهل يملك جواباً غير قوله : أردتُ أن تكون صحيفتك يا مولاي أكبر وأضخم ؟!

بَيدَ أنّ أصل الإشكال هنا وهو : لماذا لا نبيّن ولا نكتب ولا نقرأ الأدعية كما وردت ؟! ولماذا لا نطبع «الصحيفة الكاملة» على حِدة ؟! ولماذا لا نقدّم «الصحيفة الثانية» و«الثالثة» ، و«الرابعة» ، و«الخامسة» إلى الناس كما هي عليه بلا أدنى تصرّف فيها ، لكي نحذر من التلاعب في كلام الإمام ، وفي كلام أصحاب الصحائف ؟ ولماذا لا نفرز الصحيح من السقيم ؟ ولماذا نخلط الصواب والخطأ ، والمتيقّن منه والمشكوك فيه ؟!

والصحيح هو أن نجعل كتاب الدعاء كما ورد ، بخاصّة إذا كان دعاء من أدعية «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ونضعه على النّسَق المأثور عن الإمام عليه السلام . أفلا يعني إقحامه في غيره تمثيلاً به ؟!

ولقد أصبح مألوفاً اليوم في طبع كتب الأعلام أن يتصرّف محقّقها أو مصحّحها أو المعلّق عليها في عبارات مصنّفيها تصرّفات لا تُسَوّغُ بحالٍ ، وذلك من خلال عبارة مَزِيدَةٌ مُنَقّحةٌ . وهذا ذنب كبير .

ويبلغ الأمر حدّاً أنّنا لا نلاحظ اهتماماً بنفس الكتاب أبداً ، لأنّنا لا ندري كم بذل المصحّح من جهودٍ عليه ؟ وإلى أيّ درجة تتطابق مطالب الكتاب مع كلام المؤلّف ؟

ولهذا نجد في الطبعة الأخيرة لكتاب «الوافي بالوفيات» قد كتب على ظهر الأجزاء الأُولى منه عبارة : الطّبْعَةُ الثّانِيَةُ غَيْرُ المُنَقّحَةِ . (٧٨) أي : ليعلم الناس أنّ محتويات الكتاب سلمت من تلاعب المتصدّين لطبعه ونشره .

لقد جمع المؤلّف المحترم الأدعية برمّتها ، وبوّبها حسب الموضوعات ، وجعل كلّ موضوع في باب مستقلّ . فقد ذكر ــ مثلاً ــ في بداية الكتاب ثمانية أدعية في موضوع التحميد والتوحيد والتسبيح والتمجيد على النحو الآتي :

الأوّل : إذَا ابْتَدَأَ بِالدّعَاءِ بَدَأَ بالتّحْمِيدِ لِلّهِ عَزّ وَجَلّ وَالثّنَاءَ عَلَيْهِ : الحَمْدُ لِلّهِ الأَوّلِ بِلَا أَوّلٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَالآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ ... إلى آخره .

الثاني : فِي التّحْمِيدِ لِلّهِ عَزّ وَجَلّ :

الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي تَجَلّى لِلْقُلُوبِ بِالعَظَمَةِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ بِالعِزّةِ ... إلى آخره .

الثالث : فِي التّوحِيدِ :

إلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةُ جَلَالِكَ ، فَجَهِلُوكَ وَقَدّرُوكَ بِالتّقْدِيرِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْتَ بِهِ شَبّهُوكَ ... إلى آخره .

الرابع : فِي التّسْبِيحِ :

سُبْحَانَكَ اللهُمّ وَحَنَانَيْكَ ، سُبْحَانَكَ اللهُمّ وَتَعَالَيْتَ ... إلى آخره .

الخامس : فِي تَسْبِيحِ اللّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ :

سُبْحَانَ مَنْ أَشْرَقَ نُورُهُ كُلّ ظُلْمَةٍ ، سُبْحَانَ مَنْ قَدّرَ بِقُدْرَتِهِ كُلّ قُدْرَةٍ ... إلى آخره .

السادس : إذَا تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : «وَإِن تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لَا تُحْصُوهَا» : سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعَمِهِ إلّا المَعْرِفَةِ بِالتّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إدْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ العِلْمِ بِأَنّهُ لَا يُدْرِكُهُ ... إلى آخره .

السابع : فِي التّمْجِيدِ :

الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي تَجَلّى لِلْقُلُوبِ بِالعَظَمَةِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ بِالعِزّةِ ... إلى آخره .

الثامن : إذَا مَجّدَ اللّهَ وَاسْتَقْصَى فِي الثّنَاءِ عَلَيْهِ :

اللهُمّ إنّ أَحَداً لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً وَإِنْ أَبْعَدَ إلّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرَكَ ... إلى آخره .

ويختم الموضوع هنا ، ثمّ يدخل في موضوع الصلوات ، وهو الدعاء التاسع . (٧٩)

ولا يلاحظ في هذه الأدعية ما يميّزها بعضها عن بعض ، فيُعرف المتيقّن صدوره عن الإمام من غيره ، إلى أن يصل إلى خاتمة الكتاب في الفهرس الثالث عشر الذي يشتمل على تخريجات «الصحيفة الجامعة» واتّحاداتها ، ويحدّد هناك أنّ الدعاء الأوّل من «الصحيفة الأُولى» .

وأنّ الدعاء الثاني في «الصحيفة الثالثة» ، وفي «الصحيفة الثانية» حسب نقل «الصحيفة الثالثة» ، وهو موجود في «الصحيفة الخامسة» .

والدعاء الثالث في «إرشاد الشيخ المفيد» ، ونُقِلَ من «مطالب السئول» .

والدعاء الرابع في «ملحقات الصحيفة الأُولى» ، وفي «الصحيفة الثانية» ، وذكره الكفعميّ في مصباحه .

والدعاء الخامس في «دعوات الراونديّ» ، و«الصحيفة ٣» ، و«الصحيفة ٥» .

والدعاء السادس في «تحف العقول» ، و«الصحيفة ٤» ، و«الصحيفة ٥» .

والدعاء السابع في «ملحقات الصحيفة الأولى» ، وفي «الصحيفة ٢» .

والدعاء الثامن في «الصحيفة ٣» . وهو أحد الأدعية الإحدى والعشرين الساقطة . حكاه صاحب «الصحيفة الخامسة» . (٨٠)

وإذا قيل : إنّنا نريد أن نبوّب الأدعية كلّها حسب موضوعاتها ! فإنّنا نقول في الجواب : لِمَ تريدون أن تجمعوا الأدعية المسلّمة والمتيقّنة مع الأدعية المشكوكة والواهية من حيث المتن والسند ؟! ومَن الذي ألزمنا بهذا العمل ؟ وما هي فوائد التبويب حسب الموضوع أساساً ؟! ولو كان هذا الأمر صحيحاً ، فَلِمَ لَمْ يُبَوّب الإمام السجّاد عليه السلام نفسه أدعيته في «الصحيفة الكاملة» ؟! ولِمَ لَمْ تُبَوّبِ السورُ والآياتُ القرآنيّة ؟!

إنّ القرآن الكريم كتاب تلاوة وعمل ، ومصدر لكسب المعنويّات . وتُلَاحَظُ في كلّ سورة آيات متنوّعة تشتمل على مطالب عرفانيّة ومعارف إلهيّة ، ووحدة الحقّ الأقدس تعالى بصور وأشكال متباينة . وينبغي أن يكون هكذا . لأنّ قارئ القرآن في كلّ يوم وليلة ، وفي كلّ حالة متفاوتة يحتاج إلى جميع ضروب النصائح والمواعظ والحِكَم . وعليه أن يتوجّه إلى التوحيد في كلّ لحظة ، وينبغي أن تدور آيات الأحكام في وسطها دائماً . فليس للقرآن أوّل ولا آخر . وكلّه سواء .

وهذا هو كتاب الوحي السماويّ ، وورقة العمل لظهور الأحوال المعنويّة والحياة الخالدة الزاخرة بالنعم السرمديّة الباقية ، دنيويّة كانت أم أُخرويّة . ولهذا نجد سوره وآياته كالطبيعة النقيّة صافيةً بلا تدخّل ولا تصرّف ، ليلها ونهارها متفاوتان ، جبالها مختلفة ، سهولها وصحاراها غير متناسبة ، شمسها وقمرها مرّة في أوجهما ، وأُخرى في حضيضهما . لفصولها الأربعة في كلّ نقطة من العالم حكم خاصّ . ولكلّ من أنهارها وبحارها ومحيطاتها حجم وسعة وحكم مخصوص ، ومياه مختلفة .

وهذا الاختلاف الطبعيّ والطبيعيّ هو الذي يقيم العالم . وإذا قُدّر أن تكون الأشياء كلّها متساويةً ذات شكلٍ واحد ولون واحد وحجم واحد وحرارة واحدة ، فلن يستقيم أمر العالم لحظة واحدة ، ولتجرّع بكلتا يديه كأس المنون ، وكان مصيره إلى الفناء والعدم والهلاك .

وهكذا دأب القرآن ، وكتاب الدعاء ، وكلّ كتاب إلهيّ ، لأنّه أُخذ من فهم النفوس والأرواح التي تعيش في هذا العالم المليء بالاختلاف ، وتحت سمائه الزرقاء .

ولو أردتَ مثلاً أن تبوّب القرآن الكريم على شكل مباحث موضوعيّة ومطالب مصنّفة ! فإنّك ستجمع آيات الأحكام المتعلّقة بالإرث والنكاح والطلاق في مكان ، وآيات العبادات المرتبطة بالحجّ والصلاة والصيام في مكان ، وآيات البيع والدّين والرهن في مكان ، والآيات التوحيديّة والمعارف الإلهيّة في مكان ، وحينئذٍ لايعود القرآن قرآناً . ولا يكون قرآناً كريماً ومجيداً ، ولا يتّصف بصفة المجد والكرم ، ولا يصدق عليه عنوان لَا يَمَسّهُ إِلّا الْمُطَهّرُونَ . (٨١)

وسيصبح كتاباً عاديّاً كسائر الكتب . ولن يحمل عنوان المعجزة ، والخلود ، والأبديّة . ولن يهب الإنسان الباحث عن الله روحاً . ولن يكون مربّياً للأرواح .

لقد كان محمّد علي فروغي عالماً . ويظهر من كتاب «سير حكمت» في أُوروبّا ، ومن تصحيحه بعض الكتب والتعليق عليها أنّه رجل مثقّف مطّلع . بَيدَ أنّه كان في عصر رضا خان بهلوي علَماً من أعلام الاستعمار الإنجليزيّ في إيران . وبلغ تعاونه مع رضا خان والانجليز درجة بحيث يجب أن يؤلّف كتاب بل كتب في هذا المجال حقّاً . وفي زمانه أُلغيت تلاوة القرآن في المدارس وحلّ محلّها بعض الآيات المنتخبة .

وكان عازماً على تلخيص القرآن ، وحذف الآيات المتكرّرة ، بَيدَ أنّ يد الغيب الأحديّة صفعته على رأسه ، إذ لمّا دخل الجيشان الروسيّ والإنجليزيّ إيران ، فإنّه فزع إلى أسياده فأمروه بالاستقالة ، ولاذ بالفرار ولِلّهِ الحَمْدُ ولَهُ المِنّة إذ انكسر الدنّ وأُريق ما في الصواع . (أي : انتهى كلّ شيء وانتفى أصل الموضوع) .

إنّ لكلّ عبارة وكلمة في القرآن الكريم ، و«نهج البلاغة» ، و«الصحيفة الكاملة السجّاديّة» موضوعيّة ، وينبغي أن لاينالها تغيير وتبديل وتحريف ، وأن لا تتفرّق وتُلْحَق بسائر الكتب ، وأن لا تُلْحَق بها كتب أُخرى .

وإذا أراد شخص أن يؤلّف مستدركاً على «نهج البلاغة» فالطريق أمامه مفتوح ، بَيدَ أنّه لا حقّ له أن يُقحمه في «نهج البلاغة» ، ويخلطه بخطبه حسب الموضوعات .

إنّ «نهج البلاغة» مِن البَدْوِ إلَى الخَتْمِ هو من اختيار الشريف الرضيّ لخطب أمير المؤمنين عليه السلام وكُتُبه وحِكَمه . وله أُسلوب خاصّ ومعانٍ مخصوصة لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ . فإذا زعم أحد أنّه يجمع بقيّة الخُطَب ، فهنيئاً له ، ولكن كما كتبوا ويكتبون ،

فعليه أن يكتب وينظّم مستدركاً مستقلاً خاصّاً لها ، ويفرده في كتابٍ على حِدَة ، ولا يجعله مع أصل «نهج البلاغة» في مجلّد واحد ، وذلك لكي يُحفَظ شأن ومقام كلّ خطبة وكتاب في موضعهما .

هل يمكننا أن نجعل القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل ونبوّبه معهما بشكل مباحث موضوعيّة ومطالب علميّة ، ونجمعه معهما في مجموعة واحدة بحيث لا تتميّز آياته عمّا ورد فيهما ، وبحيث نحتاج إلى فهرس لتمييزها ، حتّى لو فرضنا أنّ ذينك الكتابين هما الكتابان الأصليّان اللذان لم يُحرّفا ؟ وهل يتسنّى لنا مثلاً أن نجعل في رأس كلّ صفحة علامة لتمييز الآيات القرآنيّة وتمييز نصوص التوراة والإنجيل ؟ وهذا المثال المذكور هنا هو أبرز الأمثلة المتصوّرة وأبينها . ومن الواضح أنّ هذا العمل غير سديد أبداً . فللقرآن الكريم ــ عقلاً وشرعاً وشهوداً ــ خصائص ومزايا وآثار وقيود معيّنة ، فينبغي أن لا يُخلط بسائر الكتب وإن كانت أحاديث قدسيّة وألواح سماويّة .

أجل ، إنّ خلط مثل هذه الأدعية ، والإرجاع إلى فهرس الكتاب من أجل تعيينها ، وأخيراً التنصّل عن المسؤوليّة والتخلّص من المؤاخذة بهذا الطريق تماماً كما يخاف شارب الخمر من عقوبة الشرطة فيقول : شربتُ شَرَقاً وما شربتُ شراباً ولا عرقاً .

وتوضيح ذلك أنّ ابن عمّتي سماحة آية الله السيّد مهدي الروحانيّ [٨٢] دامت بركاته نجل المرحوم آية الله السيّد أبو الحسن الروحانيّ القمّيّ تحرّك من قم يوم الثلاثاء في الثامن من ربيع الآخر ١٤١٣ ه قاصداً مشهد المقدّسة لزيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وتفضّل بالمجيء إلى بيتي من أجل عيادتي . وجرى أثناء كلامنا حديث حول قائد الثورة الفقيد آية الله الخمينيّ رضوان الله عليه ، وآية الله المنتظريّ دامت معاليه .

وذكر أنّ الشيخ المنتظريّ تباحث ذات يوم مع السيّد الخمينيّ حول موضوع معيّن . وما يتذكّره منه هو أنّ آية الله الخمينيّ كان يقول : يجتمع هذا الحكم مع ذلك الحكم ولا إشكال في اجتماعهما ، وإن كان كلّ منهما ممتنعاً في نفسه عند عدم الاجتماع .

فهبّ تلميذه معارضاً ، واحتدم النقاش بينهما كما هو شأن طلّاب العلوم الدينيّة ، وأصرّ السيّد الخمينيّ على رأيه ، ولم يتنازل الشيخ المنتظريّ عن رأيه أيضاً ، بَيدَ أنّه كان يحاول أن يثبت مطلبه ، فلم يفلح ، إذ كان أُستاذه يحول دون ذلك .

وأخيراً قال الشيخ بلهجته الإصفهانيّة : أتعلم ما هو الموضوع ؟! إنّ استدلالك على الحلّيّة وجواز حكم ذينك الموضوعين معاً كحلّيّة شُرب الشّرَق تماماً !

وسأله الحاضرون بما فيهم أُستاذه السيّد الخمينيّ : ماذا تريد من حلّيّة شُرب الشّرَق ؟

قال : كان أحد الماجنين دائم السّكْر ، وأصبح الإدمان على الشراب أمراً مألوفاً عنده ، وما عاد يستطعم الخمر وحده فكان يخلطه بالعَرَق ويشربه .

وقُبض عليه يوماً وهو سكران فأُتي به إلى الشرطة ليقرّ ويقام عليه الحدّ .

وكلّما أراد منه القاضي أن يقرّ ، لم يفعل وكان يقسم أيماناً مغلّظة على ذلك . علماً أنّ حالته كانت واضحة للناس والقاضي ، فلم يَسَعْهم أن يتركوه . وسأله القاضي : هل شربتَ شراباً ؟!

قال : لم أشرب قطرة واحدة !

قال : شربتَ عَرَقاً ؟!

قال : لم أشرب قطرة واحدة !

قال : فما بالك تتمايل في مشيتك ؟!

قال : شربتُ شَرَقاً ولم أشرب خمراً ولا عَرَقاً .

قال : ماذا تريد ؟!

قال : أنا دائماً أخلط الشراب بالعَرَق وأشربه ! والشّرَق حلال يا عمّي ! والشراب حرام . والعَرَق حرام .

قال آية الله الروحانيّ : كانت الغلبة في هذا البحث للشيخ المنتظريّ ، وكنتُ سابقاً قد سمعتُ مثل هذا النقاش مختصراً من آية الله السيّد موسى الشبيريّ الزنجانيّ دامت بركاته .

ويرى بعض المجتهدين المعاصرين أنّ حقّ التأليف والترجمة مشروع لصاحبه ، بينما لا يرى البعض الآخر منهم ذلك . [٨٣] مثلاً إذا ألّف شخص كتاباً ، فهل يحقّ له أن يستأثر بطبعه في فترات مختلفة ودرجات متباينة ، أو لا يحقّ له ذلك مكتفياً بالطبعة الأُولى ، إذ يتسنّى لكلّ أحد أن يطبع الكتاب على النسخة التي اشتراها لنفسه ، ويعرضه في السوق ؟!

أو إذا اخترع شخص شيئاً ، فصنع مصباحاً أو سيّارةً ، أو رسم لوحةً ، فهل يحقّ للآخرين أن يصنعوا مثل ما صنع ، أو يرسموا مثل لوحته ؟ أو أن يستنسخوا على ذلك ، ويهيّئوا عدداً كبيراً منه ويعرضوه في السوق ، أو لا يحقّ لهم ؟

كان أُستاذنا سماحة العلّامة آية الله السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ أعلى الله درجته السامية يرى أنّ التأليف ، والترجمة ، والتلخيص ، والتبويب الموضوعيّ للمباحث من حقّ المتصدّي لذلك ، وكلّ تصرّف بدون إذنه تصرّف في الحقّ المشروع للآخرين . وكان يفتي بحرمة ذلك شرعاً وعقلاً . أمّا الذين يقولون : هذا الحقّ غير شرعيّ ، ولا يخصّ صاحب الكتاب والصناعة ، فعليهم أن يأتوا بأدلّتهم .

وأن يقولوا مثلاً : إنّ هذا الحقّ وإن كان شائعاً بين الناس هذا اليوم ، بَيدَ أنّه لا يستلزم ثبوت الحقّ في الشرع الأنور ، وما لم نستطع أن نثبت الحقّ الشرعيّ ، لا نقدر أن نجعل ذلك لمؤلّف الكتاب أو صاحب الصناعة . والحقّ الشرعيّ هو الحقّ الذي يثبت

في عصر الشارع ، وهو رسول الله وخلفاؤه بالحقّ وهم الأئمّة الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والحقّ اليوم في عُرف الناس لا يكشف عن ثبوت الحقّ عند الشارع أبداً . (٨٤)

إذ يمكن أن يكون هذا الحقّ في عصر الشارع غير معروف عند الناس ، أو هو معروف ، لكنّ الشارع لا يُمضيه ، ولا يتمّ الموضوع ما لم نكشف الإمضاء الشرعيّ لثبوت الحقّ العُرفيّ ذلك اليوم . وإذا قال شخص : يمكن أن يكون ثبوت الحقّ العُرفيّ هذا اليوم دليلاً على ثبوت الحقّ الشرعيّ ذلك اليوم ، أي : أنّ ثبوت الحقّ العُرفيّ هذا اليوم دليل على ثبوت الحق العُرفيّ ذلك اليوم ، ولمّا لم يصل ردع ومنع من الشارع ، قلنا أن نكشف عن الإمضاء الشرعيّ ؛ فكلامه لايتمّ لأنّ ثبوت الحقّ العُرفيّ هذا اليوم لا يُثبت الحقّ العُرفيّ السابق إلّا بالاستصحاب القهقرائيّ المُجْمَع على عدم حُجّيّته . ولمّا كنّا لا نملك طريق الإثبات على الحقّ العرفيّ في زمن الشارع ، فإنّ الكشف عن الإمضاء الشرعيّ سيُصبح في غير سَدَد .

أو يقولوا مثلاً : النّاسُ مُسَلّطُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ دليل على تسلّط غير صاحب الكتاب على نسخته المأخوذة والمملوكة . فله أن ينسخ على تلك النسخة عدداً كبيراً منها .

ولا يتمّ هذا الدليل أيضاً إذ يُحتمل هنا حقّ الغير ، وجملة الناس مسلّطون مقيّدة بعدم تضييع حقّ الغير ، كما أنّ التمسّك بهذه الرواية لإثبات حقّ التأليف لصاحبه غير سديد، لأنّ هذا التسلّط فرع على ثبوت المال أو الحقّ الذي هو في حكم المال . والإشكال في أصل ثبوت الحقّ . والحكم لا يثبت موضوعه ، وعدم صحّة التمسّك بدليل حكم ، على فرض عدم تماميّة الموضوع ، من البديهيّات .

أو يقولوا مثلاً : إنّ ثبوت حقّ التأليف لصاحبه لا يوجب عدم انتفاع العامّة من ذلك التأليف ، ولا معنى لأن يُوجِد الشارع مثل هذا التقييد فيوجب عدم انتفاع العامّة .

وفي هذا الدليل إشكال طَرْداً وعَكْساً مضافاً إلى ضعف أصل الدليل . وأمّا أولئك الذين يرون أنّ حقّ التأليف ثابت ، فلعلّ بعضهم يتمسّك بالقاعدة القائلة : لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الإسلَامِ . وفي هذا التشبّث ما لا يخفى من الإشكال أيضاً .

إذ إنّ الدليل أخصّ من المُدّعى ، ذلك أنّه ربّما لايوجب الضرر . مضافاً إلى أنّنا ينبغي أن نعدّه مقتصراً على موارد الضرر ، وغالباً ما يكون عدم حقّ التأليف غير موجب للضرر ، بل موجب لعدم النفع الكثير . ودليل لا ضرر يشمل حالة خصوص الضرر ، لا حالة عدم الانتفاع .

وفي رأي الحقير أنّ حقّ التأليف حقّ ثابت ومشروع ، لأنّ العرف يعدّه معروفاً ، ويرى أنّ تضييعه والتصرّف فيه بدون إذن المؤلّف منكر . وفي ضوء ذلك تشمله الآية الكريمة:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . [٨٥]

والعُرف هو العمل الحسن المحمود المعروف بين الناس ، وقد أنسوا به ، وأمضوه ، وألفوه ، وساروا في سلوكهم على منواله .

والمنكر هو العمل القبيح المذموم غير المعروف ، الذي يرفضه الطبع ولا يستصوبه ، ويراه شاذّاً .

وكذلك الآية الكريمة:

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ [٨٦]

والآية الكريمة:

الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيّ الْأُمّيّ الّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التّوْرَبَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهيهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ [٨٧]

وسائر الآيات الواردة على هذا النسق ، كلّها تشمل هذه الحالة ، وتُثبت حقّ التأليف .

ولا يعني العُرف العادة والأُسلوب ، بل يعني الأُسلوب المحمود والمطلوب . والمنكر هو القبيح . وفي ضوء ذلك ، فإنّ كلّ ما عُرِف عند عامّة الناس عُرفاً ومعروفاً ، فإنّ الآيتين وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ تشملانه ، إذ لا يلزم شيء آخر لشمول الحكم لموضوعه إلّا تحقّق نفس الموضوع .

ولمّا كنّا نعلم أنّ سواد الناس في محاوراتهم واجتماعاتهم يرون حقّ التأليف معروفاً ، وتضييعه منكراً ، لهذا فإنّ الآيات الآمرة بالعُرف والمعروف ، والآيات الناهية عن المنكر تشملهما .

ونذكر فيما يأتي معنى العُرف والمعروف ، والنكر والمنكر نقلاً عن بعض كتب اللغة المعتبرة لتستبين حقيقة هذا البحث .

قال في «أقرب الموارد» : العُرف بالضمّ : المعروف والجود ، واسم ما تبذله وتعطيه . وموج البحر . وضدّ النكر .

وهو كلّ ما تعرفه النفس من الخير وتطمئنّ إليه . تقول : أوْلَاهُ عُرْفاً ، أي : معروفاً .

عُرف اللسان : ما يُفهَم من اللفظ بحسب وضعه اللغويّ ؛ وعرف الشرع : ما فهم منه حملة الشرع وجعلوه مبنى الأحكام .

والعُرف : هو ما استقرّ في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقّته الطباع السليمة بالقبول . والعادة ما استمرّ الناس عليه عند حكم العقول وعادوا له مرّة بعد أُخرى . ومنه قول الفقهاء : العَادَةُ مُحَكّمَةٌ [٨٨] وَالعُرْفُ قَاضٍ .

وقال في كلمة المَعْرُوف : المعروف اسم مفعول ، والمعروف المشهور ، وضدّ المنكر . وهو كلّ ما يحسن في الشرع . وقيل : هو كلّ ما سكنت إليه النفس واستحسنته

. والمعروف : الخير . والرزق . والإحسان . ومنه قولهم : مَنْ كَانَ آمِراً بِالمَعْرُوفِ فَلْيَأمُرْ بِالمَعْرُوفِ .

وقال في «مجمع البحرين» : قوله : إلّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ؛ [٨٩] المعروف اسم جامع لكلّ ما عُرف من طاعة الله ، والتقرّب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكلّ ما يندب إليه الشرع من المحسّنات ، وينهى عنه من المقبّحات .

وإن شئت قلتَ : المعروف اسم لكلّ فعل يُعرف حُسنه بالشرع والعقل من غير أن ينازع فيه الشرع .

قوله تعالى : فَأَمْسِكُوهُنّ بِمَعْرُوفٍ ، [٩٠] أي : بحسن عِشرة وإنفاق مناسب . أَوْ فَارِقُوهُنّ بِمعْرُوفٍ [٩١] بأن تتركوهنّ حتّى يخرجن من العدّة فتبين منكم ، لا بغير معروف بأن يراجعها ، ثمّ يطلّقها تطويلاً للعدّة وقصداً للمضارّة .

قوله : إِلّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مّعْرُوفًا ، [٩٢] قيل : هو التعرّض بالخِطبة .

قوله : فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ، [٩٣] أي : ما يسدّ حاجته وفي المعروف : القوت . وإنّما عنى الوصيّ والقيّم في أموالهم بما يصلحهم .

قوله : وَصَاحِبْهُمَا فِى الدّنْيَا مَعْرُوفًا ، [٩٤] أي : بالمعروف ! والمعروف ما عُرِف من طاعة الله ، والمنكر ما أُخرج منها .

وقال ابن الأثير في «النهاية» ، مادّة عَرَفَ : قد تكرّر ذكر المعروف في الحديث ، وهو اسمٌ جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله والتقرّب إليه والإحسان إلى الناس ؛ وكلّ ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات . وهو من الصفات الغالبة ، أي : أمرٌ معروفٌ بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه .

والمعروف : النّصَفَة وحُسن الصّحبة مع الأهل وغيرهم من الناس . والمنكر ضدّ ذلك جميعه .

وقال الجوهريّ في «صحاح اللغة» : والمعروف ضدّ المنكر . والعُرف ضدّ النكر . يُقال : أَوْلَاهُ عُرْفاً ، أي : معروفاً .

وقال الزبيديّ في «تاج العروس» : المعروف ضدّ المنكر . قال تعالى : وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ . [٩٥] وفي الحديث : صَنَايِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السّوءِ .

وقال الراغب : والمعروف اسم لكلّ فعلٍ يُعرَف بالعقل أو الشرع حُسنُه ؛ والمنكر ما يُنكَر بهما . قال : تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ . [٩٦] وقال : وَقُلْنَ قَوْلًا مّعْرُوفاً . [٩٧] ولهذا قيل للاقتصاد في الجود معروف ، لمّا كان ذلك مستحسناً في العقول وبالشرع نحو : وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ . [٩٨] ونحو : وَلِلْمُطَلّقَتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ ، [٩٩] أي : بالاقتصاد والإحسان . وقوله : قَوْلٌ مّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ، [١٠٠] أي : رَدّ بِالجَمِيلِ وَدُعَاءٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ هَكَذَا .

وقال ابن منظور في «لسان العرب» : والمعروف ضدّ المنكر ، والعُرف ضدّ النّكر . يقال : أَوْلَاهُ عُرْفاً أي : مَعْرُوفاً . والمعروف والعارفة : خلاف النّكر . والعرف والمعروف : الجود ... .

والمعروف كالعرف وقوله تعالى : وَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنْيَا مَعْرُوفاً ، [١٠١] أي : مصاحَباً معروفاً . قال الزجّاج : المعروف هنا ما يُسْتَحْسَنُ من الأفعال . وقوله تعالى : وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ، [١٠٢] قيل في التفسير : المعروف الكُسوة والدّثار ، وألّا يُقَصّر الرجل في نفقة المرأة التي تُرضِعُ ولده إذا كانت والدته ، لأنّ الوالدة أرأف بولدها من غيرها . وحقّ كلّ واحدٍ منهما أن يأتمر في الولد بمعروفٍ .

أجل ، إنّ ما نبغيه من هذه الاستشهادات اللغويّة هو أنّ يُعْلَمَ أنّ لفظ العُرف والمعروف في اللغة الشيء الحَسَن المرضيّ . ولمّا كان العُرف العامّ يرى حقّ التأليف والترجمة عُرفاً ومعروفاً ، فيمكن الاستدلال على مشروعيّة حقّ التأليف والترجمة والصناعة والحِرفة في ضوء الآية : وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ والآية : وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ .

وإن قال امرئٌ بأنّ هذه العرفيّة والمعروفيّة لا تكفي اليومَ لمصداقيّة عُرفيّة زمن الشارع ، وما لم تثبت العرفيّة في ذلك الزمن ، فإنّ الاستدلال بهذه الآيات مشكل .

فجوابه : أنّ الموضوعات العُرفيّة لا تؤخذ من العُرف ، ولا صلة لها بالشرع . مثلاً ماذا تقولون في الآية : أَحَلّ اللَهُ الْبَيْعَ [١٠٣] ؟!

ألستم تقولون : متى تحقّق موضوع يصدق عليه عنوان البيع في كلّ زمان ومكان ، فإنّ حكم أَحَلّ اللَهُ يشمله ؟ وهكذا الأمر في موضوع العرف والمعروف . فأنّى ظهر شيء بين الناس في كلّ زمان ومكان واستحسنوه ورأوه معروفاً ، واستقبحوا خلافه وعدّوه منكراً ، فيجب مراعاته وعدّه لازماً حسناً بحكم القرآن الكريم ، وينبغي الاحتراز من مخالفته .

إلّا إذا ورد نصّ من الشارع على خلافه . مثلاً لو شاع بين الناس عدم غسل أيديهم قبل الطعام ، وأنّ هذا الغسل منكر ؛ أو شاع بينهم حلّيّة مصافحة المرأة الأجنبيّة ، وأنّ خلاف ذلك قبيح منكر ، فحينئذٍ لايلزم اتّباع الأمر العُرفي لورود النصّ الشرعيّ على حرمة ذلك أو كراهته . وهذا نصّ في الحكم ودليل مخصّص ومقيّد للعمومات والمطلقات .

ونظير هذه المسألة كثير .

وأمّا إذا لم يكن هناك دليل مخصّص ومقيّد ، ولم يُنْظَر إلى ذلك الأمر على أنّه مكروه أو محرّم ، وعدّه العُرف حَسَناً محترماً في ضوء التوجّه الفطريّ والغريزيّ ، أو على أساس التعاليم المكتَسَبة ، فمراعاته لازمة .

أقدم نسخة من «الصحيفة الكاملة» المخطوطة ظهرت أخيراً وفيها أربعون دعاء ، وتنقص عن الصحيفة الأصليّة خمس وثلاثين دعاء .

تمّ العثور على ثلاثة أشياء كانت دفينة في وسط عمود من أعمدة الحرم الرضويّ الشريف ، وذلك عندما أرادوا توسيع الحرم في عصر الطاغوت المقبور محمّد رضا البهلوي . وكان نائب متولّي الآستانة الرضويّة المقدّسة ومحافظ خراسان يومئذٍ داود بيرنيا ، ومسؤول تعمير الحرم المهندس الأنصاريّ . وهذه الأشياء كانت قد وضعت في وسط العمود لنفاستها ، وبُغية صيانتها من الناهبين .

ولا يُعلم متى كان ذلك ، ومن هو الحاكم المتسلّط على الآستانة آنذاك . ولكن يتبيّن من تأريخ الكتابة أنّها كانت بعد السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٤٢٩ ه .

والأشياء المذكورة هي :

١ ــ قُرابة ألف وستمائة وخمسين قسماً من القرآن الكريم .

٢ ــ أربع مخطوطات تضمّ إحداها مجموعة تتألّف من خمس مخطوطات وهي ذات غلاف كارتونيّ ، ولون خمريّ بسطور مختلفة ، وخطّ نسخيّ ، وحجم الصفحة ٥/١١*٥/. ١٧ وهذه المخطوطات الخمس هي : قَوَارِعُ القُرْآنِ ، كرّاسة فيها آيات الرّقْيَة والحِرْز ، «الصحيفة السجّاديّة» ، كتاب «المذكّر والمؤنّث» ، «رِسَالَةٌ فِي شَهْرِ رَجَب» .

وهذه المجموعة من بين المخطوطات المذكورة في غاية النفاسة ، أمّا الثلاث الأُخرى فليست من الأهمّيّة في شيء . (١٠٤)

٣ ــ مجوهرات ثمينة جدّاً سرقها داود بيرنيا والمهندس الأنصاريّ .

وأودعت صورة الكتب المشار إليها مع الكتب نفسها عند الدكتور أحمد علي الرجائيّ عميد كلّيّة الآداب بمشهد ، وهو نجل حارس مقبرة الفردوسيّ . ثمّ تمّ تسليمها رجلاً يُعرف بمهدي الولائيّ ، إذ كان أخصّائيّاً في المخطوطات القديمة ، وزاول عمله في الآستانة الرضويّة المقدّسة سنين طويلة . ومع أنّه كان متقاعداً يومئذٍ ، فقد حوّلت إليه ، لأنّه كان فريداً في هذا الفنّ .

وقام الشخص المذكور بدراسة تلك المجموعة وسائر الكتب . ثمّ نظّم لها فهرساً في مجموعة فهرس المخطوطات . وكان تأريخ تحويلها إليه ــ على ما نقل هو نفسه ــ ٢٤ مُرداد ١٣٤٩ شمسي . (١٠٥)

ولمّا كانت «الصحيفة السجّاديّة» من الكتب الخمسة المجموعة في مجلّد واحد ، وكان أحدها في علامات معرفة المذكّر والمؤنّث ، والباقي في الدعاء والكلام ، لهذا ضُبط الأوّل في قسم كتب التفسير والحكمة والكلام ، الذي يشغل الجزء الحادي عشر من فهرس مخطوطات المكتبة الرضويّة الكبرى ، وضُبط الثاني في قسم كتب الصرف والنحو والأدب ، الذي يشكّل الجزء الثاني عشر من الفهرس المذكور . (١٠٦)

ويتحصّل من الفهرسين أنّ مؤلّفي هذه المجموعة كانوا من فقهاء الحنفيّة والشافعيّة في أوائل القرن الخامس الهجريّ ، ومن علماء نيسابور ومدرّسيها وزهّادها المقيمين في مدرستها . [١٠٧]

«الصحيفة السجّاديّة» هي الكتاب الثالث من هذه المجموعة ، وجاء في الصفحة الأُولى منها ما نصّه

«كِتَابُ الدّعَوَاتِ» مِنْ قِيلِ عَلِيّ بْنِ الحُسَيْنِ جَدّ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمّدٍ الصّادِقِ رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْهِ وَيُسَمّى «كِتَابَ الكَامِلِ» لِحُسْنِ مَا فِيهِ مِنَ الدّعَوَاتِ . وَالأَصْلُ لِأَبِي عَلِيّ الحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمّدٍ الزّامِيّ الهَيْصَمِيّ أَسْعَدَهُ اللّهُ . والحسن بن إبراهيم الزاميّ هذا هو كاتب «الصحيفة» . وذكر تأريخ ختمها بما نصّه :

انْتَهَى المَأْثُورُ مِنَ «الدّعَواتِ» عَنْ زَيْنِ العَابِدِينَ وَحَافِدِ سَيّد الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ عَلِيّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَاتَمِ الخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ ، والصّلَاةُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ الطّيّبِينَ ، وَكَتَبَهُ الحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مُحَمّدٍ الزّامِيّ [١٠٨] فِي شَوّالِ سَنَةَ سِتّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ . غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ .

وجاء في آخر الكتاب : سَبّلَهُ [١٠٩] صَاحِبُهُ الخَادِمُ الجَلِيلُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ البُوزَجَانِيّ عَلَى الأُسْتَاذِ الإِمَامِ الزّاهِدِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمّدِ بْنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وعَلَى أَوْلَادِهِ وَعَلَى كُلّ مِنْهُمْ أَكْرَمَهُمُ اللّهُ بِمَرْضَاتِهِ لِيَقْرَؤُوا عَلَى رَأْسِ العَوَامِ فِي النّصْفِ مِنْ رَجَبٍ يَوْمِ الاسْتِفْتَاحِ مَادَامَ هَذَا الجُزْءِ بَاقِياً ، رَجَا دَعْوَةً صَالِحَةً مِنْهُمْ ، يَقْبَلُ اللّهُ مِنْهُ عَمَلَهُ وَحَقّقَ رَجَاهُ وَأَمَلَهُ ، وَأَصْلَحَ آخِرَهُ وَأَوّلَهُ .

ومن هنا يتبيّن أنّ هذه النسخة موقوفة ، وأنّ ما قاله أصحاب الفهارس حول الواقف إنّه لم يعرف ، [١١٠] وإنّه مجهول ، [١١١] صحيح .

ومن الجدير ذكره أنّ كاتب الصحيفة أورد بعد خاتمتها مناجاةً تشتمل على أشعار ، رواها عن سفيان بن عُيَيْنَة ، عن محمّد بن شهاب الزهريّ ، عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام ، وفيها مخاطبة لنفسه وحديث مع ربّه ، وأوّلها : يَا نَفْسُ حَتّامَ إِلَى الحَيَاةِ سُكُونُكِ [١١٢] بطولها . ثمّ [١١٣] ذكر دعاءً حسناً بمقدار صفحتين وأوّله : اللّهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ الّذِي خَلَقْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ أَصْلُهَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ ، وَفَرْعُهَا الذّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ وَعَلَى آلِهِ الغُرّ البَهَالِيلِ .

ثمّ أورد بعد ذلك دعاءً لختم القرآن في أربعة سطور ، بهذا النحو : اللّهُمّ أَنْتَ عَلّمْتَنَاهُ قَبْلَ رَغْبَتِنَا فِي تَعَلّمِهِ ــ إلى آخره .

ثمّ قال : مقابل من أوّل الكتاب إلى ها هنا بالأصل بقراءة أخي إسماعيل بن محمّد القفّال ، أيّده الله بارك الله لمن نظر فيه مستفيداً .

وكتب إجازة روايته بالطريق الآتي : أجاز لي أخي أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن سلمة الفرهاذجِردِيّ سلّمه الله أن أروي «الصحيفة» بتمامها عنه ، عن أبي بكر الكرمانيّ رحمه الله بروايته عن رجاله ، كما كتبناه ، صحّ .

ثمّ ذكر في الورقة الآتية سلسلة رجال الرواية بالنحو الآتي : بِسم الله الرحمن الرحيم . قال الأُستاذ أبو بكر محمّد بن عليّ الكرمانيّ رضي الله عنه : أخبرنا بندار بن يحيى البزوزن قال : أخبرني أبو الحسن محمّد بن يحيى بن سهل الدّهْنيّ (و يُدعى الرّهْنيّ أيضاً) قال : حدّثنا أبو عليّ محمّد ابن هُمام بن سُهَيْل الإسكافيّ ، قال : حدّثنا عليّ بن مالك ، قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله ، قال حدّثنا محمّد بن صالح عن عُمير بن المتوكّل بن هارون ، قال : حدّثني أبي المتوكّل ، قال : لقيت يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين رضي الله عنه بعد قتل أبيه ، وهو متوجّه إلى خراسان فسلّمتُ عليه .

ويبيّن الراوي هنا تفصيل اللقاء والحوار الذي دار بينه وبين يحيى ابن زيد ، إلى أن يقول : قام محمّد وإبراهيم من عند الإمام الصادق عليه السلام وهما يقولان : لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللَهِ . ودعا المتوكّل بالدفتر ، و«الصحيفة» هي بتمامها بحمد الله ومنّه وفضله .

هذه آخر عبارة من شرح مقدّمة سند «الصحيفة» . ونقول : أوّلاً : ذكر السند في آخرها على خلاف الصحيفة المشهورة المتداولة ، وخلاف سائر الكتب التي يُذكَر السند في أوّلها . ثانياً : سقطت تتمّة الحديث كلّه ، وفيه أنّ الإمام عليه السلام أخبر المتوكّل بن هارون برؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وحكومة بني أُميّة ، وتفسير الآية المباركة : لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّن أَلْفِ شَهْرٍ . إلى آخره .

أدعية «الصحيفة» التي عُثِرَ عليها أربعون

يقلّ عدد أدعية هذه «الصحيفة» عن عدد أدعية «الصحيفة الكاملة» المشهورة خمسة عشر دعاءً . ولهذا فهي ناقصة بالنسبة إليها ، إذ نلحظ من الأدعية المشهورة (٣٩) دعاء فحسب ، ولمّا كان الدعاء المعنون : وَمِنْ دُعَائِهِ فِي الشّكْوَى ، مضافاً إلى «الصحيفة» المشهورة ، فعددها يبلغ إذن أربعين دعاء . ويعود السبب في ذكر (٣٨) دعاء في الفهرس إلى إيراد دعاءين مستقلّين تحت عنوان خاصّ في موضعين من «الصحيفة» المشهورة ، وهما في «الصحيفة» التي عُثر عليها متمّمان للدعاء السابق :

الأوّل : في ص ٣٩ من النسخة التي عثر عليها وضعت ثلاث نقاط بعد عبارة بِسُيُوفِ أعْدَائِهِ . ثمّ كتب ما نصّه : وَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي مَنّ عَلَيْنَا ... وجاء هذا القسم في نسخ «الصحيفة» المشهورة تحت عنوان : الصّلَاةُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ .

الثاني : في ص ٤١ منها جاء بعد عبارة : وَلَا يُخَافُ إِغْفَالُكَ ثَوَابَ مَنْ أَرْضَاكَ ، قوله : يَا مَنْ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ ... مباشرةً . وورد هذا القسم في نسخ الصحيفة المشهورة تحت عنوان دُعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ وَخَاصّتِهِ .

ولمّا كنّا نعلم أنّ عدد أدعية الصحيفة المشهورة التي في أيدينا (٥٤) دعاء ، فأدعية الصحيفة التي عثر عليها تقلّ عن أدعيتها (١٥) دعاء ، ومن مجموع عدد الأدعية (١٤) دعاء . ولهذا قلنا : هذه النسخة بمنزلة النسخة الناقصة من الصحيفة التي عُثِرَ عَلَيها .

من الجدير ذكره أنّنا اعتمدنا في عملنا على عين النسخة التي عُثِرَ عليها ، ومجموع أوراقها (١٠١) ــ واستوعبت الصحيفة منها ورق (٤٠) حتّى ورق (٨٣) ــ ولم نعتمد على نسختها المصوّرة .

هذا من جهة المتن ، أمّا من جهة السند فقد رأينا أنّ رواتها جميعهم كانوا من أهل السنّة ولا حُجّيّة في كلامهم ونقلهم . ويمكن أن تدعم هذه الصحيفة ــ بما هي عليه من النقصان والسند المذكور ــ «الصحيفة الكاملة» المشهورة بسبب قدمها حيث يعود تأريخها إلى سنة ٤١٦ ه .

الأصل هو «الصحيفة» المشهورة ، وهذه الصحيفة تدعمها ، وينبغي أن تطبع على انفراد ، ولا تخلط أدعيتها وعباراتها وسندها وتأريخ مقدّمتها بالصحيفة المشهورة .

زارني في هذا الصيف صديقي الكريم فضيلة العلّامة الباحث المتخصّص في الشؤون الشيعيّة آية الله السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ [١١٤] لعيادتي متفضّلاً . ولمّا دار الحديث حول هذه الصحيفة قال : طبعها سماحة سيّد العلماء الكرام صديقي الجليل القديم آية الله السيّد أحمد الفهريّ الزنجانيّ بالشام . ومن الضروريّ أن تصلكم نسخة منها . فاتّصلتُ على الفور بالحاجّ أبي موسى جعفر محيي مدير مكتب التبرّعات والاستلامات في الصحن الشريف للسيّدة زينب عليها السلام كي يبعث إليّ نسخة منها . وبعد قرابة عشرين يوماً وصلتني النسخة بطبع أنيق وخطّ جميل وذوق رفيع ، وعليها مقدّمة بقلم آية الله الفهريّ نفسه . [١١٥]

وفي هذه الفترة وصلني الجزء الأوّل من نسخة فارسيّة بعنوان «شرح وترجمه صحيفة سجّاديّة» (شرح الصحيفة السجّاديّة وترجمتها) وهي من إعداده أيضاً وكانت قد طبعت بطهران . [١١٦] والحمد لله والمنّة إذ غمرتنا الأنوار القدسيّة للإمام السجّاد عليه السلام بواسطته وببركات قلمه ، وهو ما لا يأتي عليه الوصف .

أمّا الذي يتبيّن لنا من حديثه حول مواضع الاختلاف بين النسخة المشهورة والنسخة التي عُثِرَ عليها ، فهو أنّ عدد الفروق بلغ ثمانية ، خمسة منها تعدّ من مزايا النسخة التي عُثِرَ عليها . وعندي أنّ القول بالمزايا غير سديد ولهذا رأيتُ لزاماً على نفسي أن أتحدّث

عن الصحيفة هنا ، حيث أحسب أنّ هذه الفرصة هي أفضل فرصة للتعريف ب «الصحيفة السجّاديّة» .

المزيّة الأُولى : قِدَمُ النسخة ، إذ إنّ تأريخ كتابتها هو سنة ٤١٦ ه ، مع أنّ تأريخ كتابة أقدم النسخ الموجودة من «الصحيفة» في العالم هو ٦٩٤ ، و٦٩٥ ، و. ٦٩٧ ناهيك عن وجود نسخة منها بخطّ الشهيد الأوّل المولود سنة ٧٢٤ ه والمُستشهد سنة ٧٨٤ ه .

الجواب : أنّ قِدَمَ النسخة نفسه لا يدلّ على مزيّة ما لم نستند إلى الأصل الصحيح والرواة الثقات ، ونعوّل عليهم . وعندما يعترف هو ذاته بتواتر سند «الصحيفة» ، وأنّ هذه الصحيفة الحاليّة المشهورة قد حافظت على تواترها في أعلى درجات الإتقان منذ عصر الإمام عليه السلام وفي كلّ عصر ومصر ، فما هي الحاجة إلى لزوم قدم النسخة في حدّ نفسها . ذلك أنّ تواتر النسخة المشهورة يعود قِدَمه إلى سنة ٤١٦ ه ، سواء وجدت مخطوطة منها في تلك السنة ، وبعدها أم لم توجد .

بعبارة أُخرى : فإنّ معنى تواترها هو أنّها مقطوع بها بما تضمّه من الأدعية نفسها ، وعددها ، وألفاظها منذ عصر الإمام زين العابدين عليه السلام حتّى عصرنا هذا . أي : أنّها كانت موجودة سنة ٤١٦ ه ، وعبّرت عن وجودها ، وأثبتت يقينيّتها ــ وإن لم يُعثر على نسخة منها يومئذٍ في مقابل تلك الصحيفة التي تحمل مثالب مختلفة من حيث نقصان عدد أدعيتها ، ومن حيث شرح المقدّمة ، ورواتها السنّة المجهولين الذين لم يثبت وثوقهم عندنا ــ وتفوّقت على تلك الصحيفة ، وتباهت أمام مواضع اختلافها .

مثلاً ، لنفرض أنّ مخطوطة من القرآن الكريم لم يعثر عليها في العالم ، ثمّ تمّ اكتشاف مخطوطة نفيسة جدّاً تعود إلى عصر هارون الرشيد ، وتخلو من بعض السور ، أو يُلاحَظ فيها ألفاظ تختلف عن ألفاظ بعض الآيات الموجودة ، فماذا عسانا أن نقول في مثل هذه الحالة وهذا الفرض ؟ هل نقول إنّ هذه النسخة مقدّمة على المصاحف الموجودة المألوفة لأنّها عريقة ونفيسة جدّاً ؟! أم أنّنا سوف لن نعتني بها في مقابل القرآن ؟! ونتركها بسبب تواتر القرآن ، ولا نرجع إليها إلّا بوصفها شاهداً على السور والآيات القرآنيّة ؟!

وعندما تخلو تلك النسخة القديمة المكتوبة سنة ٤١٦ ه من الاعتبار اللازم سنداً ، ويُلحَظ فيها نقص ، وحذف لرؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعبيرها بحكومة بني أُميّة ، وتفسير آية القدر وفقاً لآراء السنّة ورواتهم ، فحينئذٍ كيف يتسنّى للقِدَم أن يُضفي عليها قيمة علميّة وتأريخيّة ؟!

في ضوء ذلك لا يتّسم قِدَم كلّ كتاب بقيمة علميّة وتحقيقيّة إلّا إذا كان مبتنياً على الأُصول العلميّة لذلك الكتاب أو ذلك الفنّ ، لا مخالفاً لها .

وبلُغةٍ علميّة : فإنّ قيمة اكتشاف الأثريّات تتّصل اتّصالاً مباشراً بنحو الآليّة والمرآتيّة على تحقّق وتثبيت الفرضيّة العلميّة التي تمثّلها ، لا على نحو الموضوعيّة .

ونلحظ إذن أنّ كشف صفحة من كلام أفلاطون الثابت انتسابه إليه ، هو أكثر قيمة من كشف كتاب ضخم مشكوك الانتساب إليه ، وإن كان تأريخ كتابته قد سبق تأريخ الصفحة المذكورة بألف سنة .

المزيّة الثانية : البلاغة الباهرة الملحوظة في معظم مواضع الاختلاف مع النسخة المعروفة .

والجواب هو أنّ ما تحرّيناه وما قابلناه من ألفاظ الصحيفة المشهورة وكلماتها مع ألفاظ الصحيفة المعثور عليها وكلماتها ، لا يدلّ على بلاغة باهرة ، ولا غير باهرة ، مضافة على الصحيفة المشهورة . بل هما على درجة واحدة من البلاغة بعد الجرح والتعديل . ونذكر فيما يأتي شرحاً موجزاً يرتبط بدعاء يَا مَنْ تُحَلّ بِهِ عُقَدُ المَكَارِهِ ، ونقايس فيه بين الجمل والكلمات التي تختلف فيما بينها ، وأخيراً نجمعها معاً ليستبين أن لا مزيّة في بلاغة الصحيفة المكتشفة على الصحيفة المشهورة .

عنوان هذا الدعاء في الصحيفة المشهورة : دُعَاؤُهُ فِي المُهِمّاتِ ، وفي الصحيفة المكتشفة : ومن دعائه إذا نَزَلَتْ بِه مُهِمّةٌ . (١١٧)

وفي المشهورة : وَيَا مَنْ يُفْثَأُ بِهِ حَدّ الشّدَائِدِ .

وفي المكتشفة : وَيَا مَن يُفْثَأُ بِهِ حَمْيُ الشّدَائِدِ .

حدّ الشدائد ــ حدّ الشراب : سَوْرَتَه . حدّ السيف : مَقْطعه . من الإنسان : بأسه وما يعتريه من الغَضَب . من كلّ شيء : شباته وحِدّتُه .

حَمْيُ الشّدَائِدِ . والصّحيح حَمْيُ الشّدَائد لا حَمَى الشّدَائِد ، لأنّ الحَمْي هو الحرارة . حَمِيَ يَحْمَى حَمْياً وَحُمْياً وَحُمُوّاً النّارُ : اشتدّ حرّهَا .

فَثَأَ يَفْثَأ فَثَأً وَفُثُوءاً القِدْرَ : سَكّنَ غَلَيَانَها ، الغَضبَ : سَكّنَ حِدّتَهُ .

فكلتا الكلمتين حَسَنَةٌ ، إذ إنّ فَثَأَ حَدّهُ بمعنى سكّن شدّته وحدّته . وفَثَأَ حَمْيَهُ بمعنى سكّن حرارته .

وفي المشهورة : وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ المَخْرَجُ إلَى رَوْحِ الفَرَجِ .

وفيا لمكتشفة : وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ بِهِ المَخْرَجُ إلَى مَحَلّ الفَرَجِ .

لا فرق بين مِنْهُ وبِهِ . وأمّا رَوح الفَرَج في المشهورة ، فهي أبلغ من مَحَلّ الفَرَج في المكتشفة ، لأنّ الرّوح هو الراحة ، والنسيم ، والعدالة التي تُريح المتألّم الشاكي ، والنصرة ، والفرح ، والرحمة . ومن الطبيعيّ أنّها أبلغ من محلّ الفرج ، لأنّنا لا نحصل منها على اللطائف الموجودة في رَوح الفرَج .

وفي المشهورة : ذَلّتْ لِقُدْرَتِكَ الصّعَابُ .

وفى المكتشفة : ذَلّتْ بِقُدْرَتِكَ الصّعابُ .

اللام للتعدية ، والباء للتسبيب ، ولا فرق بينهما .

وفي المشهورة : وَتَسَبّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْبَابُ .

وفي المكتشفة : وَتَشَبّكَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْبَابُ .

تَسَبّب الأسباب جعلها وسيلة لتنفيذ أمرك ! وتَشَبّك الأسباب اختلاطها . اشتبك وتشبّك ، يعني اختلط وامتزج . تداخل بعضه في بعض وكلاهما رفيع فصيح .

وفي المشهورة : وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ القَضَاءُ .

وفي المكتشفة : وَجَرَى بِطَاعَتِكَ القَضَاءُ .

جريان الأُمور والقضاء وفقاً لقدرتك ، أو طاعتك ، وكلاهما صحيح .

وفي المشهورة : وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الأَشْيَاءُ .

وفي المكتشفة : وَمَضَتْ عَلَى ذِكْرِكَ الأَشْيَاءُ .

الذّكر هو التسبيح والتمجيد والصِيت . وإرادته بمعنى جريان الأشياء حسب إرادة الله تعالى . ومن الطبيعيّ ، فإنّ هذه أبلغ من جريانها حسب تسبيحه وذِكره .

وفي المشهورة : وَقَدْ نَزَلَ بِي .

وفي المكتشفة : قَدْ نَزَلَ بِي .

وهي بالواو أحلى وأكثر ملاحةً .

في المشهورة : مَا قَدْ تَكَأَّدَنِي ثِقْلُهُ .

وفي المكتشفة : مَا قَدْ تَكَا أَدَنِي ثِقْلُهُ .

كِلَا الفعلَين من باب كَأَدَ . تَكَادّ وَتَكَاءَدَ الأمرُ فلاناً : شَقّ عليه ، من باب تفعّل وتفاعل . ومعناهما واحد لا يختلف .

في المشهورة : وَأَلَمّ بِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ .

وفي المكتشفة : وَأَلَمّ بِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حِمْلُهُ .

بَهَظَهُ يَبْهَظُهُ بَهْظاً . أَبْهَظَهُ الحمل أو الأمرُ : أَثْقَلَهُ وَسَبّبَ له مَشَقّةً .

الحمل مصدر بمعنى الرفع ، والحِمل اسم مصدر بمعنى ما يُحْمَل . وكلاهما جيّد بلا تفاوت .

في المشهورة : وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ وَلَا مُيَسّرَ لِمَا عَسّرْتَ وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ ، فَصَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَافْتَحْ لِي يَا رَبّ بَابَ الفَرَجِ بِطَوْلِكَ !

وفي المكتشفة : وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ فَافْتَحْ لِي يَا إِلَهِي أَبْوَابَ الفَرَجِ بِطَوْلِكَ !

من الواضح أنّ ما جاء في المشهورة أفصح وأبلغ . فإنّ ذِكر المغلق في مقابل الفاتح ، وجملَتَي : لا ميسّرَ لما عَسّرْتَ ، ولَا ناصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ بما تحمله من معانٍ رفيعة ، وذكر الصلوات على محمّد وآله ، كلّ أُولئك أبلغ في إيصال المعنى المتمثّل بانحصار أمر

التدبير بالله تعالى . ويمكن القول هنا حقّاً : إنّ الصحيفة المكتشفة ناقصة في هذه الفقرات .

في المشهورة : وَأَنِلْنِي حُسْنَ النّظَر فِيمَا شَكَوْتُ !

وفي المكتشفة : وَأَنِلْنِي حُسْنَ النّظَر فِيمَا شَكَوْتُ إِلَيْكَ !

لا فرق بينهما ، لجواز حذف ما يعلم .

في المشهورة : وَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ الصّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُ !

وفي المكتشفة : وَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ الصّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُكَ !

وهذا بعينه كالسابق أيضاً .

في المشهورة : وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَفَرَجاً هَنِيئاً !

وفي المكتشفة : وَهَبْ لِي إِلَهي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً هَنِيّاً !

هَنِئ وهَنِيّ كلاهما من باب واحد وصيغة واحدة . وفيهما إعلالان . والمعنى طاب من غير مشقّةٍ ولا عناء من مادّة هَنَأ مهموز اللام ، ويجوز إبدال همزته ياءً ، وإدغام الياءين ليُصبح الفعل هنّي ، وبلا اختلاف . وجاء في الكاملة لفظ «رحمة» ، وهو ساقط من المكتشفة الناقصة . والأصل عدم الزيادة ، لا عدم النقيصة . وعطف الفرج على الرحمة مُستحسَنٌ .

في المشهورة : وَلَا تَشْغَلْنِي بِالاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهُدِ فُرُوضِكَ !

وفي المكتشفة : وَلَا تَشْغَلْنِي بالاهْتِمَامِ عَنْ تَعَهّدِ فُرُوضِكَ !

تَعَاهَدَ وَتَعَهّدَ وَاعْتَهَدَ الشّيْءَ : تَحَفّظَ بِهِ وَتَفَقّدَهُ . جَدّدَ العَهْدَ بِهِ . فلا فرق بينهما ، لأنّهما ذَوَا معنىً واحدٍ مِن بَابَيْن .

في المشهورة : وَاسْتِعْمَالِ سُنّتِكَ !

وفي المكتشفة : وَاسْتِعْمَالِ سُنَنِكَ !

لمّا كانت سُنَن جمع سُنّة فهي أبلغ في مقابل فروض جمع فرض.

في المشهورة : فَقَدْ ضِقْتُ لِمَا نَزَلَ بِي يَا رَبّ ذَرْعاً !

في المكتشفة : فَقَدْ ضِقْتُ بِمَا نَزَلَ بِي يَا رَبّ ذَرْعاً !

لا فرق بينهما ، مثل ذلّت لقدرتك ، وذلّت بقدرتك المارّ ذكرهما .

في المشهورة : فَافْعَلْ بِي ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَسْتَوجِبْهُ مِنْكَ .

في المكتشفة : فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي إِلهي وَإِنْ لَمْ أَسْتَوْجِبْهُ مِنْكَ ! بلا اختلاف .

في المشهورة : يَا ذَا العَرْشِ العَظِيمِ !

في المكتشفة : يَا ذَا العَرْشِ العَظِيمِ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَتَمّهَا وَأَنْمَاهَا وَأَكْمَلَهَا يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ .

جاءت الصلوات هنا ، مضافاً إلى ما ورد في وسط الدعاء من الصلوات أيضاً فيالمشهورة والمكتشفة . وما سنجده في بحث صلوات «الصحيفة» ، فإنّ إنكاره الصلوات من «الصحيفة» المشهورة بنحو مطلق من أغرب الغرائب .

الفرق الثالث : في ترتيب ذِكر الأدعية ، إذ حصل تقديم وتأخير في بعضها .

صحيح أنّ هناك فرقاً بين الصحيفتَين في ترتيب الأدعية ، بَيدَ أنّه لا يدلّ على مزيّة للصحيفة المكتشفة ، كما أنّه نفسه لم يزعم وجود مزيّة هنا .

الفرق الرابع : في عدد الأدعية ، إذ إنّ لبعضها عنواناً مستقلّاً في النسخة المعروفة . أمّا في النسخة القديمة فقد وردت متمّمة للأدعية التي تسبقها . كما أنّ الدعاء الأوّل والثاني في الصحيفة المشهورة وردا دعاء واحداً فحسب في الصحيفة القديمة .

وجاء عنوان تتميم الدعاء في الصحيفة المكتشفة في موضعين فقط ، وقد بيّناهما بصراحة . ومن هنا رفعنا عدد أدعيتها من (٣٨) إلى (٤٠) .

بَيدَ أنّ الموضوع المهمّ الذي أشار إليه في المقدّمة أيضاً هو النقص في عدد الأدعية المتحصّلة ، إذ تقلّ عن الأدعية المعروفة البالغ عددها (٥٤) دعاء ، خمسة عشر دعاء . وبانضمام دعاء الشكوى إليها يصبح العدد (١٤) . وهذا نقص فاحش فيها ، إذ يُقدّر ب ١٤٥٤ من الصحيفة ، وهو عدد يؤبه به ، حيث يتراوح بين ثلث الصحيفة إلى ربعها .

وقد سقط منها في الحقيقة بين ثلث أدعية الصحيفة المشهورة إلى ربعها .

وهذا النقص في العدد لا يعدّ مزيّة علميّة صحيحة للصحيفة المشهورة فحسب ، بل ينبغي أن نطلق عنوان «الصحيفة الناقصة» على الصحيفة المكتشفة في مقابل «الكاملة» . ونحن نشكره ، إذ لم يُضْفِ صفة المزيّة على هذا النقص في الأدعية .

الفرق الخامس : في عناوين أدعية النسختين ، إذ إنّ بعض عناوين النسخة المعروفة غير موجود في النسخة القديمة بتاتاً ، كالدعاء الخامس المُعَنْوَن في الصحيفة المشهورة : دُعاؤُهُ لِنَفْسِهِ وَخاصّتِهِ ، في حين هو بلا عنوان في النسخة القديمة .

صحيح أنّ اختلافاً يسيراً ملحوظاً في عبارات بعض العناوين وكلماتها في الصحيفتين . وليس له أهمّيّة تُذكر ، بَيدَ أنّ الإشكال يتمثّل في خلوّ النسخة المكتشفة من بعض العناوين ، إذ كيف تخلو هذه الأدعية منها ، مع أنّ لكلّ دعاء عنواناً مستقلّاً به ؟!

هل يمكن أن نجد مسوّغاً لهذا الأمر غير السقوط ؟! وحينئذٍ يتّخذ خلوّها من العناوين طابع المثلبة فلا يُعَدّ مزيّةً ، بل يعدّ وهناً وقلّة اعتبار .

الفرق السادس : في ذكر الصلاة على النبيّ وآله ، إذ هي جِدّ قليلةٍ في النسخة القديمة ، على عكس النسخة المعروفة حيث تُذكَر الصلاة على محمّد وآل محمّد غالباً في كثير من أدعيتها في رأس كلّ فصل من فصول الأدعية .

بَيدَ أنّ دعاءً واحداً فقط من أدعية الصحيفة المعروفة يخلو من الصلاة ، في حين هو مذكور في النسخة القديمة . هذا الدعاء هو الذي يبدأ بقوله : يَا مَنْ تُحَلّ بِهِ عُقَدُ المَكَارِهِ ، إذ ذُكرت الصلاة على محمّد وآله في آخره ، في النسخة القديمة بينما لم تَرِدْ في النسخة المشهورة . وكذلك وردت صلاة مفصّلة على محمّد صلّى الله عليه وآله في آخر النسخة القديمة ، وقد خلت النسخة المعروفة منها .

وهذان الموضعان يدلّان على أنّ خلوّها من الصلاة في مواطن أُخرى لا ينطلق من وحي التعصّب ، ولا من وحي التقيّة ، ونحتمل أنّ الإكثار من الصلاة كان من باب التيمّن والتبرّك ، وهو موجب لاستجابة الدعاء كما جاء في الروايات المأثورة ... إلى أن قال : وكذلك إضافة (آل محمّد) إلى الصلاة على محمّد عملاً بالأحاديث النبويّة المأثورة عن طريق العامّة ، وفيها : لَا تُصَلّوا عَلَيّ صَلَاةً بَتْرى . وفُسّرت البترى بعدم ذكر آل محمّد في الصلاة على محمّد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين .

لذا نجد في بعض المواضع أنّ متعلّقات الفعل تناسب الصلاة على محمّد صلّى الله عليه وآله وحده [دون آله] كالفقرة الواردة في دعائه عند الصباح والمساء : اللهُمّ فَصَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ أَكْثَرَ مَا صَلّيْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَآتِهِ عَنّا أَفْضَلَ مَا آتَيْتَ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، وَاجْزِهِ عَنّا أَفْضَلَ وَأَكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ أَنْبِيائِكَ عَنْ أُمّتِهِ . فلو كانت كلمة وآله جزءاً من الصلاة ، لكان مناسباً أن تأتي الضمائر بصورة الجمع ولكانت الجملة الأخيرة : أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِكَ عَنْ أُمّتِهِ ، ستبدو غير مناسبة .

ويُشاهَد هذا النوع المذكور في مواضع كثيرة من الصحيفة .

ومحصّل هذا الاختلاف الذي عُدّ امتيازاً مهمّاً بحمل الشائع الصناعيّ . وإن لم يُصَرّح بلفظ الامتياز بحمل الأوّليّ الذاتيّ ، يُلحَظ سقوط الصلاة على محمّد وآل ومحمّد في جميع مواضع الصحيفة المكتشفة إلّا في موضعين : الأوّل : آخر دعاء يا مَن تُحَلّ ، والثاني : آخر الصحيفة نفسها .

ذلك أنّ الصلاة تبدو غير مناسبة في كثير من مواضع الصحيفة المشهورة ، لأنّ اسم محمّد قد ذُكر وحده ، ولا مناسبة لإضافة كلمة الآل إليه .

ولكن لمّا نهى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله عن الصلاة البتراء ، فيمكن أن يكون ذِكر هذه الصلوات في الصحيفة المشهورة من باب التيمّن والتبرّك ، أي أنّه ذُكرت زائدة على أصل الدعاء لهذا السبب .

ويدعم هذه الحقيقة عدم تعصّب كاتب الصحيفة وعدم تقيّته ، لأنّه في مثل تلك الحالة ينبغي ألّا يذكرها في الموضعين المشار إليهما .

ويعود الجواب عن هذا الكلام إلى عدّة جهات :

الجهة الأُولى : أنّ دعاء يَا مَنْ تُحَلّ يخلو من الصلاة في الصحيفة المشهورة .

الجواب : وردت الصلاة في جميع نسخ الصحيفة المشهورة بما فيها صحيفته المطبوعة نفسها في ص ١٦٣ : وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الفَرَجِ بِطَوْلِكَ .

الجَهة الثانية : ذُكرت الصلاة على محمّد وآل محمّد مرّتين لا غيرهما ، في الصحيفة المكتشفة (القديمة) .

الجواب : نظراً إلى أنّ الصلاة على محمّد وآل محمّد وردت (١٤٤) مرّة في أدعية الصحيفة المشهورة ، التي نقلتها الصحيفة المكتشفة ، [١١٨] فإنّ ورودها في موضعين من الصحيفة المكتشفة لايكفي لرفع تهمة التعصّب وفَرْض ذوق الكاتب ، ويبقى هذا الاحتمال على حاله ، وهو أنّه ذكرها فيهما لتحظى صحيفته المستنسخة بالقبول النسبيّ ، لأنّه لو حذفها من جميع المواضع لَبَانَ للجميع تعصّبه المذهبيّ وفَرْض رأيه الخاصّ . ومن هذا المنطلق فقد حذف (١٢٨) موضعاً بصورة تامّة ــ وهذه ضربة قاصمة للصحيفة ــ وذكرها بتراء في (١٤) موضعاً . [١١٩] ولم يذكرها كاملةً إلّا في موضعين . فالإشكال المهمّ هو أنّه أوّلاً : لماذا حذف القسم الأعظم من صلوات الصحيفة في النسخة المكتشفة بنحوٍ تامّ ؟ ثانياً : لماذا ذكر الصلاة البتراء في (١٤) موضعاً ؟ وما الذي دعاه إلى عدم عطف كلمة آل على الرسول ، في حين أنّ الصلاة بلا شكّ هي الصلاة على محمّد وآل محمّد ؟ هي واردة في الأحاديث المأثورة الكثيرة التي نقلها أهل السنّة في كيفيّة ذِكر الصلاة ، وأوردوها في صحاحهم المعتبرة . وفيها أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أجاب سؤال من سأله عن كيفيّة الصلاة ما مضمونه أن تُلْحق الصلاة على آل محمّد بالصلاة عليه .

روى البخاريّ عن سعيد بن يحيى ، عن أبيه ، عن مِسْعَر ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَمّا السّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ . فَكَيْفَ الصّلَاةُ ؟

قَالَ : قُولُوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبراهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! اللَهُمّ بَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ !

وذكر أيضاً حديثين آخرين بسندين آخرين ، ومضمونهما قريب منه . [١٢٠]

ورواه مُسلم في صحيحه ، والترمذيّ ، وأبو داود ، والدارميّ ، والنسائيّ في سننه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، ومالك في موطّئه ، في مواضع عديدة . [١٢١]

ورواه المولى جلال الدين السيوطيّ في تفسير «الدرّ المنثور» بأسناد كثيرة ، منها :

١ ــ قال : أخرج سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن كعب بن عُجْرَة قال : لَمّا نَزَلَتْ «إِنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَأَيّهَا الّذِينَ

ءَامنُوا صلّوا عَلَيْهِ وَسلّمُوا تَسْلِيمًا» [١٢٢] قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَلِمْنَا السّلَامُ عَلَيْكَ ! فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

قَالَ : قُولُوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَبَارِك عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلى إبراهِيمَ وَآلِ إبرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . [١٢٣]

٢ ــ وقال أيضاً : أخرج ابن جرير عن يونس بن خَبّاب قال : خطبنا بفارس ، فقال : إنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ ــ الآية . قال : أنبأني من سمع ابنَ عبّاس يقول : هكذا أُنزل ، فقالوا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَلِمْنَا السّلَامُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

فَقَالَ النبيّ : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آل مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَارْحَمْ مُحَمّداً وَآلِ مُحَمّدٍ كَمَا رَحِمْتَ آلَ إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . [١٢٤]

٣ ــ وقال أيضا : أخرج ابن جرير ، عن إبراهيم في قوله : إنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ ــ الآية ، قالوا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! هَذَا السّلَامُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

فقال : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! [١٢٥]

٤ ــ وقال أيضاً : وأخرج عبد الرزّاق ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاريّ ، ومسلم ، وأبوداود ، والترمذيّ ، والنسائيّ ، وابن ماجة ، وابن مردويه عن كعب بن عُجْرَة قال : قال رجل : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَمّا السّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَلِمْنَاهُ فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

قال : قل : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! اللَهُمّ بَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! [١٢٦]

٥ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والنسائيّ ، وابن أبي عاصم ، والهيثم بن كليب الشاشيّ ، وابن مردويه ، عن طلحة بن عبيد الله قال : قلتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! كَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

قال : قُل : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . [١٢٧]

٦ ــ وقال أيضاً : أخرج ابن جرير ، عن طلحة بن عبيد الله قال : أتى رجل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال : سمعتُ الله يقول : إِنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِىّ ، فكيف الصلاة عليك ؟!

قال : قل : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! (١٢٨)

٧ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن جرير ، عن كعب بن عُجْرَة قال : لمّا نزلت : إِنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِىّ ــ الآية ، قمتُ إليه فقلتُ : السّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ ، فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَهِ ؟!

قال : قُل : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! (١٢٩)

٨ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن أبي شَيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاريّ ، والنسائيّ ، وابن ماجة ، وابن مردويه عن أبي سعيد الخُدريّ قال : قلنا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! هَذَا السّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَلِمْنَاهُ ! فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟

قال : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ! (١٣٠)

٩ ــ وقال أيضاً : وأخرج عبد بن حميد ، والنسائيّ ، وابن مردويه ، عن أبي هريرة أنّهم سألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : كَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

قال : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَالسّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ ! (١٣١)

١٠ ــ وقال أيضاً : وأخرج مالك ، وعبد الرزّاق ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبو داود ، والترمذيّ ، والنسائيّ ، وابن مردويه عن أبي مسعود الأنصاريّ أنّ بشير بن سعد قال : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَمَرَنَا اللَهُ أَن نُصَلّي عَلَيْكَ ! فَكَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

فسكت حتّى تمنّينا أنّا لم نسأله . ثمّ قال : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! وَالسّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ ! (١٣٢)

١١ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن مردويه عن عليّ عليه السلام قال : قلتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! كَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

قال : قولوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ ، إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! (١٣٣)

١٢ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : قلنا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ السّلَامُ عَلَيْكَ ! فَكَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

قال : قولوا : اللَهُمّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . (١٣٤)

١٣ ــ وقال أيضاً : وأخرج ابن خزيمة ، والحاكم وصحّحه ، والبيهقيّ في سننه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو أنّ رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَمّا السّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ إذَا نَحْنُ صَلّيْنَا عَلَيْكَ فِي صَلَاتِنَا ؟! فَصَمَتَ النّبِيّ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلّمَ ، ثُمّ قَالَ :

إذَا أَنْتُمْ صَلّيْتُمْ عَلَيّ فَقُولُوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ النّبِيّ الأُمّيّ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ النّبِيّ الأُمّيّ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! (١٣٥)

١٤ ــ وقال السيوطيّ أيضاً : وأخرج البخاريّ في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : مَنْ قَالَ : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ! وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ! وَتَرَحّمْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا تَرَحّمْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، شَهِدْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالشّهَادَةِ وَشَفَعْتُ لَهُ . (١٣٦)

١٥ ــ وقال السيوطيّ أيضاً : وأخرج ابن سعد ، وأحمد ، والنسائيّ ، وابن مردويه عن زيد بن أبي خارجة قال : قلنا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ السّلَامُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

فقال : صَلّوا عَلَيّ وَاجْتَهِدُوا . ثمّ قولوا : اللَهُمّ بَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيم إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ! (١٣٧)

١٦ ــ وقال السيوطيّ أيضاً : وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه عن بُريدة ، قال : قلنا : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلّي عَلَيْكَ ؟!

قال : قولوا : اللَهُمّ اجْعَلْ صَلَواتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى إبْرَاهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . (١٣٨)

أجل ، كلّنا نعلم أنّ السيوطيّ من أعاظم أهل السنّة ، وأنّ تفسيره «الدرّ المنثور» في غاية الشأن والاعتبار عندهم . وقد نقلنا منه تلك الأحاديث عن صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كأمير المؤمنين عليه السلام ، وكعب بن عُجرة ، وابن عبّاس ، وطلحة بن عبيد الله ، وبشير بن سعد ، وأبي هريرة ، وأبي مسعود الأنصاريّ : عقبة بن عمرو ، وزيد بن أبي خارجة ، وبُريدة ، ليستبين أنّ هؤلاء الرواة موثّقون عند العامّة ، وكلامهم حجّة . وتدلّ هذه الأحاديث كلّها بصراحة على أنّ للفظ آل محمد مدخليّة في تحقّقها . وأنّ الصلاة على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله بدون عطف آل محمّد عليه ساقطة من درجة الاعتبار . (١٣٩)

نقلنا عن السيوطيّ في هذا المقام ستّة عشر حديثاً بأسناد متنوّعة ورواة متعدّدين ليتعيّن اعتبارها واستفاضتها وثبوتها عند أهل السنّة ، وإن كان متن بعضها متباين اللفظ إجمالاً ، لكنّ مفادها واحد .

أمّا من أحاديث الخاصّة ، فقد فتح العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه في كتاب الذّكر والدعاء من «بحار الأنوار» باباً في فضل الصلاة على النبيّ وآله ، وهو زاخرٌ بأحاديث صحيحة وموثّقة وحسنة كثيرة . (١٤٠)

منها عن كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» فيما احتجّ الإمام الرضا عليه السلام على علماء المخالفين بمحضر المأمون في تفضيل العترة الطاهرة قال عليه السلام : وأمّا الآية السابعة فقول الله تعالى :

«إِنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِىّ يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيمًا» . (١٤١) وَقَدْ عَلِمَ المُعَانِدُونَ مِنْهُمْ أَنّهُ لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَدْ عَرَفْنَا التّسْلِيمَ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ الصّلَاةُ عَلَيْكَ ؟!

فَقَالَ : تَقُولُونَ : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ !

فَهَلْ بَيْنَكُمْ مَعَاشِرَ النّاسِ فِي هَذَا خِلَافٌ ؟! قَالُوا : لَا !

قَالَ المَأْمُونُ : هَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ أَصْلاً ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الأُمّةِ . فَهَلْ عِنْدَكَ فِي الآلِ شَيءٌ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا فِي القُرْآنِ ؟! إلى آخر الحديث .

يكمن في هذه الآية المباركة سرّ في غاية العجب ، لأنّ الله تعالى أمر فيها بالصلاة على نبيّه ، لا عليه وعلى آله ، في حين وردت الأحاديث الكثيرة وهي تذكر أنّ الصلاة على النبيّ هي الصلاة عليه وآله .

أي : أنّ النبيّ هو النبيّ وآله . ويعود هذا المعنى إلى شدّة اتّصال نفوسهم القدسيّة به ، بحيث لا تُلحظ بين نفسه ونفوسهم بينونة ومسافة أبداً ، وقد ارتقوا في مراتب التوحيد والمعرفة وتبوّؤوا المقام الذي تبوّأه صلّى الله عليه وآله ، ولم يتخلّفوا لحظة واحدة عن هذا المعراج المعنويّ والروحيّ ووجدوا نفسه المقدّسة هو الهُويّة .

هذا هو الوصول إلى مقام الفناء في ذات الله تعالى ، وحقيقة الواحديّة والوحدانيّة هي مفاد الولاية الإلهيّة الكلّيّة المطلقة ومعناها ، ويستحيل تعدّدها وتجزّؤها ، وأنّها محض التجرّد والنور الخالص والبساطة الكاملة .

فالصلاة على النبيّ هي الصلاة على آله ، والصلاة عليهم هي الصلاة عليه . ذُرّيّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . (١٤٢)

وهناك يكون عنوان محمّد عين عنوان عليّ ، ونفس عنوان فاطمة ، وحقيقة عنوان الحسن والحسين . وواقعيّة عنوان عليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن ومحمّد ، أي : لا عنوان .

هُنَالِكَ الْوَلَيَةُ لِلّهِ الْحَقّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا . (١٤٣)

ونحن نعلم أنّ الولاية منحصرة بالله سبحانه وحده .

فهذه الولايات جميعها على نحو هُو الهُويّة الواقعيّة ، وهي ليست أكثر من ولاية واحدة ، لأنّ هناك واقعيّة واحدة واسماً أعظمَ وجوديّاً واحداً لا أكثر ، ولا معنى لأكثر من وجود أصيل بحت صِرف واحد .

فإذا قلتم : لماذا نجد في تفسير هذه الآية التي تُشعِر بهذا المعنى البسيط المجرّد والذات الوحدانيّة ، وفيها خطاب الله تعالى للمؤمنين أن يصلّوا على النبيّ وحده ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله فصل الآل ، وعطفها عليه ؟!

وكان ينبغي أن يقول أيضاً : قُولُوا : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ !

والجواب هو : هذا المعنى الدقيق لا يدركه إلّا أُولو الولاية وطلّابُ هذه المدرسة الماهرون . وأمّا سائر الناس فلا خلاق لهم منه . فلهذا أمر النبيّ أن تُلحق الصلاة على آله بالصلاة عليه لئلّا يُنسى أصل الصلاة على آله ويودَع في ملفّ الجهل والغفلة والإهمال ، وإلّا فالصلاة عليه دون آله ليست في الحقيقة حقيقة الصلاة عليه ولُبّها ، ونكشف إنّاً أنّنا لم نُصَلّ على نفسه الواقعيّة صلّى الله عليه وآله ، بل صلّينا على رسولٍ مفصول عن آله . من هنا لابدّ لنا أن نعطف آل محمّد بعينها على محمّد لتتّخذ الصلاة عليه موقعها الحقيقيّ .

وهذا هو السرّ في النطق بالصلاة على محمّد وآل محمّد مباشرة حيثما ذُكر اسم النبيّ صلّى الله عليه وآله .

نقول في الصلاة : وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وبعدها مباشرة اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ . ثمّ ندعو للنبيّ فنقول : وَتَقَبّلْ شَفَاعَتَهُ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ وَقَرّبْ وَسِيلَتَهُ وَأَدْخِلْنَا فِي زُمْرَتِهِ .

جاء في أمالي الصدوق أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : بالشّهَادَتَيْنِ تَدْخُلُونَ الجَنّةَ ، وَبِالصّلَاةِ تَنَالُونَ الرّحْمَةَ ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصّلَاةِ عَلَى نَبِيّكُمْ وَآلِهِ «إِنّ اللَهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيمًا» . (١٤٤)

نجد هنا أنّ الإمام عليه السلام استدلّ بهذه الآية المباركة التي ذُكِرَ فيها النبيّ وحده للاستشهاد بها على الصلاة على آله .

ونجد أنّ الإمام السجّاد عليه السلام يصلّي على النبيّ وآله بعد ذِكر اسم النبيّ كما جاء في «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ، قال عليه السلام : وَالحَمْدُ لِلّهِ الّذِي مَنّ عَلَيْنَا بِمُحَمّدٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ وَالقُرُونِ السّالِفَةِ . (١٤٥)

وقال أيضاً : اللَهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرّفْتَنَا بِهِ ، وَصَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ كَمَا أَوْجَبْتَ لَنَا الحَقّ عَلَى الخَلْقِ بِسَبَبِهِ . (١٤٦)

ومن هنا نستطيع أن ندخل في جواب إشكاله من الجهة الثالثة ، إذ كان قد قال : في دعاء الصباح والمساء الواردة فيه الصلاة على محمّد وآله :

اللَهُمّ فَصَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ أَكْثَرَ مَا صَلّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَآتِهِ عَنّا أَفْضَلَ مَا آتَيْتَ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، وَاجْزِهِ عَنّا أَفْضَلَ وَأَكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِكَ عَنْ أُمّتِهِ !

ونلحظ هنا أنّ كلمة آله لو كانت جزءاً من الأصل ، لكان مناسباً أن تأتي الضمائر بصورة الجمع ، أي : آتِهِمْ ، وَاجْزِهِمْ عَنّا ، وتبدو الجملة الأخيرة غير مناسبة ، وهي قوله : أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِكَ عَنْ أُمّتِهِ ، فكان مناسباً أن تكون كالآتي : أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَآلِهِ عَنْ أُمّتِهِمْ .

الجواب : لو كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد جملة ابتدائيّة استئنافيّة بدون عطفها على الجملة التي سبقتها ، لكان مناسباً أن تأتي الضمائر بصورة الجمع . ولكنّ الطريف هنا هو أنّ اسم محمّد صلّى الله عليه وآله ذُكر وحده في الجملة السابقة ، وهذه الضمائر تعود إليه بعد ذكر الصلاة على محمّد وآله . فأَنْعِم النظر !

وَأَنّ مُحَمّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَخِيَرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ حَمّلْتَهُ رِسَالَتَكَ فَأَدّاهَا وَأَمَرْتَهُ بِالنّصْحِ لِأُمّتِهِ فَنَصحَ لَهَا ، اللَهُمّ فَصَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ ... إلى آخره .

ونلحظ هنا أنّه قال في الدعاء للنبيّ بعد النطق بالصلاة عليه : اللهمّ آته عنّا أفضل ما آتيت أحداً من عبادك !

وحينئذٍ تكون العبارة في غاية الانسجام والبلاغة ، وأنّى لأحد أن ينتقدها ؟!

الجهة الرابعة : من الإشكال الوارد على موضوع صلواتها ، فنقول له : نجد ــ على أيّ تقدير وبأيّ توجيه وتأويل ــ أنّ مواضع كثيرة من الصلاة الموجودة في «الصحيفة الكاملة» المشهورة غير موجودة في «الصحيفة» المكتشفة .

أو ينبغي أن نقول : إنّ الأصل هو الصحيفة المكتشفة التي تخلو من الصلاة ، وإنّ هذه الصلاة قد زيدت في الصحيفة المشهورة ، وإن لم تَعُدّها جزءاً من الدعاء ، بل حسبتها للتيمّن والتبرّك ، فالإشكال يظلّ قائماً ، وعلامة الاستفهام تظلّ مُثارة : مَنِ الذي أدخل هذه الإضافات في الصحيفة الأصليّة للتيمّن والتبرّك ؟!

هل فعل الأئمّة المتأخّرون ذلك من عند أنفسهم ؟ أم فعله علماء الشيعة في وقت متأخّر ؟! متى أُضيف إليها ؟! ومَن الذي أضافه ؟!

إنّ الإضافة إلى عبارة أحدٍ مهما كانت النيّة تعدّ دسّاً وتدليساً عند علماء الدراية ، وهي حرام عقلاً وشرعاً .

ولمّا كنّا لا نستطيع أن نجمع بين صحّة حديث الصلاة ، وصحّة عدمه ، أي نقول : الصحيفة المشهورة صحيحة السند ، والصحيفة المكتشفة كذلك ، إذ نجمع بين المتناقضين ، فلابدّ أن نقول : إمّا حدث دسّ وتدليس في الصحيفة المشهورة فأُضيفت إليها الصلاة ؟! أو سقطت الصلاة من الصحيفة المكتشفة فاعتراها نقص ؟! ويُجمع علماء الدراية على أرجحيّة القول بعدم الزيادة ، وتقديم أصل عدم الزيادة على أصل عدم النقيصة عند التعارض ولزوم الالتزام بأحدهما لا محالة .

فاستبان في ضوء هذا البيان أنّ خلوّ الصحيفة المكتشفة من الصلاة لا يمكن أن يعدّ امتيازاً لها ، بل هو نقص في مقابل الصحيفة الكاملة ، فلا اعتبار لها حينئذٍ .

الجهة الخامسة : من الإشكالات الواردة على شارح الصحيفة المكتشفة وناشرها في موضوع الصلاة هو أنّه قال : لمّا ذُكرت الصلاة في موضعين من تلك الصحيفة ، لهذا لا يمكن أن يكون خلوّها من بقيّة الصلوات على سبيل التقيّة أو التعصّب . ولذا ينبغي أن نَعدّ تلك الزيادات على سبيل التيمّن والتبرّك .

الجواب هو : لماذا لايمكن أن يكون الإسقاط والحذف من وحي التعصّب ؟ ولا فرق عند أهل السّنّة بين ذكر موضعين من الصلاة ، وبين ممارسة التعصّب وحذف جميع الصلوات ، وإسقاط تتمّة رواية المقدّمة ، ورؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وتفسيرها بملك الأمويّين .

كان رواة الصحيفة المكتشفة ــ كما رأينا ــ من الشافعيّة والحنفيّة ، وهم مجهولون عندنا من حيث الوثوق . ونحن وإن قبلنا رواية السّنّيّ العادل في مذهبه ، ووثقنا بكلامه ، لكنّ وثاقته تظلّ مجهولة عندنا . ما هو الدليل العقليّ والحجّة الشرعيّة لقبول قولهم وروايتهم في الصحيفة المكتشفة ، مع عدم إحراز وثاقتهم ؟!

إنّ تعصّب علماء العامّة في التدخّل في الروايات ، وانتهاك المسلّمات ، وتحريف الأسناد والمتون ملحوظ إلى درجة يندهش معها كلّ رجل متتبّع في الجملة .

قال العالم المتتبّع والباحث المعظّم سماحة السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ أعلى الله مقامه : وجدتُ في المكتبة الظاهريّة بدمشق نسخة من كتاب «تنزيه الأنبياء والأئمّة» للشريف المرتضى علم الهدى رضوان الله تعالى عليه ، كان آخرها ناقصاً ؛ إذ حُذف منها تنزيه الأئمّة . وكُتب في هامشها : لمّا كان هذا القسم باطلاً فقد مزّقته وألقيته في البحر .

كتب ذلك سنّيّ متعصّب كان قد قرأ الكتاب .

هل تعلم كم أُحرق من مكتبات الشيعة على مرّ التأريخ ؟ هل تعلم أنّ آلاف الكتب النفيسة المولّفة من قبل العلماء الباحثين صارت طعمةً للنار ؟!

ماذا يعني هذا غير العناد ومعاداة العلم والحقيقة ؟! هلمّوا طالعوا هذه الكتب ، فإذا عثرتم على شيء غير صحيح فيها برأيكم ، فردّوه ردّاً مطعّماً بالدليل والبرهان ، وانشروه في كتبكم ومكتباتكم ! عَلامَ تدمّرون الكتب البريئة أو تدفنونها أو تحرقونها أو تلقونها في البحر ؟!

إنّ السنّة المتعصّبين الذين لا طاقة لهم على البحث العلميّ ولا قدرة لديهم على تحمّل الحقّ يقتلون ويَصلبون ويحرِقون . وقد قُتل من الشيعة على مرّ التأريخ ما لا يُحصى ، لا لذنبٍ إلّا التشيّع والولاء لأمير المؤمنين عليه السلام الفذّ الفريد الذي كان يتحرّى الحقّ

وحده ، وقد عرج وسما حتّى رأى السماء تحته ! ودُمّر وأُحرق من كتب الشيعة ما يدعونا أن نقول : إنّ كتبهم الموجودة الآن ، لا شيء بالنسبة إلى كتبهم الضائعة .

قيل : أُحرقت مكتبة الريّ التي كانت تضمّ أربعمائة ألف كتاب بسبب تشيّع أهلها . وكان مؤسّسها على ما يبدو هو الصاحب بن عبّاد الذي شيّد المدارس والمساجد وأسّس تلك المكتبة الفريدة التي كانت تلبّي حاجات علماء الريّ وطلّابها يومئذٍ . وكان سكّان المدينة يعدّون بالملايين آنذاك .

أمّا الذي ارتكب تلك الجريمة المروّعة فهو السلطان محمود الغزنويّ الذي عُرِفَ عنه تعصّبه وتكبّره وتعجرفه واستبداده . وقد سيّر جيشاً جرّاراً إلى المدينة لتشيّع أهلها وانتشار العلم في ربوعها ، ورواج المذهب الشيعيّ في أرجائها . واقترف مذبحة جماعيّة بحقّ الأهالي ، وأمر بإخراج الكتب من المكتبات ، وفرز الشيعيّة منها ووضعها جانباً ، فصارت كالتلّ العظيم ، ثمّ أحرقها جميعاً .

وأحرقت مكتبة حلب ، ومكتبة طرابلس أيضاً . (١٤٧)

وغدت مكتبة سابور ببغداد طعمة للحريق وكانت أعظم مكتبات الشيعة يومئذٍ .

قال ياقوت الحمويّ تحت عنوان «بين السّورَين» : تثنية سور المدينة : اسم لمحلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد ، وكانت من أحسن محالّها وأعمرها ، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة . ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها . كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأُصولهم المحرّرة . واحترقت فيما أُحرق من محالّ الكرخ عند ورود طُغرل بك أوّل ملوك السلجوقيّة إلى بغداد سنة . ٤٤٧ وينسب إلى هذه المحلّة أبو بكر أحمد بن محمّد بن عيسى بن خالد السوريّ المعروف بالمكّيّ ، حدّث عن أبي العيناء وغيره ، روى عنه أبو عمر بن حَيّويه الخزّاز ، والدارقطنيّ ، ومات سنة ٣٢٢. (١٤٨)

وأُحرقت مكتبة الشيخ الطوسيّ وكرسيّ درسه وبيته ، ففرّ إلى النجف الأشرف بنفسه ، وألقى رحله هناك متوطّناً ، ثمّ بدأ التدريس فيها .

أورد ابن الأثير في تأريخه ، عند ذكر الحوادث الواقعة سنة ٤٤١ ه : وفيها مُنع أهل الكرخ (و كلّهم كانوا من الشيعة) من النوح ، وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك . فجرى بينهم وبين السّنّة فتنة عظيمة قُتل فيها وجُرح كثير من الناس ، ولم ينفصل الشرّ بينهم حتّى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم ، فكفّوا حينئذٍ .

ثمّ شرع أهل الكرخ في بناء سور على الكرخ . فلمّا رآهم السّنّة من القلّائين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلّائين . وأخرج الطائفتان في العمارة مالاً جليلاً . وجرت بينهما فتن كثيرة ، وبطلت الأسواق ، وزاد الشرّ ، حتّى انتقل كثير من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ فأقاموا به .

وتقدّم الخليفة العبّاسيّ إلى أبي محمّد بن النّسَويّ بالعبور وإصلاح الحال وكفّ الشرّ . فسمع أهل الجانب الغربيّ ذلك ، فاجتمع السّنّة والشيعة على المنع منه ، [١٤٩] وأذّنوا في القلّائين وغيرها ب : حَيّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ ، وأذّنوا في الكرخ : الصّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النّومِ ، وأظهروا الترحّم على الصحابة ، فبطل عبوره .

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٣ :

في هذه السنة ، في صفر ، تجدّدت الفتنة ببغداد بين السّنّة والشيعة ، وعظمت أضعاف ما كانت قديماً ، فكان الاتّفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض ، لما في الصدور من الإحَن . [١٥٠]

وكان سبب هذه الفتنة أنّ أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السمّاكين ، وأهل القلّائين في عمل ما بقي من باب مسعود . ففرغ أهل الكرخ ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب : مُحَمّدٌ وَعَلِيّ خَيْرُ البَشرِ .

وأنكر السّنّة ذلك وادّعوا أنّ المكتوب : مُحَمّدٌ وَعَلِيّ خَيْرُ البَشَرِ ، فَمَن رَضِيَ فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ أَبِيَ فَقَدْ كَفَرَ . وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا : ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا . فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمّام ، نقيب العبّاسيّين ، ونقيب العلويّين ، وهو عدنان [١٥١] ابن الرضيّ لكشف الحال وإنهائه ، فكتبا بتصديق قول الكرخيّين . فأمر حينئذٍ الخليفة ونوّاب الرحيم بكفّ القتال ، فلم يقبلوا .

وانتدب ابن المذهب القاضي ، والزهيريّ ، وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد أن يحمل العامّة على الإغراق في الفتنة . فأمسك نوّاب الملك الرحيم عن كفّهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة . ومنع هؤلاء السنّة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ . وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه ، فعظم الأمر عليهم ، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف ، وصبّوا عليه ماء الورد ، ونادوا : المَاءُ لِلسّبِيلِ (أي : أنّ الماء الذي حرمتمونا منه ها نحن نهيّئه بيُسر ، وقد مزجنا به ماء الورد ، ونوزّعه في سبيل الله مجّاناً في كلّ سكّة وزقاق!) فأغروا بهم السّنّة .

وتشدّد رئيس الرؤساء [١٥٢] على الشيعة ، فمحوا خَيْرُ البَشَرِ ، وكتبوا عَلَيْهِمَا السّلَامُ ، أي : على مُحَمّدٍ وَعَلِيّ صلّى الله عليهما وآلهما .

فقالت السنّة : لا نرضى إلّا أن يقلع الآجر الذي عليه : مُحَمّدٌ وَعَلِيّ ، وأن لا يُؤَذّن : حَيّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ . وامتنع الشيعة من ذلك . ودام القتال إلى ثالث ربيع الأوّل . وقُتل فيه رجل هاشميّ من السّنّة ، فحمله أهله على نعش ، وطافوا به فيالحربيّة ، وباب البصرة ، وسائر محالّ السّنّة . واستنفروا الناسَ للأخذ بثأره ، ثمّ دفنوه عند أحمد بن حنبل ، وقد اجتمع معهم خلقٌ كثير أضعاف ما تقدّم .

فلمّا رجعوا من دفنه قصدوا مَشْهَدَ بابُ التّبْنِ (مشهد الكاظمين عليهما السلام) فأُغلق بابه ، فنقبوا في سوره وتهدّدوا البوّاب ، فخافهم وفتح الباب ، فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب [١٥٣] ذهب وفضّة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور ، وأدركهم الليل فعادوا .

فلمّا كان الغد كثر الجمع ، فقصدوا المشهد ، وأحرقوا جميع الترب والآزاج ، واحترق ضريح موسى بن جعفر ، وضريح ابن ابنه محمّد بن عليّ ، والجوار ، والقبّتان الساج اللتان عليهما . واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بُويَه : معزّ الدولة ، وجلال الدولة . ومن قبور الوزراء والرؤساء ، وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وقبر الأمير محمّد بن الرشيد ، وقبر أُمّه زبيدة .

وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله .

فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن عليّ [عليهما السلام] لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل ، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر ، فجاء الحفر إلى جانبه . وسمع أبو تمّام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين السنّة الخبر ، فجاؤوا ومنعوا عن ذلك .

وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيّين فنهبوه ، وقتلوا مدرّس الحنفيّة أبا سعد السّرَخْسيّ ، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء . وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقيّ ، فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بجّ ، والأساكفة ، وغيرهم .

ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزيد ، عظم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ لأنّه ، وأهل بيته ، وسائر أعماله من النيل ، وتلك الولاية كلّهم شيعة . فقُطعت في أعماله خطبة القائم بأمر الله ، فَرُوسِلَ في ذلك وعُوتِبَ ، فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة ، واتّفقوا على ذلك ، فلم يمكنه أن يشقّ عليهم ، كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا . وأعاد الخطبة إلى حالها . [١٥٤]

قال العلّامة الأمينيّ بعد بيان ما نقلناه آنفاً عن تاريخ ابن الأثير :

وزاد ابن الجوزيّ في «المنتظَم» ج ٨ ، ص ١٥٠ : ظهر عيّار الطقطقيّ من أهل درزيجان وحضر الديوان واستتيب وجرى منه في معاملة أهل الكرخ وتتبّعهم في المحالّ وقتلهم على الاتّصال ما عظمت فيه البلوى .

واجتمع أهل الكرخ وقت الظهيرة فهدمت حائط باب القلّائين ورموا العذرة على حائطه . وقطع الطقطقيّ رجلين وصلبهما على هذا الباب بعد أن قتل ثلاثة من قبل وقطع رؤوسهم ورمى بها إلى أهل الكرخ وقال : تغدّوا برؤوس ! ومضى إلى درب الزعفرانيّ فطالب أهله بمائة ألف دينار وتوعّدهم إن لم يفعلوا بالإحراق فلاطفوه فانصرف ، ووافاهم من الغد فقاتلوه فقُتل منهم رجل هاشميّ ، فحمل إلى مقابر قريش .

واستنفر البلد ونقب مشهد باب التّبن ونُهب ما فيه ، وأُخرج جماعة من القبور ، فأحرقوا مثل العونيّ ، والناشي ، والجذوعيّ (من شعراء أهل البيت عليهم السلام المعروفين) .

ونقل من المكان جماعة موتى فدُفنوا في مقابر شتّى وطرح النار في الترب القديمة والحديثة ، واحترق الضريحان والقبّتان الساج ، وحفروا أحد الضريحين ليخرجوا مَن فيه ويدفنونه بقبر أحمد بن حنبل ، فبادر النقيب والناس فمنعوهم ... إلى آخره .

وذكر القصّة على الاختصار ابن العماد في «شذرات الذهب» ج ٣ ، ص ٢٧٠ ، وابن كثير في تاريخه : ج ١٢ ، ص ٦٢. (١٥٥)

ومن الجدير ذكره أنّ الشيخ أبا جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ شيخ الطائفة الحقّة المُحِقّة هاجر إلى النجف الأشرف في تلك السنة نفسها ، إذ كان في بادئ أمره مقيماً بكرخ بغداد كأُستاذه الشريف المرتضى ، ثمّ نزح عنها بعد قتل أبي عبد الله بن الجلّاب أحد وجوه الشيعة من قبل الخبيث السقيم الفطرة رئيس الرؤساء وزير القائم بالله . وكان هذا الوزير يريد قتل الشيخ الطوسيّ أيضاً ، ففرّ من بغداد تلقاء النجف ، ونُهبت داره ، وأُحرقت مكتبته .

ولم تكن النجف يومئذٍ مدينة رسميّة . ولكن عندما هاجر إليها الشيخ سنة ٤٤٣ ، أصبحت مركزاً للتعليم والتدريس . ثمّ تقاطر عليها العلماء والطلّاب ، ونبغ منها ومن الحلّة علماء عظام طوال السنوات الألف الماضية وإلى يومنا هذا .

ويبدو أنّ دعاء الشريف المرتضى في شعره ، إذ يقول :

وَلَوْ استَطَعْتُ جَعَلْتُ دَارَ إقَامَتِي
تِلْكَ القُبُورَ الزّهْرَ حَتّى أُقْبَرَا (١٥٦)

قد أُجيب في تلميذه . وتوطّن الشيخ الطوسيّ النجف الأشرف ودفن في داره التي كانت واقعة في الضلع الشماليّ خارج الصحن المطهّر .

وكانت ولادة الشيخ في سنة ٣٨٥ ه ، ووفاته في سنة ٤٦٠ ه .

ذكرنا هذه القصّة ليقف القرّاء على المدى الذي وصلت إليه ظلامة الشيعة على مرّ التأريخ بسبب قول الحقّ . إنّ فقرة حَيّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ جزء من الأذان ، ويقرّ السّنّة أنفسهم أنّ عمر بن الخطّاب هو الذي حذفها ووضع مكانها عبارة : الصّلَاةُ خَيرٌ مِنَ النّومِ .

وهذا الإسقاط وتلك الإضافة كلاهما غير صحيح .

إنّ القول عَلِيّ خَيْرُ البَشَرِ مَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ورواه أهل السنّة أيضاً ، ونحن نقلناه في الجزء الأوّل من كتابنا هذا ، ص ٢٤٣ بخمسة ألفاظ مختلفة ومتّحدة المعنى عن طرق العامّة .

أجل ! أجل ! إنّ هذه الممارسات والأعمال كلّها ناتجة من الجهل الذي يغلي في صدر الجاهل .

تقييد دوا ز جرح مطلق كردن
هم جَذْرِ أصَمّ به فكر مُنْطِقْ كردن
جمع شب وروز در زمان واحد
بتوان ، نتوان علاج أحمق كردن [١٥٧]

جاء في كتاب «الفصول الفخريّة» : في هذه السنة ــ ٧١١ ه ــ قُتل السيّد تاج الدين : أبو الفضل محمّد بن مجد الدين الحسين بن عليّ بن زيد ، الذي كان من نسل زيد بن الداعي ، وولداه : شمس الدين حسين ، وشرف الدين عليّ على ضفاف شطّ بغداد . وقَطّع بعض الأجلاف من عوامّ بغداد جسم السيّد إرباً إرباً وأكلوا لحمه ، وتبايعوا كلّ شعرة منه بدينار .

وكان سبب عدائهم له هو أنّه كان تلميذ الشيخ جمال الدين الحسن ابن يوسف بن المُطهّر المعروف بالعلّامة الحلّيّ الذي ناظر علماء المذاهب السنّيّة عند السلطان محمّد خدابنده فتحوّل السلطان إلى المذهب الشيعيّ . (كان السيّد تاج الدين نقيب النقباء في جميع أمصار السلطان محمّد خدا بنده) . [١٥٨]

وأقول : وُلِدَ السلطان محمّد خدابنده الجايتو سنة ٦٨٠ ه وتوفّي سنة ٧١٦ ه . فكان مقتل السيّد تاج الدين وولدَيه في عصره .

أجل ، نقلنا هذه الموضوعات هنا ليستبين أنّ أهل السّنّة يعارضون الحقّ في غير سدد ، ويحرقون مكتبات الشيعة الزاخرة بكتبهم العلميّة والكلاميّة بلا سبب يُذكَر ، ويبدون وقاحتهم وشناعة أفعالهم لفرض السكوت أمام الظلم ، وكمّ الأفواه في مقابل خيانات كبارهم وجرائمهم فحسب ، ويمضون في صلافتهم إلى الحدّ الذي لايرون فيه مانعاً من حذف الصلاة على النبيّ وآله من «الصحيفة السجّاديّة» ، بل يعدّونه تقرّباً إلى الله .

الجهة السادسة : من الإشكالات في مجال الصلاة هي أنّه قال : وكذلك فإنّ إضافة آلِ مُحَمّدٍ إلى الصلاة على النبيّ جاءت حسب روايات نقلها العامّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وفيها : لَا تُصَلّوا عَلَيّ صَلَاةً بَتْرَى . وفُسّرت الصلاة البتراء بالصلاة على النبيّ وحده دون آله .

الجواب : يُستَشَفّ من هذه الفقرة أنّ عين هذه الكلمات هي ألفاظ الرواية ، وهي تبدو غير صحيحة من جهتين :

الأُولى : مؤنّث أبتر بتراء بالمدّ ، ذلك لأنه وصف ، وكلّ وصف على وزن أَفْعَلْ مؤنّثه فَعْلاء بالمدّ كأَبْيَض بَيْضَاءِ ، وأَسْمَر سَمْرَاء ، وأَعْوَر عَوْرَاء ، إلّا إذا كان أفعل

التفضيل ، فمؤنّثه على وزن فُعْلى ، : مثل أَكْرَم كُرْمَى ، وَأَصْغَرْ صُغْرَى ، وَأَعْظَم عُظْمَى ، إذ لا مدّ فيه ، وفاء الفعل مضمومة .

أو كان نعتاً على وزن فَعْلَان ، فمؤنّثه على وزن فَعْلَى ، نحو : عَطْشَان عَطْشَى ، وَسَكْرَان سَكْرَى ، وظَمْآن ظَمْأَى . وعلى هذا فمؤنّث أبتر الوصفيّ بَتْراء دائماً لا بَتْرى .

الثانية : القول : لَا تُصَلّوا عَلَيّ صَلَاةً بَتْرَاءَ ، ليس متنَ حديث ، إذ لم يروه الشيعة ولا العامّة . فلم يروه العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار» ، ولا الشيخ الحرّ العامليّ في «وسائل الشيعة» ، ولا الفيض الكاشانيّ في «الوافي» ، كما لم يروه العامّة في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم . [١٥٩] ولم يذكره السيوطيّ في «الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير» ، ولا عبد الرؤوف المناويّ في «كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق» وهما مختصّان بألفاظ الرسول الأكرم وأخباره . وذكره فقط ابن حجر الهيتميّ المالكيّ في «الصواعق المحرقة» ص ٨٧ ، مرسلاً بلفظ : لَا تُصَلّوا عَلَيّ الصّلَاةَ البَتْرَاء ، مع تعريف كلمة الصلاة ، وكلمة البتراء ونقله عنه العلّامة الأمينيّ رحمه الله في «الغدير» ج ٢ ، ص ٣٠٣ بهذا اللفظ نفسه .

أجل ، وردت أحاديث حسب مفاد الحديث المتقدّم ومضمونه كالحديث الذي نقله العلّامة المجلسيّ رحمه الله في «بحار الأنوار» ج ٥ ، ص ٢٠٩ ، عن «تفسير النعمانيّ» ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه : هَذَا مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا قَالَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ : لَا تُصَلّوا عَلَيّ صَلَاةً مَبْتُورَةً إذَا صَلّيْتُمْ عَلَيّ ، بَلْ صَلّوا عَلَى أَهْلِ بَيْتِي وَلَا تَقْطَعُوهُمْ مِنّي ، فَإنّ كُلّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إلّا سَبَبِي وَنَسَبِي إلى آخره . وأورد العلّامة المجلسيّ عين هذا الحديث أيضاً في «بحار الأنوار» ج ٩٣ ، ص . ١٤ وكالأحاديث المستفيضة التي نقلناها أخيراً في كيفيّة الصلاة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وكحديث الصدوق بسنده المتّصل عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

مَنْ قَالَ : صَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ ، قَالَ اللّهُ جَلّ جَلَالُهُ : صَلّى اللّهُ عَلَيْكَ ! فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ ! وَمَنْ قَالَ : صَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ ، وَلَمْ يُصَلّ عَلَى آلِهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الجَنّةِ ، وَرِيحُهَا تُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسمِائَةِ عَامٍ . [١٦٠]

وروى الشيخ الصدوق أيضاً بسنده المتّصل عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مَنْ صَلّى عَلَيّ وَلَمْ يُصَلّ عَلَى آلِي لَمْ يَجِدْ رِيحَ الجَنّةِ ، وَإنّ رِيحَهَا لَتُوْجَدُ مِنْ مَسيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ . [١٦١]

والمزيّة السابعة للصحيفة المكتشفة القديمة هي : سلامة صحّة سندها . وننقل فيما يأتي لفظه نفسه ليتبيّن بُعد هذه المزيّة تماماً عنده ، ثمّ نجيب عنها ونشير إلى مواضع إشكالها وخطئها :

قال : المزيّة السابعة للصحيفة القديمة ــ ويمكن أن نقول : أهم مزيّة ــ سلامة سندها . وتوضيح ذلك :

يبدأ سند الصحيفة المعروفة بهذه الجملة : حَدّثَنَا السّيّدُ الأَجَلّ بَهَاءُ الشّرَفِ ، إلى آخرها . لذا يُطرَح سؤال ، هو : من القائل : حَدّثَنَا ؟! للعلماء تحقيقات في هذا الموضوع .

قال المحقّق الداماد قدّس الله سرّه : الراوي الأوّل ، أي : القائل حَدّثَنا هو : عَمِيدُ الرّؤَسَاءِ هِبَةُ اللَهِ بنُ حَامِدِ بْن أَيّوبَ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَيّوب اللغويّ المشهور .

وقال الشيخ البهائيّ قدّس الله نفسه : هو الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن محمّد بن السّكون الحِلّي النحويّ الذي تُوفّي فيحدود سنة ٦٠٦ على ما نقل السيوطيّ في «بغية الوعاة» ، وعبد الله الأفندي التبريزيّ في «رياض العلماء» . ولمّا كان عميد الرؤساء معاصراً لابن السكون ، كما روى عنهما السيّد فخار بن مَعْد الموسويّ ، وكانا في طبقة واحدة ، لذا يحتمل أن لا ترجيح لعميد الرؤساء على رواية ابن السكون .

وكانت عند الشيخ عليّ بن أحمد المعروف بالسديديّ نسخة من الصحيفة مدوّنة بخطّ ابن السكون .

إنّ ما قيل ، وما نُقل من أقوال أُخرى ليس أكثر من احتمال كما يُلاحَظ .

إنّ ما يضفي على الصحيفة المكشوفة في حرم الإمام الرضا عليه السلام من قيمة لا نظير لها هو أنّ سند رواية الصحيفة مذكور فيها . وهو أنّ كاتب هذه الصحيفة يسمّى الحسن بن إبراهيم بن محمّد الزاميّ [١٦٢] كتب هذه النسخة فيسنة . ٤١٦

ينقل عن أبي القاسم عبد الله بن محمّد بن سَلِمَة الفرهاذجرديّ أنّه أجاز كاتب الصحيفة الحسن بن إبراهيم أن يرويها عن أُستاذه أبي بكر الكرمانيّ . وأبو بكر الكرمانيّ أوّل راوٍ للسند في هذه الصحيفة التي لها سند مذكور في آخرها ، وهو غير السند الوارد في الصحيفة المشهورة المذكور سندها في أوّلها ــ انتهى كلامه .

ويعود جواب هذا الكلام إلى جهات متنوّعة لابدّ من مناقشتها كلّ على حدة بالتفصيل :

الجهة الأُولى : لمّا كان احتمال رواية عميد الرؤساء مساوياً لاحتمال رواية ابن السّكون ، ولا ترجيح بينهما ، لهذا فإنّ هذا الاحتمال وما ذُكر من أقوال أُخرى في سند «الصحيفة» ليس أكثر من احتمال فحسب . وفي ضوء ذلك يسقط سند الصحيفة من الوثوق واليقين إلى الاحتمال والشكّ ، فيفقد قيمته في مقابل سند «الصحيفة» المكتشفة المعلوم كاتبها وراويها .

الجواب ، أوّلاً : لا تفاوت في إتقان سند «الصحيفة» سواء كان المحدّث عميد الرؤساء أم ابنَ السّكون . ذلك أنّ الاثنين كانا شيعيّين موثّقين ، وكانا من أعاظم العلماء وفحولهم . [١٦٣]

وللعلم الإجماليّ حجّيّة في سند الرواية كما للعلم التفصيليّ في سندها ، إذ لا فرق بين أن تعلم يقيناً أنّ القائل (حدّثنا) هو عميد الرؤساء ، أو تعرف قطعاً أنّه ابن السكون ، أو هو أحدهما حتماً ولا يخرج عنهما ، في حين أنّك تشكّ في تحديده وتعيينه !

ألم يثبت تنجيز العلم الإجماليّ في المباحث الأُصوليّة كالعلم التفصيليّ ؟! ألم تعمل بالروايات التي يصل سندها إلى (أحدهما) عليهما السلام ، وأنت تعلم أنّ القائل هو إمّا الباقر عليه السلام ، أو الصادق عليه السلام ، لكنّك تشكّ في تعيين أحدهما على نحو اليقين ؟! ألم تعمل بها ؟ هل تُعرض عنها جانباً وتعدّها من المحتملات ، أم تعمل بها كرواية صدرت من أحدهما على التعيين ؟!

هل هناك تفاوت بين القائل : (حدّثنا) ، وبين انحصار الشبهة بين أحدهما ، أو بين الراوي عن أحدهما عليهما السلام وبين انحصار الشبهة بين أحد الإمامَين ؟!

ثانياً : قال بعض الأعلام كالمدرّس الجهاردهيّ رحمه الله : عميد الرؤساء ، وابن السكون متساويان ، [١٦٤] ويمكن أن يكونا شخصين . وقال البعض : القائل «حَدّثنا» كلاهما كما قال الأفندي في كتابه : الحقّ عندي أنّ القائل به كلاهما ، لأنّهما في درجة واحدة ، ولأنّ كليهما من تلامذة ابن العصّار اللغويّ . [١٦٥]

وكما قال المحدّث الجزائريّ في شرحه : وكلاهما حَسَنٌ لما يظهر من كتب الإجازات من أنّهما يرويان «الصحيفة» الشريفة عن السيّد الأجلّ . [١٦٦]

قال الشيخ بهاء الدين العامليّ : إنّه الشيخ ابن السّكون ، وأصرّ على ذلك ، وأنكر كونه من مقول السيّد عميد الرؤساء غاية الإنكار . [١٦٧]

ويرى السيّد محمّد باقر الاسترآباديّ المشهور بالميرداماد أنّ القائل هو عميد الرؤساء . قال في شرحه على «الصحيفة» : ولفظة «حدّثنا» في هذا الطريق لعميد الدين [١٦٨] وعمود المذهب عميد الرؤساء ، من أئمّة علماء الأدب ، ومن أفاخم أصحابنا رضي الله تعالى عنهم . فهو الذي روى الصحيفة الكريمة عن السيّد الأجلّ بهاء الشرف .

(دليلنا وشاهدنا) : هذه صورة خطّ شيخنا المحقّق الشهيد قدّس الله تعالى لطيفه على نسخته التي عورضت بنسخة ابن السكون . وعليها ــ أي : على النسخة التي بخطّ ابن السكون ــ خطّ عميد الدين عميد الرؤساء رحمه الله : قراءة قرأها عَلَيّ السيّد الأجلّ ، النقيب الأوحد ، العالم جلال الدين عماد الإسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مُعيّة أدام الله تعالى علوّه قراءة صحيفة مهذّبة .

ورويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد ، عن رجاله المسمّين في باطن هذه الورقة . وأبحته روايتها عنّي حسبما وقفته عليه وحدّدته له .

وكتب (هذا المطلب) هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيّوب بن عليّ ابن أيّوب في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة .

والحمد للّه الرحمن الرحيم ، وصلاته وتسليمه على رسوله سيّدنا محمّد المصطفى وتسليمه على آله الغرّ اللهاميم . (١٦٩)

إلى هنا حكاية خطّ الشهيد رحمه الله تعالى . (١٧٠)

ونلحظ في هذه العبارات أنّ إجازة هبة [الله] بن حامد بن أحمد (عميد الرؤساء) موجودة على ظهر «الصحيفة» كما يشهد الميرداماد اعتماداً على خطّ الشهيد الذي عرض نسخته على نسخة ابن السكون . وقد أجاز ابن معيّة «الصحيفة» عن طريق السيّد الأجلّ بنفس الرواة المعروفين . فلا جرم أنّ عميد الرؤساء رواها عن السيّد الأجلّ .

وسار العالم العظيم المرحوم السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ في شرحه على هذا المنوال أيضاً . وكان يذهب إلى أنّ القائل (حدّثنا) هو عميد الرؤساء استناداً إلى خطّ الشهيد . ذلك أنّه قال : وَهُوَ الصّحِيح كَمَا دَلّ عَلَيْهِ مَا وُجِدَ بِخَطّ المُحَقّق الشّهِيدِ قُدّسَ سِرّهُ . (١٧١)

وقال الميرداماد بعد استناد النسخة إلى عميد الرؤساء ، كما رأينا : فأمّا النسخة التي بخطّ عليّ بن السكون رحمه الله فطريق الإسناد فيها على هذه الصورة :

أخبرنا أبو عليّ الحسن بن محمّد بن إسماعيل بن أشباس البزّاز ، قراءة عليه فأقرّ به ، قال : أخبرنا أبو المفضّل محمّد بن عبد الله بن المطّلب الشيبانيّ ، إلى آخر ما في الكتاب .

وهناك نسخة أُخرى طريقها على هذه الصورة : حدّثنا الشيخ الأجلّ السيّد الإمام السعيد أبو عليّ الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسيّ ــ إلى ساقة الإسناد المكتوب في هذه النسخة على الهامش . (١٧٢)

وقال المحدّث الجزائريّ في توضيح هذه العبارة : وأمّا النسخة التي في الهامش المصدّرة بقوله : حَدّثنا الشيخ الأجلّ ، فهي النسخة التي نقلها الفاضل السديديّ من نسخة ابن إدريس لبيان الاختلاف في السند بينها وبين نسخة ابن السكون . وقد وجدناها مكتوبة في الأصل في كثير من النسخ ، والمتكلّم بيحدّثنا هو ابن إدريس . (١٧٣)

وبناءً على هذا فإنّ عدد النسخ التي يقدّمها لنا الميرداماد ثلاث ، وهي :

١ ــ نسخة عميد الرؤساء برواية السيّد الأجلّ .

٢ ــ نسخة ابن السكون برواية ابن أشناس البزّاز .

٣ ــ نسخة السديديّ بالرواية عن ابن إدريس ، عن أبي عليّ الحسن ابن محمّد الطوسيّ (ابن الشيخ الطوسيّ) .

وإذا أنعمنا النظر فيما ذكرنا ، تبيّن لنا أنّنا لا يمكن أن نعدّ نُسَخَ الصحيفة المصدّرة بكلمة (حدّثنا) لعميد الرؤساء وحده للأسباب الآتية :

١ ــ رواية عميد الرؤساء عن السيّد الأجلّ ثابتة ، ولكن روايته هي غير كلمة (حدّثنا) ، وما يدرينا لعلّ عينَ لفظ (حدّثنا) ليس لعليّ بن السكون ؟!

٢ ــ أنّ طريق رواية ابن السكون عن ابن أشناس البزّاز ــ وهو طريق آخر لا محالة ــ لا ينفي روايته بسند آخر عن السيّد الأجلّ . ما ضرّ لو أنّ عليّ بن السكون روى الصحيفة بطريقَين : الأوّل : طريق ابن أشناس . والثاني : طريق السيّد الأجلّ .

بل يتسنّى لنا القول : يمكن أن يكون القائل (حدّثنا) عميد الرؤساء ، ويمكن أن يكون ابن السكون للأدلّة الآتية :

أوّلاً : كلام الميرزا عبد الله الأفندي وهو الخبير في فنّ الرجال والدراية . قال : الحَقُ عِنْدِي أَنّ القَائِلَ بِهِ كِلَاهُمَا . (١٧٤)

ثانياً : كلام المحدّث الجزائريّ وهو من مفاخر علمائنا المتتبّعين . قال : وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ لِمَا يَظْهَرُ مِن كُتُبِ الإِجَازَاتِ مِنْ أَنّهُمَا يَرْوِيَانِ الصّحِيفَةَ الشّرِيفَةَ عَنِ السّيّد الأَجَلّ . (١٧٥)

ثالثاً : شهادة الملّا محمّد تقي المجلسيّ الأوّل ضمن بعض إجازاته . قال : ورواه عليّ بنُ سَكون عن السّيّد الأجلّ . (١٧٦)

عندما يقول هؤلاء : ورد في كتب إجازاتنا أنّ عليّ بن السكون ، وعميد الرؤساء كليهما روى الصحيفة عن السيّد الأجلّ ، فحينئذٍ لا مسوّغ لنا أن نحصر القائل (حَدّثنا) بأحدهما دون الآخر .

فالقائل (حدّثنا) إذن ــ وهو راوي «الصحيفة» ــ كلاهما ، لا شخص واحد مجهول .

٣ ــ روى كثير من أعلام الشيعة وأعاظمهم «الصحيفة الكاملة» عن السيّد الأجلّ بلا واسطة . فلا تنحصر روايتها عن السيّد الأجلّ عندئذٍ بعميد الرؤساء وابن السكون .

ونلحظ هذا الموضوع إذا دقّقنا في مشيخة وإجازات كتاب «بحار الأنوار» الحاوي مطالب نفيسة حقّاً . ونشير فيما يأتي إلى بعضها :

ذكر المجلسيّ رحمه الله مطالب كثيرة عن والده في رواية هذه الصحيفة المباركة .

منها : أنّ المرحوم والده الملّا محمّد تقي أعلى الله درجته قال في سياق بيان سنده في هذه الصحيفة : أرويها عن الشيخ عليّ ، عن الشيخ عليّ بن هلال ، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد ، عن الشيخ عليّ بن الخازن ، عن الشهيد ، عن الشيخ فخر الدين ... وهكذا يعدّ أعلام سنده مسلسلاً ، إلى أن يقول : عن العلّامة محمّد بن جعفر بن نِما ،

والسيّد شمس الدين فخّار بن معدّ الموسويّ ، والسيّد عبد الله بن زهرة ، عن ابن إدريس ، وعميد الرؤساء هبة الله بن أحمد بن أيّوب ، وعليّ بن السكون ، عن السيّد الأجلّ ، إلى آخر سند «الصحيفة الكاملة» . (١٧٧)

نرى هنا أنّ ابن إدريس هو أحد رواة الصحيفة مباشرةً ، مضافاً إلى ذينك العَلَمين .

وأيضاً عن والده ضمن إجازة أُخرى في بيان سند الصحيفة ، عن الشيخ عليّ ، عن الشيخ أحمد بن داود مُسَلْسلاً حتّى يصل إلى السيّدين الجليلَين عليّ بن طاووس وأحمد بن طاووس ، وغيرهم من الفضلاء ، عن السيّد ، عن عبد الله بن زهرة الحلبيّ ، ومحمّد بن جعفر بن نما ، والسيّد شمس الدين فخّار ، عن محمّد بن إدريس الحلّيّ بإسناده إلى آخره .

وعن عميد الرؤساء هبة الله بن أحمد بن أيّوب ، وعليّ بن السكون ، عن السيّد الأجلّ ... إلى آخره . (١٧٨)

نلحظ هنا أيضاً أنّ ابن إدريس يُلْحَقُ بإسناد الرواية بسند آخر .

وأيضاً عن والده ، ضمن بيان الإجازة ، عن الشهيد ، عن المزيديّ ، إلى أن يقول : ابن محمّد بن إدريس الحلّيّ ، وعن عميد الرؤساء ، عن السيّد الأجلّ ، وابن إدريس ، عن أبي عليّ ، عن أبيه شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسيّ ، وعن الشيخ نجيب الدين بن نما ، عن الشيخ محمّد بن جعفر ، عن السيّد الأجلّ . (١٧٩)

وأيضاً عن العلّامة بسند متّصل ، عن الشيخ سديد الدين شاذان بن جبرئيل ، وابن إدريس ، وابن شهرآشوب ، عن عربيّ بن مسافر ، عن السيّد الأجلّ . وكذلك يرويها ضمن حيلولات بثلاثة أسناد أُخرى ، عن عربيّ بن مسافر ، عن السيّد الأجلّ ، إلى أن يقول : إلى غير ذلك ممّا لا يُحصى .

يبيّن هنا رواية محمّد بن جعفر المشهديّ عن السيّد الأجلّ مضافاً إلى رواية ابن إدريس عن الشيخ الطوسيّ .

ويذكر أيضاً عن والده بخطّه رواية بعض الأفاضل الذين نقلوا «الصحيفة» ورووها بما نصّه :

قال المجلسيّ الأوّل : وأروي «الصحيفة» عن العلّامة الشهيد محمّد ابن مكّيّ ، عن السيّد شمس الدين محمّد بن أبي المعالي ، عن الشيخ كمال الدين عليّ بن حمّاد الواسطيّ ، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والشيخ نجم الدين جعفر بن نما ، عن والده الشيخ نجيب الدين محمّد بن نما والسيّد فخّار ، عن الشيخ محمّد بن جعفر المشهديّ ، عن الشيخ الأجلّ (الشيخ الطوسيّ) سماعه بقراءة الشريف الأجلّ نظام الشرف .

وقال محمّد بن جعفر : قرأته أيضاً على والدي جعفر بن عليّ المشهديّ ، وعلى الشيخ الفقيه هبة الله بن نما ، والشيخ المقري : جعفر بن أبي الفضل بن شقرة ،

والشريف أبي الفتح بن الجعفريّة ، والشريف أبي القاسم بن الزكيّ العلويّ ، والشيخ سالم بن قُبارَوَيْه جميعاً عن السيّد بهاء الشرف .

وبالإسناد عن المحقّق ، عن ابن نما محمّد ، عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن الخيّاط ، عن الشيخ عربيّ بن مسافر ، [١٨٠] عن السيّد بهاء الشرف .

وعن السيّد فخّار ، عن الشيخ عليّ بن يحيى الخيّاط ، عن حمزة بن شهريار ، عن السيّد بهاء الشرف . [١٨١]

نرى في خطّ المجلسيّ الأوّل أنّ أفراداً كثيرين ــ مضافاً إلى محمّد بن جعفر المشهديّ ــ قد رووا «الصحيفة» عن شيخ الطائفة ــ ولها سند آخر ــ عن السيّد الأجلّ خاصّة كجعفر بن عليّ المشهديّ ، وهبة الله بن نما ، وجعفر بن أبي الفضل بن شقرة ، وأبي الفتح بن الجَعْفَريّة ، وأبي القاسم بن الزكيّ العلويّ ، وسالم بن قُبارَوَيْه ، وعربيّ بن مسافر ، وحمزة بن مسافر .

ورأينا في صورة الإجازة السابقة أنّ محمّد بن جعفر نفسه قد رواها عن السيّد الأجلّ أيضاً . فهذا الأب جعفر بن عليّ المشهديّ ، وابنه محمّد ابن جعفر كلاهما روى «الصحيفة» عن السيّد الأجلّ .

يضاف إلى هذين العَلَمين ، أنّ الأعلام والأساطين الذين ورد ذكرهم هنا رواةً للصحيفة عن السيّد الأجلّ بلغوا سبعة ، فيصبح مجموعهم تسعة . وإذا أضفنا إليهم ابن إدريس ، وعميد الرؤساء ، وابن السكون ، صاروا اثني عشر من جهابذة علم الشيعة ، كلّهم رووا «الصحيفة» عن السيّد الأجلّ .

من الجدير ذكره أنّ الشهيد الأوّل محمّد بن مكّيّ سبق المجلسيّ الأوّل الذي بلغ سند رواياته عن «الصحيفة الكاملة» بواسطة هؤلاء الأعلام إلى السيّد الأجلّ ، وذلك على أساس خطّه الذي حصلنا عليه ، إذ ينقل عن الشيخ نجم الدين جعفر بن نما أنّه يروي «الصحيفة» عن أبيه ، عن ثمانية من الأساطين والعلماء الذين ذكرناهم هنا .

خطّ الشهيد هنا من جملة ثلاث إجازات كانت بخطّه ووصلت إلى صاحب «المعالم» رضوان الله عليه . وذكرها صاحب المعالم في إجازته الكبيرة التي أعطاها السيّد نجم الدين بن السيّد محمّد الحسينيّ ، ولها صيت ذائع بين المحدّثين والعلماء .

وقد نقل المرحوم المجلسيّ في «بحار الأنوار» هذه الإجازة المباركة الحاوية مطالب نفيسة وثمينة حقّاً برمّتها . وينقل صاحب «المعالم» الشيخ حسن بن الشهيد الثاني هذا الموضوع ، إلى أن يقول : وعندي بخطّ شيخنا الشهيد إجازة السيّد غياث الدين [١٨٢] لهذا الرجل . [١٨٣] وكذا إجازتا الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد ، والشيخ نجم الدين جعفر بن نما له . وهاتان الإجازتان فيهما استيفاء زائد لطرق الرواية وسننقل منهما المهمّ في مواضعه . [١٨٤]

إلى أن قال : وقد مرّ أنّ شيخنا الشهيد الأوّل يروي عن السيّد شمس الدين محمّد بن أبي المعالي الموسويّ ، عن الشيخ كمال الدين المذكور ، وعندنا بخطّ الشهيد رحمه الله إجازة الشيخ كمال الدين للسيّد المذكور مشيراً فيها إلى الإجازات الثلاث المذكورة . (١٨٥)

وقال : وَمِنْهَا (من بعض الأشياء عن الشيخ الطوسيّ حول بعض كتبه) : ما ذكره والدي رحمه الله من أنّ الشهيد يروي «الصحيفة الكاملة» عن السيّد السعيد تاج الدين بن معيّة ، عن والده أبي جعفر القاسم ، عن خاله تاج الدين أبي عبد الله جعفر بن محمّد بن مُعَيّة ، عن والده السيّد مجد الدين محمّد بن الحسن بن معيّة ، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن شهرآشوب المازندرانيّ ، عن السيّد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسنيّ ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ بسنده المذكور في أوّلها .

وعن السيّد تاج الدين محمّد بن مُعَيّة أيضاً ، عن السيّد كمال الدين الرضيّ محمّد بن محمّد بن السيّد رضي الدين الآوي الحسينيّ ، (١٨٦) عن الإمام الوزير نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسيّ ، عن والده ، عن السيّد أبي الرضا فضل الله الحسينيّ ، عن السيّد أبي الصمصام ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ . (١٨٧)

وقال : وَمِنْ ذَلِكَ (من بعض الأشياء حول بعض الكتب بخطّ الشهيد في الإجازات) ما ذكره الشيخ نجم الدين جعفر بن نما من أنّه يروي «الصحيفة الكاملة» بالإجازة عن والده ، عن ١ ــ الشيخ محمّد بن جعفر المشهديّ بسماعه بقراءة الشريف الأجلّ نظام الشرف (١٨٨) أبي الحسن بن العريضيّ العلويّ الحسينيّ في شوّال سنة ستّ وخمسين وخمسمائة . وقرأته أيضاً عن والده : ٢ ــ جعفر بن عليّ المشهديّ ، وعلى الشيخ الفقيه . ٣ ــ هبة الله بن نما ، والشيخ المقري . ٤ ــ جعفر بن أبي الفضل بن شعرة ، (١٨٩) و٥ ــ الشريف أبي القاسم بن الزكيّ العلويّ ، و٦ ــ الشريف أبي الفتح بن الجعفريّة ، و٧ ــ الشيخ سالم بن قُبارويه جميعاً عن السيّد بهاء الشرف بسنده المذكور هناك .

ويرويها أيضاً نجم الدين بالإجازة ، عن والده ، عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن الخيّاط ، عن الشيخ عربيّ بن مسافر ، عن السيّد بهاء الشرف بإسناده المعلوم . (١٩٠)

ولقد كنت أكثر من التردّد على سماحة العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف أيّام إقامتي في النجف الأشرف من أجل الدراسة ، بخاصّة في أيّام الخميس والجمعة ، لأنّه كان أُستاذي في علم الدراية والرجال والحديث . يضاف إلى ذلك أنّه كان يتلطّف عَلَيّ ويودّني كثيراً بسبب انحدارنا من مدينة واحدة ، ونتيجة لعلاقات قديمة كانت تربطه بجدّي وأبي وخال أبي . وبلغ حبّه إيّاي أنّي إذا أردتُ منه كتاباً أُطالعه فإنّه كان يُعيرنيه من مكتبته مهما كان نوعه . وكنت آتي بالكتاب وأكتب منه . ولا يخفى أنّ هذه الكتب مخطوطة ولعلّ بعضها فريد من نوعه مثل كتاب «ضِيَاءُ المَفَازَاتِ فِي

طُرُق المَشَايخِ وَالإجَازَاتِ» ، ونظائر ذلك كإجازة المرحوم آية الله السيّد حسن الصدر له .

كنت عنده يوماً ودار الحديث حول سند «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» فقال : لا شكّ أنّ القائل : «حدّثنا» هو أحد السبعة الذين ذكرهم المجلسيّ في مشيخة «بحار الأنوار» في إجازة صاحب «المعالم» عن خطّ الشهيد رحمه الله . وكلّ واحد منهم في غاية الوثوق والإتقان . ثمّ قال : ذكرتُ أسماءهم في الورقة الملحقة في ظهر صحيفتي ، وإذا رغبتَ فاكتب ، خذها إلى البيت واكتب ! وأعطاني صحيفته المخطوطة ، فكتبت صفحة منها طبق الأصل وألحقتها بصحيفتي المخطوطة الموروثة . وأنقلها فيما يأتي نصّاً تيمّناً وتبرّكاً وتذكاراً للنجف مدينة العاشقين ، وتخليداً للعالِم المتّقي المتحرّر من هوى النفس العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ :

بسمه تعالى شأنه العزيز

رأيت بخطّ العلّامة النحرير فريد عصرنا الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ مدّ ظلّه في ظهر «الصحيفة السجّاديّة» ما هذا لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لوليّه ، والصلاة على نبيّه ووصيّه ، وبعد فاعلم أنّه روى «الصحيفة» عن بهاء الشرف المصدّر بها اسمه الشريف جماعة منهم مَن ذكرهم الشيخ نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمّد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّيّ في إجازته المسطورة في إجازة صاحب «المعالم» ــ وتاريخ بعض إجازاته سنة ٦٣٧ ــ في إجازات «البحار» ، ص ١٠٨ : جعفر بن عليّ المشهديّ أبو البقاء هبة الله بن نما الشيخ المُقْري جعفر بن أبي الفضل بن شعرة الشريف أبو القاسم بن الزكيّ العلويّ الشريف أبو الفتح بن الجعفريّة الشيخ سالم بن قبارويه الشيخ عربيّ بن مسافر وكلّهم أجلّاء مشاهير ، وأبو الفتح المعروف بابن الجعفريّة هو السيّد الشريف ضياء الدين ابو الفتح محمّد بن محمّد العلويّ الحسينيّ الحائريّ ، وقد قرأ عليه السيّد عزّ الدين أبو الحرث محمّد بن الحسن بن عليّ العلويّ الحسينيّ البغداديّ كتاب «معدن الجواهر للكراجكيّ في الحلّة السيفيّة» في ج ١ سنة ٥٧٣ ، وذكرت هذا التأريخ ليُعلم عصر غيره ممّن شاركه في رواية «الصحيفة» عن بهاء الشرف تقريباً وإجازة صاحب «المعالم» مدرجةٌ في المجلّد الأخير من «البحار» وأُدرج هو في إجازته إجازات ثلاث وجدها بخطّ الشهيد الأوّل إحداها إجازة نجم الدين جعفر بن نما ، كما ذكره في أوائل صفحة المائة من هذا المجلّد ، ثمّ أدرجها متفرّقةً في إجازته منها الفقرة التي نقلناها ، فقد ذكرها في وسط ص ١٠٨ من مجلّد الإجازات .

حرّره مالك النسخة إرثاً الجاني محمّد محسن المدعو بآغا بزرك الطهرانيّ في ٥ رجب سنة ١٣٤٥ ــ انتهى .

حرّره مالك هذه الصحيفة إرثاً محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ في ١٩ رجب ، سنة ١٣٧٥ .

ولا يخفى فإنّ المرحوم الأُستاذ أعلى الله تعالى مقامه لم يذكر في هذه الورقة اسم محمّد بن جعفر المشهديّ الذي كان قد روى عن السيّد الأجلّ سماعاً ، واكتفى بذكر أبيه جعفر بن عليّ المشهديّ ، في حين يعدّ من رواة «الصحيفة» وبه يكون مجموع الرواة ثمانية .

ومن الطرائف أنّنا رأينا أخيراً في ص ١٦٤ من هذه المجموعة نقلاً عن صاحب «المعالم» أنّ الشهيد رحمه الله يروي «الصحيفة» بالسند المذكور في أوّلها عن السيّد تاج الدين بن مُعَيّة بسندين مختلفَين عن الشيخ الطوسيّ . ولمّا كانت رواية الشيخ عن السيّد الأجلّ متعذّرة لا محالة ، لأنّ السيّد الأجلّ ــ كما تفيد قرائن زمن الرواة عنه ــ كان في النصف الثاني من القرن السادس ، والشيخ الطوسيّ توفّي في النصف الثاني من القرن الخامس (ولد سنة ٣٨٥ ه ، وتوفّي سنة ٤٦٠ ه) لهذا لا يمكن أن يروي الشيخ عن السيّد بهاء الشرف إلّا أن يكون المراد من عبارة السند المذكور في أوّل (الصحيفة» الأشخاص المتأخّرين الذين كانوا قبل السيّد الأجّل . وهذا الاحتمال حسن .

إذ ــ مضافاً إلى أنّ عندنا طريقة الشيخ في رواية «الصحيفة» عن غير بهاء الشرف ــ إنّ هاتين الروايتَين عن تاج الدين بن مُعَيّة تُشعران بروايته عن هذا الطريق أيضاً . ولهذا يبلغ مجموع الرواة عن السيّد الأجلّ لحدّ الآن ، وعن الرواة السابقين عن طريقه ثلاثة عشر .

رابعاً : لا ينحصر سند «الصحيفة» بالسيّد الأجلّ بهاء الشرف . ذلك أنّها رويت عن طريقٍ غيره بأسناد لا تُحصى .

وقد أورد العلّامة محمّد تقي المجلسيّ الأوّل بخطّه شرحاً يدور حول رواية «الصحيفة الكاملة» عن مشايخه رضوان الله عليهم ، وذكره المجلسيّ الثاني في «بحار الأنوار» .

قال المجلسيّ ضمن الصورة ٤١ : رواية أُخرى للوالد العلّامة «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» عن مشايخه رضوان الله عليهم وهي بخطّ الوالد العلّامة .

ويروي المجلسيّ الأوّل هنا روايات عديدة بسنده المتّصل بالشهيد ، والعلّامة وابن طاووس ، وغيرهم . وبخاصّة يروي بسنده المتّصل تسع عشرة رواية حول «الصحيفة» يصل سندها إلى شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسيّ ، والشيخ يرويها بجميع هذه الأسانيد عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ ، عن أبي المفضّل الشيبانيّ ، عن الشريف الحسنيّ ، إلى آخر السند .

ولا ينحصر سند عربيّ بن مسافر أيضاً بالسيّد الأجلّ ، بل يبلغ بسنده مع السيّد الأجلّ إلى الشيخ إذ يقول : وَعَنْهُ (عن السيّد غياث الدين بن طاووس) ، عن عليّ بن يحيى

الخيّاط ، عن عربيّ بن مسافر ، عن السيّد بهاء الشرف ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن أبي عليّ ، عن أبيه (شيخ الطائفة) إلى غير ذلك ، ممّا لا يحصى . [١٩١]

قال العلّامة صدر الدين السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ الكبير في مقدّمة شرحه الفذّ الفريد على «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» بعد بيان سلسلة سنده مرتّباً ومعنعناً حتّى شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسيّ :

وله (الشيخ الطوسيّ) قدّس سرّه في روايتها طريقان ذكرهما في «الفهرست» : أحدهما : عن جماعة ، عن أبي محمّد هارون بن موسى بن التلعكبريّ ، عن المعروف بابن أخي طاهر ، وهو أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، [١٩٢] عن محمّد بن مطهّر ، عن أبيه ، عن عمير بن المتوكّل ، عن أبيه ، عن يحيى بن زيد .

وثانيهما : عن أبي عبد الله أحمد بن عبد الواحد البزّاز المعروف بابن عبدون ، عن أبي بكر الدوريّ ، عن ابن أخي طاهر ، عن محمّد بن مطهّر ، عن أبيه ، عن عمير بن المتوكّل ، عن أبيه ، عن يحيى بن زيد ، عن أبيه زيد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

ويوجد له في هوامش نسخ «الصحيفة» طريق ثالث ، وصورته : حدّثنا الشيخ الأجلّ السيّد الإمام السعيد أبو عليّ الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسيّ أدام الله تأييده في جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، قال : أخبرنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ قال : أخبرنا الحسين بن عبيد الله الغضائريّ قال : حدّثنا أبو الفضل (أبو المفضّل ــ ظ) محمّد بن عبيد الله بن المطّلب الشيبانيّ في شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . قال : حدّثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن إلى آخر السند المذكور في المتن . [١٩٣]

قال المحدّث الجزائريّ : وأمّا النسخة التي في الهامش المصدّرة بقوله : حدّثنا الشيخ الأجلّ ، فهي النسخة التي نقلها الفاضل السديديّ من نسخة ابن إدريس لبيان الاختلاف في السند بينها وبين نسخة ابن السكون . وقد وجدناها مكتوبة في الأصل في كثير من النسخ ، والمتكلّم بحدّثنا هو ابن إدريس . [١٩٤]

خامساً : بعد ثبوت تواتر سند «الصحيفة» وقطعيّته شأنها في ذلك شأن القرآن الكريم و«نهج البلاغة» ، فلا معنى للبحث في سندها والتشكيك فيه . افرضوا أنّ صدر «الصحيفة الكاملة» خلا من هذا السند ، أو أنّ كتب الرجال ضعّفت وفسّقت جميع رواتها ، بَيدَ أنّ ثبوت نسبتها إلى الإمام الهُمام المولى عليّ بن الحسين سيّد الساجدين وإمام العارفين كان محقّقاً ، لأنّها متواترة . ولا معنى للتواتر غير هذا .

وأعرب كافّة الذين كتبوا شروحاً عليها أنّ البحث في سندها بعد ثبوت تواترها لايمكن أن يكون إلّا للتيمّن والتبرّك ، ولهذا لا نجد فائدة في البحث في سندها مع ضعف بعض رواتها أو الجهل بهم .

قال السيّد علي خان الكبير : تَنْبِيهٌ : السيّد نجم الدين بهاء الشرف المذكور ليس له ذكر في كتب الرجال . ولمّا كانت نسبة «الصحيفة» الشريفة إلى صاحبها عليه السلام ثابتة بالاستفاضة ــ التي كادت تبلغ حدّ التواتر ــ لم يُقدَح في صحّتها الجهل بأحوال بعض رجال أسانيدها . وذكرهم لهؤلاء المشايخ إنّما هو لأجل التيمّن بالاتّصال في الإسناد بالمعصوم عليه السلام . (١٩٥)

وقال السيّد محمّد باقر الداماد : «الصحيفة الكريمة السجّاديّة» المسمّاة «إنجيل أهل البيت» ، و«زبور آل الرسول عليهم السلام» متواترة ، كما سائر الكتب في نسبتها إلى مصنّفيها ، وذكر الأسناد لبيان طريق حمل الرواية ، وإجازة تحمل النقل ، وذلك سنن المشائخ في الإجازات . (١٩٦)

وقال السيّد نعمة الله الجزائريّ : قَوْلُهُ : أبو الحسن محمّد بن الحسن ، حاله مجهول . وفي الرجال كحال الخازن ، والخطّاب ، والبلخيّ ، وهو غير ضائر لتواتر ما بين الفريقين حتّى أنّ الغزّاليّ وغيره سمّوها «إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم» .

وإنّما رتّبها أصحابنا على طريق التعنعن عنهم سلوكاً لمحجّة التيمّن والتبرّك باتّصال روايتها بالمعصوم عليه السلام مع أنّهم من أهل الإجازة ، لا من أهل الرواية .

وأيضاً إعجاز أُسلوبها وغرابة أطوارها شاهدان عدلان على أنّ مثلها لا يصدر إلّا عن مثله . (١٩٧)

وقال آية الله آغا ميرزا محمّد عليّ المدرّسيّ الجهاردهيّ : اعلم أنّ سلسلة السند المذكور في الكتاب عدد لا نعلمهم ، مثل محمّد بن الحسن والخازن والخطّاب والبلخيّ . وهذا لايقدح في المقام بعد شهرة الكتاب عن الإمام عليه السلام ، حتّى قال الغزّاليّ وغيره : يقال لهذا الكتاب «إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمّد» ، لكنّ الأصحاب الذين يذكرون السند معنعناً إنّما يفعلون ذلك للتيمّن والتبرّك ، إذ يتّصل رواته بالمعصوم . (١٩٨)

وتحدّث الملّا محمّد باقر المجلسيّ في «بحار الأنوار» حول «الصحيفة» مفصّلاً نقلاً عن خطّ والده الملّا محمّد تقي ، إلى أن قال (المجلسيّ الأوّل) : وبالأسانيد المتواترة عن هارون بن موسى التلعكبريّ ، عن أحمد بن العبّاس الصيرفيّ المعروف بابن الطيالسيّ ، يُكنّى أبا يعقوب ، روى «الصحيفة الكاملة» سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بإسناده إلى يحيى بن زيد .

والذي رأيتُ من أسانيد «الصحيفة» بغير هذه الأسانيد فهي أكثر من أن تُحصى ، ولا شكّ لنا في أنّها من سيّد الساجدين .[١٩٩]

وقال الأُستاذ السيّد محمّد مِشكاة في مقدّمته على «الصحيفة» : فكان هذا [كتاب «الصحيفة السجّاديّة»] ثاني كتابَين [الكتاب الآخر هو «كتاب سُليم»] لم يظهر قبلهما في عالم الإسلام سوى القرآن المجيد . مضى على هذا الكتاب ثلاثة عشر قرناً ، وهو أنيسٌ لأكابر الزهّاد والصالحين ، ومرجع مشار إليه عند مشاهير العلماء والمصنّفين .

أومأ إليه فقيه الطائفة وشيخها الأقدم محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (٣٣٨ ــ ٤١٣) في «الإرشاد» عند آخر ترجمة مولانا عليّ بن الحسين عليه السلام . وصرّح به معاصره الثقة الجليل الشهير عليّ بن محمّد الخزّاز القمّيّ تلميذ الصدوق ابن بابويه (م ٣٨١) ، وأحمد بن عيّاش (م ٤٠١) ، وأبو المفضّل الشيبانيّ ، في آخر كتاب «كفاية الأثر» حيث روى عن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، قال :

حدّثنا عامر بن عيسى بن عامر السيرافيّ بمكّة في ذي الحجّة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال : حدّثني أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى [بن] الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال : حدّثنا محمّد بن مطهّر قال : حدّثني أبي قال : حدّثنا عمير بن المتوكّل بن هارون البجليّ ، عن أبيه متوكّل بن هارون .

قال : لقيتُ يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان فما رأيتُ رجلاً في عقله وفضله مثله (وساق الحديث إلى أن قال) ثمّ أخرج لي صحيفة كاملة فيها أدعية عليّ بن الحسين عليه السلام .

ثمّ يُرى ذِكره في أقدم كتاب يختصّ بذكر مصنّفات الشيعة ورجالهم ، أعني : «فهرست شيخ الطائفة» [المولود ٣٨٥ ، والمتوفّى ٤٦٠] ، و«رجال النجاشيّ» (المولود ٣٧٢ ، والمتوفّى ٤٥٠) عند ترجمة متوكّل بن عمير ، وفي «رجال الشيخ» عند عليّ بن مالك ، وغيرهما .

وأمّا سائر كتب الحديث والرجال فقد تكرّر اسم «الصحيفة» ورجالها في أكثرها ، لا تسع هذه المقدّمة بوجازتها إحصاءها . وناهيك في ذلك أنّ المولى محمّد تقي المجلسيّ أشار في بعض رواياته أنّ له إليها ألف ألف سند .

وإذ كانت روايات الكتاب متضافرة ، وعليه عبقة من مِشكاة النبوّة ، ونفحة من رياض الولاية ، رأت المشايخ صدوره من الإمام المعصوم متيقّناً معلوماً ، فلمّا تناولته أيدي الناس ولم يقابله أحدٌ بردّ وإنكار ، طار صيته وامتدّ ضياؤه ، فأكبّوا على استنساخه ومقابلته ، وأخذ الإجازة على روايته .

فتداول الكتاب بينهم ــ وصار مسير الصبا ــ حتّى اشتهر ب «زبور آل محمّد» ، و«إنجيل أهل البيت عليهم السلام» ولمّا ينتصف القرن السادس للهجرة . فأقبل الناس على شرحه ، ثمّ على نقله إلى الفارسيّة .

ويواصل المرحوم مِشكاة كلامه إلى أن يقول : و«الصحيفة» متواترة من طرق الزيديّة أيضاً ... وشاهدت أنا أيضاً بعض أجلّاء الزيديّة حينما اجتمعتُ بهم حيث كانوا يقابلون «الصحيفة» بكمال الخضوع والتعظيم ويحترمون شروحها خصوصاً شرح السيّد علي خان الكبير .

إنّ أدعية الصحيفة بحسن بلاغتها وكمال فصاحتها احتوت على لُباب العلوم الإلهيّة والمعارف اليقينيّة التي ينقاد لديها العقول ، ويخضع في مقابلها الفحول . وذلك ظاهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فعباراته دالّة على أنّه فوق كلام المخلوق . فهي أرفع شأناً وأعلى مقاماً من أن تصل إليها يد أوهام الواضعين .

قال بعض العرفاء : إنّها تجري مجرى التنزيلات السماويّة وتسير مسير الصحف اللوحيّة والعرشيّة .

ونقل المرحوم مِشكاة هنا قصّة البصريّ الذي كان قد زعم أنّه يستطيع أن يأتي بأدعية كأدعية «الصحيفة» ، وأخذ القلم وأطرق رأسه فما رفعه حتّى مات . وقد سبق أن ذكرناها في هذا الجزء ، عن «رياض السالكين» و«مناقب ابن شهرآشوب» . ثمّ قال : إنّه اعتمد عليه ونقل عنه أئمّة المصنّفين في مثل هذا الشأن بحيث لا يشذّ من كتب الأدعية المعتبرة واحد .

ثمّ ذكر شرحاً مفصّلاً لكتب الأدعية الزاخرة بأدعية الصحيفة ككتاب شيخ الطائفة ، والقطب الراونديّ ، والسيّد عليّ بن الحسين بن باقي ، والسيّد عليّ بن طاووس ، ورضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن طاووس ، والشهيد محمّد بن مكّي ، وإبراهيم الكفعميّ ، ثمّ قال :

إنّ هذه «الصحيفة» المباركة إمامٌ للكتب الإسلاميّة ، تالية للقرآن الكريم . وإنّ كلّاً من العقل والنقل مستقلّ بشهادة صدورها عن قائلها الإمام الرابع عليه السلام ... ليس يستطيع أن يقول المعادي فيها إلّا الذي يقول الموالي .

فكما أن منشئ هذا الكتاب الشريف يحتاج الجميع إلى شفاعته والتوسّل بذيل عنايته ، والاستضاءة من نور معرفته ، والاهتداء بهداه ، وهو عليه السلام مستغنٍ عن غير الله تعالى من المخلوقين ، كذلك كتابه هذا يستغني عمّا عملته أيدي الناس استغناء منشئه عليه السلام عنهم ، ويد الكلّ باسطة إليه .

إذ قد رأيتُ أنّ جميع كتب الأدعية عياله يأخذ كلّ نصيبه منه حسب ما وضع له من الأغراض ، لكن هو حقّ محض لايشوبه باطل ، مستغنٍ عن الجميع ، ليس شيء من أدعيته مأخوذاً من كتاب آخر سابق عليه .

إذ لا يسبقه سابق ، بل لا يلحقه لاحق . فكلّه ممّا أجرى الله تعالى على لسان قائله حينما كان يخلو به تعالى وبذكره . (٢٠٠)

المزيّة الثامنة التي عدّها المؤلّف المحترم مزيّة أُخرى في ختام مقدّمته وأنهى بها موضوعه وأمضاه ، هي : وجود فروق جزئيّة في الألفاظ والعبارات بين متن رواية هذه «الصحيفة» ومتن رواية «الصحيفة» المعروفة مع الاشتراك في أصل النقل ، وذكِرها ليس مهمّاً .

ومتن رواية «الصحيفة» المعروفة مع الاشتراك في أصل النقل ، وذكِرها ليس مهمّاً .

والمهمّ الجدير بالذكر هو تتمّة رواية «الصحيفة» المعروفة . فقد جاء فيها أنّه بعد خروج أولاد عبد الله بن الحسن من عند الإمام الصادق عليه السلام وهم يقولون : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللَهِ العَلِيّ العَظِيمِ ، تحدّث الإمام عليه السلام مع المتوكّل راوي الحديث ، ونقل في كلامه رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ووردت في بعضه فقرة يبدو أنّها أصبحت ذريعة للمعارضين تأسيسَ الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران (مع غضّ النظر عن توجيهها الصحيح) .

والفقرة هي : قال عليه السلام :

(ما خَرَجَ وَلَا يَخْرُجُ مِنّا أَهْلَ البَيْتِ إِلَى قِيَامِ قَائِمِنَا أَحَدٌ لِيَدْفَعَ ظُلْمَاً أَوْ يَنْعَشَ حَقّاً إِلّا اصْطَلَمَتْهُ البَلِيّةُ وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا) وهذه الفقرة من الرواية غير موجودة في «الصحيفة» القديمة أساساً .

ومن الطريف أنّ في آخر رواية «الصحيفة» المعروفة سنداً آخر يبدأ من أبي المفضّل ، وهو يحتوي على أبواب «الصحيفة» .

وهذا السند كسابقه أيضاً ، إذ إنّ القائل : «حدّثنا» غير معيّن ، ومجمل السند السابق موجود في هذا السند نصّاً ، إلّا أنّ مجرى الأُمور في هذا السند كالصحيفة القديمة يبلغ حتّى أوّل رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ولم تُذكر تتمّة رواية الصحيفة المعروفة في هذا السند .

وَاللَهُ العَالِمُ بِحَقَائِق الأُمور .

العَبْدُ المُفْتَاقُ إِلَى رَحْمَةَ رَبّهِ

السّيّد أَحْمَد الفَهْرِيّ [٢٠١]

ونجيب عن هذه المزيّة بعدّة وجوه ، ذلك أنّها هي نفسها مقدوح فيها من عدّة وجوه أيضاً . ولهذا ينبغي أن نتحدّث حديثاً مستقلّاً عن كلّ جهة من هذه الجهات بالتفصيل ثمّ نجيب عنها . وقبل أن نبدأ ، نذكر فيما يأتي مقدّمة «الصحيفة الكاملة» التي يدور البحث حولها ، ثمّ ندخل في البحث .

حدّثنا [٢٠٢] السيّد الأجلّ نجم الدين بهاء الشرف ابوالحسن : محمد بن الحسن بن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عمر بن يحيى العلويّ الحسينيّ رحمه الله . [٢٠٣] [٢٠٤] [٢٠٥] [٢٠٦]

قال : أخبرنا الشيخ السعيد أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن شهريار [٢٠٧] الخازن لخزانة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شهر ربيع الأوّل من سنة ستّ عشرة وخمسمائة قراءة عليه وأنا أسمع .

قال : [٢٠٨] سمعتها على الشيخ الصدوق أبي منصور محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العكبريّ المعدّل رحمه الله [٢٠٩] عن أبي المفضّل محمّد ابن عبد الله بن المطّلب الشيبانيّ .

قال : حدّثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال : حدّثنا عبد الله بن عمر بن خطّاب الزيّات سنة خمس وستّين ومائتين .

قال : حدّثني خالي عليّ بن النعمان الأعلم .

قال : حدّثني عمير بن متوكّل الثقفيّ البلخيّ عن أبيه متوكّل بن هارون .

قال : لقيتُ يحيى بن زيد بن عليّ عليه السلام بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان فسلّمت عليه . فقال لي : من أين أقبلتَ ؟! قلتُ : من الحجّ . فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة . وأحفى السؤال عن جعفر بن محمّد عليه السلام فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن عليّ عليه السلام .

فقال لي : قد كان عمّي محمّد بن عليّ عليه السلام [٢١٠] أشار على أبي بترك الخروج وعرّفه إنّ هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره ! فهل لقيت ابن عمّي جعفر بن محمّد عليه السلام ؟! [٢١١]

قلتُ : نعم ! قال : فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري ؟! قلتُ : نعم !

قال : بِمَ ذكرني ؟ خبّرني !

قلتُ : جُعلتُ فداك ! ما أحبّ أن أستقبلك بما سمعته منه !

فقال : أبالموت تخوّفني ؟! هات ما سمعته !

فقلتُ : سمعته يقول : إنّك تُقتَل وتُصلَب كما قُتِلَ أبوك وصُلب !

فتغيّر وجهه وقال : يَمْحُوا اللَهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمّ الْكِتَبِ . [٢١٢] يا متوكّل إنّ الله عزّ وجلّ أيّد هذا الأمر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجُمعا لنا ، وخصّ بنوعمّنا بالعلم وحده .

فقلتُ : جُعلتُ فداك ! إنّي رأيتُ الناس إلى ابن عمّك جعفر عليه السلام أَمْيَلَ منهم إليك وإلى أبيك .

فقال : إنّ عمّي محمّد بن عليّ وابنه جعفراً عليهما السلام دَعَوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت !

فقلتُ : يا ابن رسول الله ! هم أعلم أم أنتم ؟!

فأطرق إلى الأرض مليّاً ثمّ رفع رأسه وقال : كلّنا لنا علم غير أنّهم يعلمون كلّما نعلم ولا نعلم كلّ ما يعلمون .

ثمّ قال لي : أكتبتَ من ابن عمّي شيئاً ؟!

قلتُ : نعم ! قال : أَرِنيهِ !

فأخرجتُ إليه وجوهاً من العلم ، وأخرجتُ له دعاءً أملاهُ عَلَيّ أبو عبد الله عليه السلام وحدّثني أنّ أباه محمّد بن عليّ عليهما السلام أملاه عليه ، وأخبره أنّه من دعاء أبيه عليّ بن الحسين عليهما السلام من دعاء «الصحيفة الكاملة» . فنظر فيه يحيى حتّى أتى على آخره وقال لي : أتأذن في نسخه ؟!

فقلت : يا ابن رسول الله ! أتستأذن فيما هو عنكم ؟!

فقال : أما لأخرجنّ إليك صحيفة من الدعاء الكامل ممّا حفظه أبي عن أبيه ، وإنّ أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها .

قال عمير : قال أبي (متوكّل) : فقمتُ إليه فقبّلت رأسه ، وقلتُ له :

والله يا ابن رسول الله إنّي لأدين الله بحبّكم وطاعتكم ! وإنّي لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم .

فرمى صحيفتي التي دفعتها إليه إلى غلامٍ كان معه ، وقال : اكتب هذا الدعاء بخطّ بيّنٍ حَسَنٍ ! واعرضه عَلَيّ ! لعلّي أحفظه فإنّي كنتُ أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعنيه .

قال المتوكّل : فندمتُ على ما فعلتُ ولم أدرِ ما أصنع . ولم يكن أبو عبد الله عليه السلام تقدّم إليّ ألّا أدفعه إلى أحدٍ .

ثمّ دعا (يحيى) بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفّلة مختومة ، فنظر إلى الخاتم وقبّله وبكى ، ثمّ فضّه وفتح القفل ، ثمّ نشر الصحيفة ووضعها على عينه وأمرّها على وجهه وقال : والله يا متوكّل ! لولا ما ذكرتَ من قول ابن عمّي أنّني أُقْتَلُ وأُصْلَبُ لما دفعتها إليك ولكنتُ بها ضنيناً ولكنّي أعلم أنّ قوله حقّ أخذه عن آبائه ، وأنّه سيصحّ . فخفتُ أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أُميّة فيكتموه ويدّخروه في خزائنهم لأنفسهم (وينسبون إنشاءها إلى أنفسهم) . فاقبضها واكفنيها وتربّص بها ! فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاضٍ فهي أمانةٌ لي عندك حتّى توصلها إلى ابنَي عمّي محمّد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليهما السلام فإنّهما القائمان في هذا الأمر بعدي .

قال المتوكّل : فقبضتُ الصحيفة فلمّا قُتِل يحيى بن زيد ، صرتُ إلى المدينة فلقيتُ أبا عبد الله عليه السلام فحدّثته الحديث عن يحيى فبكى واشتدّ وَجْدُهُ به ، وقال : رحم الله ابن عمّي وألحقه بآبائه وأجداده !

والله يا متوكّل ! ما منعني من دفع الدعاء إليه إلّا الذي خافه على صحيفة أبيه ! وأين الصحيفة ؟! فقلتُ : ها هي . ففتحها وقال : هذا والله خطّ عمّي زيد ودعاء جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام . ثمّ قال لابنه : قم يا إسماعيل فائتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه ! فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنّها الصحيفة التي دفعها إليّ يحيى بن زيد فقبّلها أبو عبد الله ووضعها على عينه وقال : هذا خطّ أبي وإملاء جدّي عليهما السلام

بمشهدٍ منّي . فقلتُ : يا بن رسول الله ! إن رأيتَ أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى فائذن لي في ذلك . وقال : قد رأيتُك لذلك أهلاً ! فنظرتُ وإذا هما أمرٌ واحد . ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأُخرى . ثمّ استأذنتُ أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصحيفة إلى ابنَي عبد الله بن الحسن . فقال : إِنّ اللَهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدّوا الْأَمَنَتِ إِلَى أَهْلِهَا (٢١٣) .

نعم ! فادفعها إليهما . فلمّا نهضتُ للقائهما ، قال لي : مكانك . ثمّ وجّه إلى محمّد وإبراهيم فجاءا ، فقال : هذا ميراث ابن عمّكما يحيى من أبيه قد خصّكما به دون إخوته . ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً !

فقالا : رحمك الله ! قُل فقولك المقبول !

فقال : لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة !

قالا : ولِمَ ذاك ؟

قال : إنّ ابن عمّكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما !

قالا : إنّما خاف عليها حين علم أنّه يُقتَل .

فقال أبوعبد الله عليه السلام : وأنتما فلا تأمنا ! فوالله إنّي لأعلم أنّكما ستخرجان كما خرج وتُقتلان كما قُتِل ! فقاما وهما يقولان : لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إِلّا بِاللَهِ العَلِيّ العَظِيمِ .

فلمّا خرجا ، قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا متوكّل ! كيف قال لك يحيى إنّ عمّي محمّد بن عليّ وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت ؟!

قلتُ : نعم ، أصلحكَ اللهُ ! قد قال لي ابن عمّك يحيى ذلك ! فقال : يَرْحَمُ اللَهُ يَحْيَى ! إنّ أبي حدّثني عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره ، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى . فاستوى رسول الله جالساً والحزن يُعرَف في وجهه ، فأتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية : وَمَا جَعَلْنَا الرّءْيَا الّتِى أَرَيْنَكَ إِلّا فِتْنَةً لِّلنّاسِ وَالشّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْءَانِ وَنُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلّا طُغْيَنًا كَبِيرًا . (٢١٤) يعني بني أُميّة . قال : يا جبرائيل ! أَعلَى عهدي يكونون وفي زمني ؟!

قال : لا ! ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً ! ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً . ثمّ لابدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها . ثمّ ملك الفراعنة .

قال : وأنزل الله تعالى في ذلك : إِنّآ أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَبكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . (٢١٥) يملكها بنو أُميّة ليس فيها ليلة القدر .

قال : فأطلع الله نبيّه عليه السلام أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة وملكها طول هذه المدّة . فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وهم في ذلك

يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا . أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم .

قال : وأنزل الله تعالى فيهم :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَهِ كُفْرًا وَأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ . (٢١٦) ونعمة الله محمّد وأهل بيته ، حبّهم إيمان يُدخِلُ الجنّة ، وبغضهم كفر ونفاق يُدخِلُ النارَ . فأسرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك إلى عليّ وأهل بيته .

قال : ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو يُنعش حقّاً إلّا اصطلمته البليّة ، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا .

قال المتوكّل بن هارون : ثمّ أملى عليّ أبو عبد الله عليه السلام الأدعية وهي خمسة وسبعون باباً سقط عنّي منها أحد عشر باباً ، وحفظت منها نيّفاً وستّين باباً .

(قال أبو منصور محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العُكبَريّ المعدّل :) وحدّثنا أبو المفضّل قال : وحدّثني محمّد بن الحسن بن روزبه أبو بكر المدايني الكاتب نزيل الرحبة (الكوفة أو بغداد) في داره قال : حدّثني محمّد بن أحمد بن مسلم المطهّريّ ، قال : حدّثني أبي عن عمير بن متوكّل البلخيّ ، عن أبيه المتوكّل بن هارون ، قال : لقيت يحيى بن زيد بن عليّ عليهما السلام ــ فذكر الحديث بتمامه إلى رؤيا النبيّ صلّى الله عليه وآله التي ذكرها جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات الله عليهم ــ .

وفي رواية المطهّريّ ذكر الأبواب :

(سَرَدَ أبو المفضّل هنا أربعة وخمسين باباً من أدعية «الصحيفة الكاملة» مع عناوينها ، ثمّ قال :) وباقي الأبواب بلفظ أبي عبد الله الحسنيّ رحمه الله .

(وقال أبو المفضّل :) حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الحسنيّ قال : حدّثنا عبد الله بن عمر بن خطّاب الزيّات قال : حدّثني خالي عليّ بن النعمان الأعلم قال : حدّثني عمير بن متوكّل الثقفيّ البلخيّ عن أبيه متوكّل ابن هارون قال : أملى عَلَيّ سيّدي الصادق أبو عبد الله جعفر بن محمّد قال : أملى جدّي عليّ بن الحسين على أبي محمّد بن عليّ عليهم أجمعين السلام ــ هذه الأدعية بمشهدٍ منّي . (٢١٧)

هذه هي مقدّمة «الصحيفة الكاملة» . وآن الأوان الآن للالتفات إلى عبارات المؤلّف المحترم لشرح الصحيفة المكتشفة ، والتحدّث عن مواطن الإشكال فيها .

أوّلاً ، قال : ومن الطريف أنّه يذكر في آخر رواية الصحيفة المعروفة سنداً آخر أيضاً يبدأ من أبي المفضّل ويحتوي على أبواب «الصحيفة» . والقائل : «حدّثنا» في هذا السند غير معيّن كالسند السابق . ومجمل السند الماضي موجود في هذا السند نصّاً .

والجواب هو : أنّه يشيع بين رواة الحديث أنّهم إذا رووا في وسط سلسلة السند المشغولين بسرده بقيّة السند بطريق آخر ، فإنّهم يقطعونه عند تلك النقطة ، ويذكرون الرواية بطريق آخر من خلال قولهم : حدّثنا وأخبرنا وأمثالهما ، ثمّ يرجعون مرّة ثانية ، ويوردون بقيّة السند السابق من النقطة التي قُطع فيها ويختمون السند .

وهذا ما يسمّى بالحَيلُولَة ، وغالباً ما يحدّدون نقطة السند الجديد بعلامة «ح» المخفّفة من (حيلولة) .

واصطلاح الحيلولة من موضوعات السابقين وليس من اصطلاحات عصر العُكْبَريّ وأمثاله . يضاف إلى ذلك أنّ ذكر الحيلولة ليس ضروريّاً ، ونلحظ في كثير من الروايات أنّهم يذكرون السند الذي يتغيّر بلا إشارةٍ إلى عنوان الحيلولة .

ونحن نعلم في رواية الحسنيّ ل «الصحيفة الكاملة» أنّ الراوي عن أبي المفضّل الشيبانيّ هو الشيخ الصدوق أبو منصور محمّد بن محمّد بن أحمد ابن عبد العزيز العكبريّ المعدّل .

ينقل السيّد الأجلّ هذه الرواية عبر هذا الطريق إلى أن يصل إلى موضع بيان الرواية بسند آخر يُعرَف بسند المطهّريّ (في مقابل الحسنيّ) .

وهناك ينقل رواية المطهّريّ بنفس السند ، غاية الأمر أنّه لم يذكر الحيلولة . ومن البيّن أنّ القائل : وَحَدّثَنَا أَبُو المُفَضّل في آخر رواية المطهّريّ في آخر «الصحيفة» هو راويها في أوّل «الصحيفة» في رواية الحسنيّ . وهو أبو منصور محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العكبريّ المعدّل الذي رواها هنا وهناك عن أبي المفضّل .

ثانياً ، قال : الموضوع في هذا السند كالصحيفة القديمة حتّى أوّل رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم تُذكَر تتمّة رواية الصحيفة المعروفة في هذا السند .

الجواب : جاء في عبارة «الصحيفة الكاملة» ما نصّه : فَذَكَرَ الحَدِيثَ بِتَمامِهِ إلى رُؤيَا النّبِيّ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

قال المحقّق العليم أُستاذ العربيّة وآدابها السيّد علي خان المدنيّ الكبير رضوان الله عليه في شرح قوله : إلى رُؤيا النّبِيّ صَلّى الله عليه وآله : ينبغي أن يكون ما بعد إلَى داخلاً في حكم ما قبلها فتكون الرؤيا داخلة في الحديث المذكور بقرينة قوله : فَذَكَرَ الحَدِيثَ بِتَمَامِهِ .

وقد قالوا : إذا دلّت قرينة على دخول ما بعد إلى نحو : قَرأْتُ القُرآنَ مِن أَوّلِهِ إلى آخِرِهِ ، أو على خروجه نحو : ثُمّ أَتِمّوا الصّيَامَ إِلَى الّيْلِ ، [٢١٨] عمل بها وإلّا فلا يدخل ، لأنّ الأكثر مع عدم القرينة عدم الدخول ، فيجب الحمل عليه عند التردّد .

وقيل : يدخل بدون قرينة إن كان من الجنس .

وقيل : مطلقاً . والأوّل هو الصحيح لما ذكرنا . [٢١٩]

وجعل المرحوم السيّد علي خان في هذا الحديث المبارك قرينة : ذَكَرَ الحَدِيثَ بِتَمَامِهِ لدخول الرؤيا ، كما تقول : سمعتُ منبر فلان كلّه حتّى آخر قراءته للعزاء . أو تقول : قرأتُ «نهج البلاغة» حتّى آخره . وحينئذٍ يقال قطعاً إنّه قرأ باب حكمه ومواعظه أيضاً ولم يكتف بباب خطبه ورسائله .

إذن ، يتساوى سندا الحسنيّ والمطهّريّ تماماً ولا تفاوت في دخول الرؤيا وعدم دخولها بين السندَين الموجودَين .

يستبين من هنا أن لا محمل للفظ «ومن الطريف» في آخر رواية الصحيفة المعروفة إلّا طغيان القلم .

ثالثاً : ــ ظنّ أنّ خلوّ الصحيفة المكتشفة ــ التي سمّاها «الصحيفة العتيقة» ، ونحن سمّيناها المكتشفة ، لا العتيقة ، إذ كما عرفنا أنّ «الصحيفة الكاملة» المعروفة أسبق منها وأقدم ، وسندها أمتن وأرسخ ، وهو مصحوب بالتواتر ، فلا يجوز لنا أن نُضفي عنوان القِدَم على هذه الصحيفة المكتشفة الجديدة في مقابل الصحيفة المعروفة ــ من ذكر تتمتّها الزاخرة بالحديث عن رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله وتأويل نزو القردة على المنبر ببني أُميّة (إذ ظهر أوّل دوران قطب الضلالة في رحى الإسلام بعد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام متمثّلاً بمعاوية ويزيد ، ثمّ ملك الفراعنة ، أي : حكومة بني مروان) وبعد ذلك تفسير الإمام الصادق عليه السلام ليلة القدر وآيات سورة القدر بولاية أهل البيت ، كلّ ذلك زيادة ملحقة بلا معنى .

إذ عدّ خلوّها من ذلك كلّه مزيّةً ، وقال : فروق جزئيّة في الألفاظ والعبارات ، وذكرها غير مهمّ . والمهمّ الجدير بالذكر هو تتمّة رواية الصحيفة المعروفة التي تشتمل على هذه القضيّة ، ولا تشتمل عليه الصحيفة المكتشفة .

الجواب : ذكرنا مفصّلاً في انتقادنا لبحثه في باب الصلاة على النبيّ وآله أنّنا لا يمكن أن نحذف موضوعاً من كتاب ، أو ننكر استناده إلى مصنّفه من وحي الذوق بلا دليلٍ ولا دعامة علميّة ولا مسوّغ من علم الدراية ، فعندما ترد الصلاة على محمّد وآل محمّد في الصحيفة المعروفة بسند متواتر ، فإنّ عدم ورودها في الصحيفة المكتشفة التي لا شأن لسندها دليل على النقصان والإسقاط والحذف في تلك الصحيفة ، لا دليلٍ على الإلحاق والزيادة في الصحيفة المعروفة .

أجمع العلماء على أنّ أصالة عدم الزيادة مُقَدّمة على أصالة عدم النقيصة عند دوران الأمر بينهما والشكّ في طروّ الزيادة في جانب ، والنقيصة في جانب آخر .

نقول هنا أيضاً : وردت قصّة رؤيا رسول الله وتعبيرها ، عن الإمام الصادق عليه السلام للمتوكّل بن هارون في آخر مقدّمة الصحيفة المعروفة بمقدار ثلث حجم المقدّمة جميعها .

بأيّ استناد عقليّ ، أو دليل شرعيّ ، أو علم وكشف خارجيّ تستطيع أن تستدلّ على الإلحاق والزيادة فيها ؟! بل تدلّ الأدلّة القويّة كلّها على أنّ ذلك من أصل الكتاب ، ولا يمكن أبداً أن يُقطَعَ من كتابٍ ما ــ أيّ كتاب كان ــ جزء منه على سبيل الذوق ، ويُحال دون انتساب ذلك الجزء واستناده إلى مدوّن الكتاب .

إنّ كلّ مَن نظر في آخر شرح سند الصحيفة الجديدة المكتشفة ، أدرك جيّداً أنّه أبتر . جاءت العبارات الآتية في خاتمتها : فَأَخَذَا الصّحِيفَةَ وَقَامَا وَهُمَا يَقُولَانِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللَهِ . وَدَعَا المُتَوَكّلُ بِالدّفْتَرِ .

وَالصّحِيفَةُ هِيَ بِتَمَامِهَا بِحَمْدِ اللَهِ وَمَنّهِ وَفَضْلِهِ .

ألا تُشاهد هنا آثار الحذف وقطع البقيّة ؟! على عكس الصحيفة المعروفة التي جاء فيها : فَقَامَا وَهُمَا يَقُولَانِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللَهِ العَلِيّ العَظِيمِ . فَلَمّا خَرَجَا ، قَالَ لِي أَبُو عَبْد اللَهِ عَلَيْهِ السّلَامُ : يَا مُتَوَكّلُ ! كَيْفَ قَالَ لَكَ يَحْيَى : إنّ عَمّي مُحَمّدَ بْنَ عَلِيّ وَابْنَهُ جَعْفَراً دَعَوا النّاسَ إلَى الحَيَاةِ وَدَعَونَاهُمْ إلَى المَوْتِ . إلى آخر كلامه عليه السلام : وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا .

رابعاً : يبدو أنّ كلام الإمام الصادق عليه السلام : مَا خَرَجَ وَلَا يَخْرُجُ مِنّا أَهْلَ البَيْتِ إلَى قِيَامِ قَائِمِنَا أَحَدٌ لِيَدْفَعَ ظُلْماً أَوْ يَنْعَشَ حَقّاً إلّا اصْطَلَمَتْهُ البَلِيّةُ وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا أصبح ذريعةً بِيَدِ المعارِضين لتأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة (مع غضّ النظر عن توجيهها الصحيح) ولا وجود لهذه الفقرة من الرواية في الصحيفة القديمة أساساً . ومن الطريف أنّ ... .

الجواب : لا يقتصر كلام الإمام عليه السلام على هذا الموضع .

روى الكلينيّ في «الكافي» عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن الحسين بن مختار ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : كُلّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ القَائِمِ فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَهِ عَزّ وَجَلّ . (٢٢٠)

وروى العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» في سيرة الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، عن «مناقب ابن شهرآشوب» : يُرْوَى أَنّ زَيْدَ بْنَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ لَمّا عَزَمَ عَلَى البَيْعَةِ قَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السّلَامُ :

يَا زَيْدُ ! إنّ مَتْلَ القَائِمِ مِنْ أَهْلِ هَذَا البَيْتِ قَبْلَ قِيَامِ مَهْدِيّهِمْ مَتْلُ فَرْخٍ نَهَضَ مِنْ عُشّهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَوِي جَنَاحَاهُ !

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَقَطَ ، فَأَخَذَهُ الصّبْيَانُ يَتَلَاعَبُونَ بِهِ .

فَاتّقِ اللَهِ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ المَصْلُوبَ غَداً بِالكُنَاسَةِ . فَكَانَ كَمَا قَالَ . (٢٢١)

إذا عرفنا أنّ صدّ الظلم واجب ، وأن الخضوع له حرام ، وأنّ عدم الركون إلى الجائرين من أهمّ التكاليف الشرعيّة حسب مفاد الآيات والروايات ، وأنّ إقامة الحكومة

الإسلاميّة من ألزم الفرائض ، فحينئذٍ ينبغي أن نحمل مثل هذه الروايات على النهضة المستبدّة في عرض ولاية الإمام ، لا في طولها .

وأنّ النهضة تنال دعم الإمام وتأييده ، إذا كانت تابعة لتعاليمه وتوجيهاته .

وقد تحدّثنا بحمد الله ومنّه حديثاً وافياً حول هذا الموضوع في الجزء الرابع من كتاب «ولاية الفقيه في حكومة الإسلام» ضمن الدروس ٣٨ إلى ٤١ من القسم السادس من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة .

ويعلم الجميع أنّ بحوثنا التي تحوم حول هذه الموضوعات لاتمثّل انتقاداً شخصيّاً . ولكن لمّا كان هذا القسم من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة المعنون «معرفة الإمام» يلتزم بالمحافظة على نواميس التشيّع شئنا أم أبينا ، فلهذا رأيتُ لزاماً على نفسي أن أتحدّث بصورة مركّزة حول «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» ، وهذه الصحيفة المكتشفة لتستبين هويّة كلّ واحدةٍ منهما بنحوٍ أفضل .

نتيجة البحث : ليس للصحيفة المكتشفة سند معتبر ، ولا يمكن مقابلتها مع الصحيفة المعروفة عند أصحاب الاختصاص في ضوء القواعد العلميّة . وينبغي الاحتراز من حشرها مع الصحيفة المعروفة . بَيدَ أنّها لو طُبعت بالكيفيّة التي عليها وبنفس سندها دون أدنى تغيير ، وأصبحت في متناول أيدي الجميع ، لكان هذا العمل مستحسناً ، إذ يمكن أن تكون تلك الصحيفة مؤيّدة للصحيفة المعروفة وكفى .

أجل ، من الخليق بالذكر أنّ أحد الطرق المهمّة لرواية «الصحيفة السجّاديّة» هو طريق الزيديّة ، لأنّ زيداً نفسه هو راوي أدعيتها ، وإن كانت أدعيتها أقلّ من أدعية الصحيفة المألوفة . من هنا ، قال البعض : يقال لهذه الصحيفة : «الصحيفة الكاملة» ، إذ إنّ أدعيتها أكثر من أدعية «الصحيفة الزيديّة» . ونسبة تلك الأدعية إلى أدعية الزيديّة نسبة الكامل إلى الناقص .

بَيدَ أنّ هذا الاحتمال لا يصحّ ، ذلك أنّ صفة الكمال لا تُضفى على الصحيفة ، ولا تُسمّى الصحيفة كاملة إلّا إذا لم تتّصف أدعية الصحيفة المرويّة عن الباقر ، وزيد عليهما السلام بلفظ الأكثر والأقلّ . لأنّنا نلحظ هذا الوصف في لفظ أصل الصحيفة المرويّة حيث كان الإمام الصادق عليه السلام قد أطلقه على أدعيتها .

جاء في مقدّمة «الصحيفة» المعروفة أنّ المتوكّل بن هارون قال ليحيى : فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ وُجُوهاً مِنَ العِلْمِ وَأَخْرَجْتُ لَهُ دَعَاءً أَمْلَاهُ عَلَيّ أَبُو عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السّلَامُ وَحَدّثَنِي أَنّ أَبَاهُ مُحَمّدَ بْنَ عَلِيّ عَلَيْهِمَا السّلَامُ أَمْلَاهُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ أَنّهُ مِنْ دُعَاءِ أَبِيهِ عَلِيّ بْنِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السّلَامُ مِنْ دُعَاءِ الصّحِيفَةِ الكَامِلَةِ .

إلى أن قال له يحيى : أَمَا أَنّي لَأُخْرِجَنّ إِلَيْكَ صَحِيفَةً مِنَ الدّعَاءِ الكَامِلِ . (٢٢٢)

وورد في شرح سند الصحيفة المكتشفة : فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ دُعَاءً أَمْلَاهُ عَلَيّ أَبُو عَبْدِ اللَهِ جَعْفَرٌ الصّادِقُ رَحِمَهُ اللَهُ قَالَ : إِنّ أَبَاهُ مُحَمّداً رَحِمَهُ اللَهُ أَمْلَاهُ عَلَيْهِ وَكَانَ يَدْعُو بِهِ وَيُسَمّيهِ الكَامِلَ .

إلى أن قال له يحيى : لَأُخْرِجَنّ إِلَيْكَ صَحِيفَةً كَانَ أَبِي يُسَمّيهَا الكَامِلَةَ مِمّا حَفِظَهُ عَنْ أَبِيهِ . (٢٢٣)

قال السيّد علي خان الكبير في شرحه : وَوَصْفُهَا بِالكَامِلَةِ لِكَمَالِهَا فِيمَا أُلّفَتْ لَهُ أَوْ لِكَمَالِ مُؤَلّفِهَا عَلَى حَدّ : كُلّ شَيْءٍ مِنَ الجَمِيلِ جَمِيلٌ . (٢٢٤)

وهكذا لمّا رويت «الصحيفة» عن زيد ، فقد عُدّ من المصنّفين في عصر صدر الإسلام . قال آية الله السيّد حسن الصدر : من الطبقة الثانية من المصنّفين : زيد الشهيد .

زيد الشهيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام له كتاب قراءة أمير المؤمنين عليه السلام رواه عنه عمر بن موسى الرجهيّ الزيديّ ، ويروي زيد عن أبيه «الصحيفة الكاملة» أملاها عليه ، وكتبها بخطّ يده . وكانت شهادته سنة اثنتين وعشرين ومائة . (٢٢٥)

كان زيد عالماً ، زاهداً ، عابداً ، معرضاً عن زخارف الدنيا ، شجاعاً ، أبيّ النفس ، سخيّاً ، قارئاً للقرآن ، من أُولي البذل والإيثار . ما كان مثله في بني هاشم وغيرهم ــ بعد أخيه الأكبر باقر العلوم عليه السلام ــ فضلاً وعلماً وحكمةً ومجداً وكرامةً وسؤدداً وعلوّ مقام ومنزلة .

واعترف العدوّ والصديق بفضله وعلمه وأصالته ونبوغه ، حتّى أنّ أهل الخلاف والعامّة يذكرونه بالتكريم والتمجيد .

وقد خصّص العالم المصريّ المعاصر الكبير الشيخ محمّد أبو زُهْرَة أحد كتبه لزيد الشهيد ، وألّف كتاباً ضخماً تحت عنوان : «الإمام زيد» (حياته وعصره وآراؤه) .

حيث نقل في أوّل مقدّمته على الكتاب ــ تمهيداً له ــ كلمتين عن زيد . ثمّ تحدّث مفصّلاً عن حياته وعصره وأفكاره واستشهاده .

١ ــ لمّا خرج زيد بن عليّ للجهاد ، خاطب أصحابه قائلاً : إنّي أَدْعُو إلى كتاب اللَهِ وَسُنّةِ نَبِيّه وإِحْيَاءِ السّنَنِ وَإِمَاتَةِ البِدَعِ ! فَإِنْ تَسْمَعُوا يَكُنْ خَيْراً لَكُمْ وَلِي ، وَإِن تَأْبَوا فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ! (٢٢٦)

٢ ــ وقال لأحد أصحابه : أَمَا تَرَى هَذِهِ الثّرَيّا ؟! أَتَرَى أَحَداً يَنَالُهَا ؟!

قَالَ صَاحِبُهُ : لَا !

قَالَ : وَاللَهِ لَوَدِدْتُ أَنّ يَدِي مُلَصّقَةٌ بِهَا فَأَقَعَ إِلَى الأَرْضِ أَوْ حَيْثُ أَقَعُ فَأَنْقَطِعَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَأَنّ اللَهَ يَجْمَعُ بَيْنَ أُمّةِ مُحَمّدٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلّم . (٢٢٧)

يعترف محمّد عجّاج الخطيب في سياق إحصاء الكتب المدوّنة في الإسلام وتقدّمها بأنّ كتاب مجموع زيد المشتمل على الحديث والفقه من أقدم الكتب الموجودة للأوائل ، ويرى أنّه سبق كتاب «الموطّأ» لمالك بن أنس بثلاثين سنة . قال :

مادمنا في موضوع الشيعة والتدوين ، فلابدّ من أن نتناول بالبحث أصلاً من أُصول الزيديّة يعود تدوينه إلى مطلع القرن الثاني ، وهذا الأصل هو «مجموع الإمام زيد» . ونتناول هذا الكتاب في ثلاث نقاط ، وهي :

أوّلاً : التعريف بصاحب المجموع .

ثانياً : التعريف براويه .

ثالثاً : ثمّ «المجموع» ذاته .

١ ــ الإمام زيد : هو زيد بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً .

ولد الإمام زيد حوالي سنة ٨٠ ه . ونشأ في أُسرة معروفة بالعلم والجهاد . فقد تلقّى العلم على أبيه ، ثمّ أخذ عن أخيه محمّد الباقر الذي شهد له العلماء بالمنزلة العلميّة الرفيعة ؛ كما سمع من كبار التابعين في المدينة ، وكان يتنقّل بين الحجاز والعراق . ونضج الإمام زيد حتّى شهد أهل العلم بفضله وعلمه .

سُئل جعفر الصادق عن عمّه زيد ، فقال : كَانَ وَاللَهِ أَقْرَأَنَا لِكِتَابِ اللَهِ ، وَأَفْقَهَنَا فِي دِينِ اللَهِ ، وَأَوْصَلَنَا لِلرّحِمِ ! وَاللَهِ مَا تُرِكَ فِينَا لِدُنْياً وَلَا لِآخِرَةٍ مِثْلُهُ . (٢٢٨)

قال الشعبيّ : مَا وَلَدَتِ النّسَاءُ أَفْضَلَ مِنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيّ وَلَا أَفْقَهَ وَلَا أَشْجَعَ وَلَا أَزْهَدَ . (٢٢٩)

وسُئل الباقر عن أخيه زيد ، فقال : إنّ زَيْداً أُعْطِيَ مِنَ العِلْمِ بَسْطَةً . (٢٣٠)

ولزيد مع هشام بن عبد الملك وولاته أخبار كثيرة تذكر إحراجهم له واضطراره إلى الخروج على الخليفة . ومن هذا ما ذكره ابن العماد الحنبليّ أنّه دخل يوماً على هشام بن عبد الملك ، فقال له : أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أَمَةٍ ؟! فأجابه بقوله : إنّ الأُمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات . وقد كانت أُمّ إسماعيل أَمَةً لِأُمّ إسحاق صلّى الله عليهما فلم يمنعه ذلك من أن ابتعثه الله نبيّاً ، وجعله للعرب أباً ، وأخرج من صلبه خير البشر محمّداً صلّى الله عليه [وآله] وسلّم !

أفتقول لي كذا وأنا ابن فاطمة وابن عليّ ؟! (٢٣١) وقام ينشد شعراً وخرج في الكوفة وبايعه من أهلها خمسة عشر ألف رجل ، ثمّ تفرّقوا عنه ليلةَ خرج سوى ثلاثمائة رجل . ولمّا قُتل أرسل برأسه إلى الشام ، ثمّ إلى المدينة . وكان ذلك سنة ١٢٢ ه . (٢٣٢)

وللإمام زيد المسند المسمّى «المجموع الفقهيّ» ، وله «المجموع الحديثيّ» ، وقد جمعهما عمرو بن خالد الواسطيّ . [٢٣٣] وله أيضاً تفسير «الغريب من القرآن» ، و«تثبيت الإمامة» و«منسك الحجّ» . [٢٣٤]

٢ ــ أمّا راوي «المجموع» ، فهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطيّ الهاشميّ بالولاء الكوفيّ . روى مجموعَي الإمام زيد الحديثيّ والفقهيّ ، قال : صحبت الإمام زيداً ، فما أخذت عنه الحديث إلّا وقد سمعتُه مرّةً ، أو مرّتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً ، أو خمساً ، أو أكثر من ذلك . وما رأيت هاشميّاً مثل زيد بن عليّ ، فلذلك اخترتُ صحبته على جميع الناس . [٢٣٥] وتوفّي بعد العشر الخامسة من المائة الثانية من الهجرة .

وقد اختُلف في أبي خالد ، فقبل الزيديّة روايته . وفي هذا يقول القاسم بن عبد العزيز : (وعمرو بن خالد الواسطيّ أبو خالد ، حدّث عنه الثقات ، وهو كثير الملازمة لزيد بن عليّ عليه السلام ، وهو الذي أخذ عنه أكثر الزيديّة مذهب زيد بن عليّ عليهما السلام ، ورجّحوا روايته على رواية غيره) . [٢٣٦]

وجرّحه الإماميّة [٢٣٧] وغيرهم . وقد فنّد شارح «المجموع» طعون الجارحين لعمرو ، وبيّن أقوال العلماء فيه ، وانتهى إلى أنّ كلّ ما وُجّه إليه لا يؤثّر في عدالته . [٢٣٨]

وكذلك فنّد فضيلة الأُستاذ محمّد أبو زهرة الطعون وناقشها ، ووازن آراء العلماء ، وانتهى إلى أنّ أوجه قبول رواية أبي خالد أرجح من أوجه الطعن . [٢٣٩]

٣ ــ «المجموع» . واختُلِف في «المجموع» ذاته : هل وضعه الإمام زيد ورتّبه كما هو عليه الآن وأملاه على طلّابه ، أم أنّ هذا عمل أبي خالد ؟ فأبو خالد نفسه يجيب إبراهيم بن الزبرقان الذي سأله : كيف سمعتَ هذا الكتاب عن زيد بن عليّ ؟ فيقول : (سمعتُه منه في كتاب معه قد وطّأه وجمعه ، فما بقي من أصحاب زيد بن عليّ ممّن سمعه معي إلّا قتل غيري) . [٢٤٠]

إلّا أنّ الإمام محمّد بن المطهّر في أوّل شرحه «المنهاج في المجموع» يقول : (و كان مذهبه ــ يعني زيد بن عليّ ــ عزيزاً لقلّة ضبطه في الكتاب الجامع إلّا ما عنى بجمعه أبو خالد ، فإنّه جمع مجموعين لطيفين ، أحدهما في الأخبار ، والآخر في الفقه) . [٢٤١]

ويمكن الجمع بين الخبرَين بأنّ أبا خالد قد كتب عن الإمام زيد الحديث والفقه وسمع منه ، فرتّب ذلك في مجموعين . ولا نرى هذا بعيداً قطّ ، لأنّ أبا خالد صحب زيداً بالمدينة قبل قدومه الكوفة خمس سنين ، كان يقيم عنده في كلّ سنة أشهراً كلّما حجّ . [٢٤٢] وكان عصر الإمام زيد عصر طلائع التصنيف .

ومع هذا لا يمكننا أن نقطع بأنّ «المجموع» كما هو عليه الآن جمعاً وترتيباً من تصنيف الإمام زيد ، لأنّ الدارس لمتن «المجموع» يرى كثيراً من الحديث يرويه أبو خالد قائلاً : حَدّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيّ . وفي الفقه يقول : قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيّ ، ممّا يدلّ على أنّ

أبا خالد تلقّى هذا مشافهةً عن الإمام زيد . وهذا لا يمنع أن يحمل الإمام بعض علمه فيكتاب . سواء أملى على طلّابه أم لم يُملِ . ويرجح عندي أنّ أبا خالد كتب عن الإمام الحديث والفقه . ثمّ رتّب ذلك في مجموعين . وكلّ هذا لا يؤثّر في صحّة نسبة «المجموع» إلى زيد بن عليّ .

وعلى هذا يكون «المجموع» من أهمّ الوثائق التأريخيّة التي تُثبت ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الثاني الهجريّ ، بعد أن استنتجنا هذا من خلال عرضنا لمصنّفات ومجاميع العلماء من غير أن نرى نموذجاً ماديّاً يمثّل أولى تلك المصنّفات ، اللهمّ إلّا موطّأ الإمام مالك الذي انتهى من تأليفه قبل منتصف القرن الهجريّ الثاني ، فيكون «المجموع» قد صنّف قبله بنحو ثلاثين سنة .

من الواضح أنّ «المجموع» المطبوع جمع بين الفقه والحديث ، فهو يضمّ المجموعين الفقهيّ والحديثيّ ولكنّهما ليسا منفصلين ، فنرى أبا خالد يروي في الباب الواحد أحاديث مرفوعة إلى النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وآثاراً عن عليّ رضي الله عنه ، وفقه الإمام زيد رحمه الله .

وقد ضمّ «المجموع» ٢٨٨ حديثاً مرفوعاً إلى النبيّ عليه [وآله] الصلاة والسلام ، ومن الأخبار العلويّة ٣٢٠ خبراً ، وعن الحسين خبرين فقط . (٢٤٣)

وقد رُتّب «المجموع» ترتيباً فقهيّاً ، ففيه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الجنائز ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الصيام ، وكتاب الحجّ ، وكتاب البيوع ... ورتّب كلّ بابٍ على أبواب مختلفة ، ويفتتح كلّ باب بحديث الباب بسنده المرفوع إلى الرسول الكريم عليه [وآله] الصلاة والسلام ، أو الموقوف على الإمام عليّ رضي الله عنه . وسأعرض بعض النماذج لنقف على حقيقة «المجموع» .

(أ) من باب ما ينبغي أن يجتنب في الصلاة :

قال : حدّثني زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام قال : أبصر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال :

أَمَا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ .

وقال زيد بن عليّ عليه السلام :

إِذَا دَخَلْتَ فِي الصّلَاةِ فَلَا تَلتَفِتْ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً ، وَلَا تَعْبَثْ بِالحَصَى ، وَلَا تَرْفَعْ أَصَابِعَكَ وَلَا تَنْقُضْ أَنَامِلَكَ ، وَلَا تَمْسَحْ جَبْهَتَكَ حَتّى تَفْرَغَ مِنَ الصّلَاةِ . (٢٤٤)

(ب) من كتاب «البيوع» ، باب الكسب من اليد :

قال : حدّثني زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، أَيّ الكَسْب أَفْضَلُ ؟!

فقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : عَمَلَ الرّجُلِ بِيَدِهِ ، وكُلّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ ! فَإنّ اللَهَ يُحِبّ المُؤْمِنَ المُحْتَرِفَ . وَمَنْ كَدّ عَلَى عِيَالِهِ كَانَ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَهِ عَزّ وَجَلّ .

حدّثني زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام ، قال : مَنْ طَلَبَ الدّنْيَا حَلَالاً تَعَطّفاً عَلَى وَالِدٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ زَوْجَةٍ ، بَعَثَهُ اللَهُ تَعَالَى وَوَجْهُهُ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ . (٢٤٥)

* * *

أجل ، هنا حيث ينتهي البحث حول «الصحيفة السجّاديّة» وراوٍ من رواتها ــ وهو زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ــ من المناسب أن يكون لنا حديث لتستبين مكانة زيد ومدى علمه وفضله وتقواه . وكذلك لمّا ورد في مقدّمة «الصحيفة» اسم يحيى بن زيد ، واسم محمّد وإبراهيم ولدَي عبد الله المحض ، لهذا ينبغي أن يحوم حولهم حديث مجمل . وأيضاً ينبغي أن يكون لنا حديث موجز جدّاً عن أشخاص من العلويّين ثاروا في عصر الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كالحسين بن عليّ شهيد فَخّ ، وعبد الله بن جعفر الصادق ، وزيد بن موسى ابن جعفر المُسَمّى زيد النار ، ويحيى بن عبد الله المحض الذي دعا الإمامَ الكاظم إلى بيعته واتّباعه ، فتتبيّن بذلك مكانة كلّ واحد منهم . ذلك أنّ لهذا البحث علاقة وطيدة بمعرفة الإمام ، وبهذه المرحلة من كتابتنا التي تدور حول «معرفة الإمام» .

ونذكر فيما يأتي مطالب مختارة عنهم بنحو متفرّق ، ثمّ نظمّ بعضها إلى بعض في نهاية المطاف ، فنبلغ النتيجة الغائيّة إن شاء الله تعالى :

نقل محمّد بن يعقوب الكلينيّ قدّس سرّه روايات كثيرة في كتاب «الكافي» ، باب مَا يُفْصَلُ بِهِ بَيْنَ دَعْوَى المُحِقّ وَالمُبْطِلِ فِي أَمْرِ الإمَامَةِ ، ومحصّلها وخلاصتها : في عصر كلّ إمام من الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين كان عدد من العلويّين يدعون الناس وأئمّة الوقت إلى البيعة :

فقد دعا محمّدُ ابن الحنفيّة الإمامَ زين العابدين عليه السلام إلى إمامته .

ودعا زيدُ بن عليّ بن الحسين باقر العلوم عليه السلام إلى الخروج بالسيف .

ودعا عبد الله المحض وابنه محمّد الإمام الصادق عليه السلام إلى اتّباع محمّد وبيعته .

وكان عبد الله بن جعفر يرى الإمامة له .

ودعا يحيى بن عبد الله المحض الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام إلى نفسه . (٢٤٦)

قال العلّامة الأمينيّ : أمّا عبد الله المحض ، فالأحاديث في مدحه وذمّه وإن تضاربت غير أنّ غاية نظر الشيعة فيها ما اختاره سيّد الطائفة السيّد ابن طاووس في إقباله ، ص ٥١ من صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصادق عليه السلام .

وذكر من أصل صحيح كتاباً للإمام الصادق عليه السلام وصف فيه عبد الله بالعبد الصالح ، ودعا له ولبني عمّه بالأجر والسعادة .

ثمّ قال : وهذا يدلّ على أنّ الجماعة المحمولين [يعني عبد الله وأصحابه الحسنيّين] كانوا عند مولانا الصادق عليه السلام معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقّه عارفين . وقد يوجد في الكتب أنّهم كانوا للصادقين عليهما السلام مفارقين . وذلك محتمل للتقيّة لئلّا يُنسَب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمّة الطاهرين .

وممّا يدلّك على أنّهم كانوا عارفين بالحقّ وبه شاهدين ما رويناه (وقال بعد ذكر السند وإنهائه إلى الصادق عليه السلام) : ثمّ بكى عليه السلام حتّى علا صوته وبكينا ، ثمّ قال : حدّثني أبي عن فاطمة ابنة الحسين ، عن أبيها أنّه قال : يُقْتَلُ مِنْكِ ــ أَوْ يُصَابُ ــ نَفَرٌ بِشَطِّ الفُرَاتِ مَا سَبَقَهُمُ الأَوَّلُونَ وَلَا يَعْدِلُهُمُ الآخِرُونَ . ثمّ قال :

أقول : وهذه شهادة صريحة من طرقٍ صحيحة بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السلام ؛ وأنّهم مضوا إلى الله جلّ جلاله بشرف المقام ، والظفر بالسعادة والإكرام .

وأمّا محمّد بن عبد الله بن الحسن الملقّب بالنفس الزكيّة فعدّهُ الشيخ أبو جعفر الطوسيّ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام . وقال ابن المُهَنّا في «عمدة الطالب» ص ٩١ : قُتِل بأحجار الزيت ، وكان ذلك مصداق تلقيبه النّفْس الزّكِيّة ، لأنّه رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : يُقْتَلُ بِأَحْجَارِ الزّيْتِ مِنْ وُلْدِي النّفْسُ الزّكِيّة ــ إلى آخره .

وأمّا إبراهيم بن عبد الله قتيل باخمرى المكنّى بأبي الحسن ، فعدّهُ شيخ الطائفة من رجال الصادق عليه السلام ــ [٢٤٧] إلى آخر الحديث .

وبعد أن تحدّث العلّامة الأمينيّ مفصّلاً عن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، وذكر أخباراً في مدحه وفضيلة شأنه ، ونقل شعراً عن عدد من كبار الشعراء في رثائه ، استنتج في آخر كلامه قائلاً : والشيعة على بكرة أبيها لا تقول فيه إلّا بالقداسة . وترى من واجبها تبرير كلّ عمل له من جهاد ناجع ، ونهضة كريمة ، ودعوة إلى الرضا من آل محمّد .

تشهد لذلك كلّه أحاديث أسندوها إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأئمّتهم عليهم السلام ، ونصوص علمائهم ، ومدائح شعرائهم وتأبينهم له ، وإفراد مؤلّفيهم أخباره بالتدوين .

أمّا الأحاديث ، فمنها قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للحسين السبط :

يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : زَيْدٌ يَتَخطّا هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِقَابَ النّاسِ ، يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . [٢٤٨]

إلى أن قال : ويُعربُ عن رأي الشيعة جمعاء قول شيخهم بهاء الملّة والدين العامليّ في رسالة إثبات وجود الإمام المنتظر : إنّا معشر الإماميّة لا نقول في زيد بن عليّ إلّا خيراً ، والروايات عن أئمّتنا في هذا المعنى كثيرة .

وقال العلّامة الكاظميّ في «التكملة» : اتّفق علماء الإسلام على جلالة زيد وورعه وفضله . إلى أن قال : قال سديف بن ميمون في قصيدة له :

لَا تُقِيلَنّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَاراً
وَاقْطَعُوا كُلّ نَخْلَةٍ وَغِرَاسِ
وَاذْكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وَزَيْدٍ
وَقَتِيلاً بِجَانِبِ المِهْرَاسِ (٢٤٩)

إلى أن قال : والوزير الصاحب بن عبّاد بمقطوعةٍ أوّلها :

بَدَا مِنَ الشّيْبِ فِي رَأْسِي تَفَارِيقُ
وَحَانَ لِلّهْوِ تَمْحِيقٌ وَتَطْلِيقُ
هَذَا فَلَا لَهْوَ مِنْ هَمّ يُعَوّقُنِي
بِيَوْمِ زَيْدٍ وَبَعْضُ الهَمّ تَعْوِيقُ

وقال : وللشيخ ميرزا محمّد عليّ الأُوردباديّ قصيدة في مدحه ورثائه ، أوّلها :

أَبَتْ عَلْيَاؤُهُ إلّا الكَرَامَة
فَلَمْ تُقْبَرْ لَهُ نَفْسٌ مُضَامَة

وقال : ورثاه السيّد علي النقيّ النقويّ اللكهنويّ بقصيدة استهلّها :

أَبَى اللَهُ لِلأَشْرَافِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
سِوَى أَنْ يَمُوتُوا فِي ظِلَالِ الصّوَارِمِ

ولمّا اتّهم ابن تيميّة في «منهاج السّنّة» ، والسيّد محمود الآلوسيّ في رسالته المطبوعة في كتاب «السّنّة والشيعة» ص ٥٢ ، والقصيميّ في كتاب «الصراع بين الإسلام والوثنيّة» الشيعة بأنّهم رفضوا زيد بن عليّ ، وشهدوا عليه بالكفر والفسق ، وساحة الشيعة منزّهة عن وصمة هذه التهمة ، بل الشيعة على الإطلاق ترى أنّ زيداً شهيد ، رفيع المنزلة ، مجاهد في سبيل الله ، لهذا خاطبهم المرحوم الأمينيّ رحمه الله مؤاخِذاً إيّاهم بقوله :

وكأنّ هؤلاء المدافعين عن ساحة قدس زيد يحسبون القرّاء جهلاء بالتأريخ الإسلاميّ ، وأنّهم لا يعرفون شيئاً منه ، وتخفى عليهم حقيقة هذا القول المزوّر .

ألا مِن مُسائلٍ هؤلاء عن أنّ زيداً إن كان عندهم وعند قومهم في جانبٍ عظيم من العلم والزهد ، فبأيّ كتاب أم بأيّة سنّةٍ حاربه أسلافهم وقاتلوه وقتلوه وصلبوه وأحرقوه وداروا برأسه في البلاد ؟!

أليس منهم ومن قومهم أمير مناوئيه وقاتله يوسف بن عمر ؟!

أو ليس منهم صاحب شرطته : العبّاس بن سعد ؟!

أو ليس منهم قاطع رأسه الشريف : ابن الحكم بن الصلت ؟!

أو ليس منهم مبشّر يوسف بن عمر بقتله : الحجّاج بن القاسم ؟!

أو ليس منهم خراش بن حوشب الذي أخرج جسده من قبره ؟!

أو ليس من خلفائهم الآمر بإحراقه : وليد أو هشام بن عبد الملك ؟!

أو ليس منهم حامل رأسه إلى هشام : زهرة بن سليم ؟!

أو ليس من خلفائهم هشام بن عبد الملك وقد بعث رأس زيد إلى مدينة الرسول فنصب عند قبر النبيّ يوماً وليلة ؟!

أو ليس هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد القسريّ يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت شاعر أهل البيت ويده بقصيدة رثى بها زيدَ بن عليّ وابنَه ومدح بني هاشم ؟!

أو ليس عامل خليفتهم بالمدينة : محمّد بن إبراهيم المخزوميّ ، كان يعقد حفلات بها سبعة أيّام ويخرج إليها ويُحضر الخطباء فيها فيلعنون هناك عليّاً وزيداً وأشياعهم ؟!

أو ليس من شعراء قومهم الحكيم الأعور ؟! وهو القائل :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْداً عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ
وَلَمْ نَرَ مَهْدِيّاً عَلَى الجِذْعِ يُصْلَبُ
وَقِسْتُمْ بِعُثْمَانٍ عَلِيّاً سَفَاهَةً
وَعُثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيّ وَأَطْيَبُ

أو ليس سلمة بن الحرّ بن الحكم شاعرهم هو القائل في قتل زيد ؟!

وَأَهْلَكْنَا جَحَاجِحَ (٢٥٠) مِنْ قُرَيْشٍ
فَأَمْسَى ذِكْرُهُمْ كَحَدِيثِ أَمْسِ
وَكُنّا أُسّ مُلْكِهِمُ قَدِيماً
وَمَا مُلْكٌ يَقُومُ بِغَيْرِ أُسّ
ضَمِنّا مِنْهُمُ نَكْلاً وَحُزْناً
وَلَكِن لَا مَحَالَةَ مِنْ تَأَسّ

أو ليس منهم من يقول بحيال رأس زيد وهو مصلوبٌ بالمدينة ؟!

أَلَا يَا نَاقِضَ المِيثَا
قِ أَبْشِرْ بِالّذِي سَاكَا
نَقَضْتَ العَهْدَ وَالمِيثَا
قَ قِدْماً كَانَ قُدْمَاكَا
لَقَدْ أَخْلَفَ إبْلِيسُ الّ

ـــذِي قَدْ كَانَ مَنّاكَا [٢٥١]

قال العلّامة الأمينيّ في يحيى بن زيد : وأمّا يحيى بن زيد ، فقتله الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥ ه . وقاتله سلم بن أحوز الهلاليّ ، وجهّز إليه الجيش نصر بن سيّار ، ورماه عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزيّ وسلبه . (سلب درعه وخاتمه وثيابه وكلّ ما كان معه) . («الطبريّ» ج ٨ ، «مروج الذهب» ج ٢ ، «تاريخ اليعقوبيّ» ج ٣) . [٢٥٢]

وقال أيضاً : وفي وسع الباحث أن يستنتج ولاء الشيعة ليحيى بن زيد ممّا أخرجه أبو الفرج في «مقاتل الطالبيّين» ص ٦٢ ، طبعة إيران .

قال : لمّا أُطلق يحيى بن زيد وفُكّ حديده ، صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحدّاد الذي فكّ قيده من رِجله فسألوه أن يبيعهم إيّاه وتنافسوا فيه وتزايدوا حتّى بلغ عشرين ألف درهم ، فخاف أن يشيعَ خبره فيؤخذ منه المال ، فقال لهم : اجمعوا ثمنه بينكم ! فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعةً قطعةً وقسّمه بينهم فاتّخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرّكون بها . [٢٥٣]

وقال أيضاً : والحسن بن الحسن المُثَنّى ، كتب وليد بن عبد الملك إلى عامله عثمان بن حيّان المريّ : انظر إلى الحسن بن الحسن فاجلده مائة ضربة ! وقّفه للناس يوماً ! ولا أراني إلّا قاتله !

فلمّا وصله الكتاب بعث إليه فجيء به والخصوم بين يديه . فعلّمهُ عليّ بن الحسين عليه السلام بكلمات الفرج ففرّج الله عنه وخلّوا سبيله . فخاف الحسن سطوة بني أُميّة فأخفى نفسه وبقي مختفياً إلى أن دسّ إليه السمّ سليمان بن عبد الملك وقتله سنة ٩٧ ه .

وعبد الله المحض كان المنصور يسمّيه : عبد الله المُذِلّة . قتله في حبسه بالهاشميّة سنة ١٤٥ لمّا حبسه مع تسعة عشر من وُلد الحسن ثلاث سنين . وقد غيّرت السياط لون أحدهم وأسالت دمه ، وأصاب سوطٌ إحدى عينيه فسالت ، وكان يستسقي الماء فلا يُسقى ، فردم عليهم الحبس فماتوا . وفي «تاريخ اليعقوبيّ» ج ٣ ، ص ١٠٦ : إنّهم وُجدوا مسمّرين في الحيطان .

ومحمّد بن عبد الله النفس الزكيّة قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥ ، وجاء برأسه إلى عيسى بن موسى وحمله إلى أبي جعفر المنصور فنصبه بالكوفة وطاف به البلاد .

وأمّا إبراهيم بن عبد الله ، فَنَدَب المنصور عيسى بن موسى من المدينة إلى قتاله ، فقاتل بباخمرى حتّى قُتلَ سنة ١٤٥ ، وجيء برأسه إلى المنصور فوضعه بين يديه ، وأمر به فنُصب في السوق ، ثمّ قال للربيع : احمله إلى أبيه عبد الله في السجن ، فحمله إليه . وقال النسّابة العمريّ في «المَجْدي» : ثمّ حمل ابن أبي الكرام الجعفريّ رأسه إلى مصر .

ويحيى بن عمر ، [٢٥٤] أمر به المتوكّل فضُرب دِرَراً ثمّ حبسه في دار الفتح بين خاقان . فمكث على ذلك ، ثمّ أُطلق فمضى إلى بغداد . فلم يزل بها حتّى خرج إلى الكوفة في أيّام المستعين فدعا إلى الرضا من آل محمّد . فوجّه المستعين رجلاً يقال له :

كلكاتكين ، ووجّه محمّد بن عبد الله بن طاهر بالحسين بن إسماعيل فاقتتلوا حتّى قُتِل سنة . ٢٥٠ وحمل رأسه إلى محمّد بن عبد الله فوضع بين يديه في تُرس ، ودخل الناس يهنّونه . ثمّ أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غَدٍ . [٢٥٥]

وقال أيضاً : حاربه محمّد بن عبد الله بن طاهر فقُتِل وحُمِل رأسه إلى سامرّاء . ولمّا حُمل رأسه إلى محمّد بن عبد الله بن طاهر ، جلس بالكوفة (كذا) للهنا . فدخل عليه أبوهاشم داود بن القاسم الجعفريّ وقال : إنّك لتهنأ بقتيل لو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيّاً لعُزّيّ فيه . [٢٥٦] فخرج وهو يقول :

يَا بَنِي طَاهِرٍ كُلُوهُ مَرِيئاً
إنّ لَحْمَ النّبِيّ غَيْرُ مُرِيّ
إنّ وَتْراً يَكُونُ طَالِبُهُ اللَهُ
لَوَتْرٌ بِالفَوْتِ غَيْرُ حَرِيّ [٢٥٧]

وتحدّث العلّامة الأمينيّ عن الحِمّانيّ الأفْوَه أبي الحسين عليّ بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن محمّد بن زيد الشهيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، وعدّه من شعراء الغدير في القرن الثالث ، وذكر أنّه توفّي سنة . ٣٠١ ومحصّلة كلامه بإيجاز :

حِمّان (بكسر المهملة وتشديد الميم) : محلّة بالكوفة .

وذكر البيهقيّ في «المحاسن والمساوي» ج ١ ، ص ٧٥ ، قوله :

عَصَيْتُ الهَوَى وَهَجَرْتُ النّسَاءْ
وَكُنْتُ دَوَاءً فَأَصْبَحْتُ دَاءْ

إلى أن قال :

بَلَغْنَا السّمَاءَ بِأَنْسَابِنَا
وَلَوْلَا السّمَاءُ لَجُزْنَا السّمَاءْ
فَحَسْبُكَ مِنْ سُؤْدَدٍ إنّنَا
بِحُسْنِ البَلَاءِ كَشَفْنَا البَلَاءْ
يُطِيبُ الثّنَاءُ لِآبَائِنَا
وَذِكْرُ عَلِيّ يَزِينُ الثّنَاءْ
إذَا ذُكِرَ النّاسُ كُنّا مُلُوكاً
وَ كَانُوا عَبِيداً وَكَانُوا إمَاءْ
هَجَانِيَ قَوْمٌ وَلَمْ أَهْجُهُمْ

أَبَى اللَهُ لِي أَنْ أَقُولَ الهِجَاءْ [٢٥٨]

وذكر له ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٤ ، ص ٣٩ ، طبعة الهند ، قوله :

يَابْنَ مَنْ بَيْنُهُ مِنَ الدّينِ والإسلَا
مِ بَيْنُ المَقَامِ وَالمِنْبَرَينِ
لَكَ خَيْرُ البَنِيّتَيْنِ مِنْ مَسْجِدِيْ جَدّ
كَ وَالمَنْشَأَيْنِ وَالمَسْكَنَيْنِ
وَالمَسَاعِي مِنْ لَدُنْ جَدّكَ إسْمَا
عِيلَ حَتّى أُدْرِجْتَ فِي الرّبْطَتَيْنِ
يَوْمَ نِيطَتْ بِكَ التّمائِمُ ذَاتُ الرّ
يشِ مِنْ جَبْرَئِيلَ فِي المَنْكِبَيْنِ

(يخاطب الحمّانيّ بهذه الأبيات سيّد الشهداء عليه السلام عندما اعتلّ في طفولته وأتاه جبرائيل من السماء بعوذةٍ شُدّت على كتفيه) .

ومنها :

أَنْتُمَا سَيّدا شَبَابِ الجِنَا
نِ يَوْمَ الفَوْزَيْنِ وَالرّوْعَتَيْنِ
يَا عَدِيلَ القُرآنِ مِنْ بَيْنِ
ذَا الخَلْقِ وَيَا وَاحِداً مِنَ الثّقَلَيْنِ
أَنْتُمَا وَالقُرْآنُ فِي الأَرْضِ مُذْ أَ
زَلِ مِثْلُ السّمَاءِ وَالفَرْقَدَيْنِ
فَهُمَا مِنْ خِلَافَةِ اللَهِ فِي الأَرْ
ضِ بِحَقّ مَقَامَ مُسْتَخْلَفَيْنِ
قَالَهُ الصّادِقُ الحَدِيثِ وَلَنْ
يَفْتَرِقَا دُونَ حَوْضِهِ وَارِدَيْنِ

قال العلّامة الأمينيّ هنا : ولسيّدنا المترجَم له : الحِمّانيّ الذي هو من ذرّيّة محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ذرّيّة كريمة ، وأحفاد علماء أئمّة أعلام ، فيهم مَن هو في الطليعة مِن الشعراء والأُدباء والخطباء ، وإليه ينتهي نسب الأُسرة الشهيرة (القزوينيّة) العريقة في العلم والفضل والأدب النازلين في مدن العراق ، كما أنّ له آباء أعلام نالوا سنام المجد وذروة الشرف . فمن أُولئك جدّه الأعلى زيد الشهيد . [٢٥٩]

وقال في زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام : وأمّا ما رواه أبو نُعيم والخطيب أنّ عليّاً الرضا عليه السلام وبّخ أخاه زيداً حين خرج على المأمون ، وقال له :

مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَسُولِ اللَه ؟! أَغَرّكَ قَوْلُهُ : إنّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرّمَهَا اللَهُ وَذُرّيّتَهَا عَلَى النّارِ ؟!

إنّ هَذَا لِمَنْ خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا لَا لِي وَلَا لَكَ ! وَاللَهِ مَا نَالُوا ذَلِكَ إلّا بِطَاعَةِ اللَهِ . فَإن أَرَدْتَ أَنْ تَنَالَ بِمَعْصِيَتِهِ مَا نَالُوهُ بِطَاعَتِهِ إنّكَ إذَاً لَأَكْرَمُ عَلَى اللَهِ مِنْهُمْ ! فهذا من باب التواضع والحثّ على الطاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت ، كما كان الصحابة المقطوع لهم بالجنّة على غاية من الخوف والمراقبة . وإلّا فلفظ «ذرّيّة» لا يخصّ بمن خرج من بطنها في لسان العرب وَمِن ذُرِيّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَنَ ــ الآية . [٢٦٠] وبينه وبينهم قرون كثيرة . فلا يريد بذلك مثل عليّ الرضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب ؟! [٢٦١]

أبو العبّاس السفّاح هو عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس .

نقل الطبريّ أنّه بويع لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ وكان بالكوفة . وبايعه الكوفيّون في هذا التأريخ .

ذكر الطبريّ هذا القول نقلاً عن هشام بن محمّد ، ولكنّه قال : قال الواقديّ : بويع لأبي العبّاس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأُولى سنة ١٣٢. [٢٦٢]

قال المحدّث القمّيّ : عندما كانت الدولة الأمويّة على وشك الانهيار ، اجتمع بالأبواء جماعة من بني العبّاس ، منهم : أبوالعبّاس السفّاح وأخواه أبو جعفر المنصور وإبراهيم ، وعمّه صالح بن عليّ ، وجماعة من الطالبيّين ، منهم : عبد الله المحض ، ووالده محمّد وإبراهيم ، وأخوه لأُمّه محمّد الديباج وغيرهم ، واتّفقوا على بيعة أحد أولاد عبد الله المحض ، فبايع الجميع محمّداً ، لأنّهم كانوا قد سمعوا من بيت الرسالة أنّ مهديّ آل محمّد سَميّ رسول الله . [٢٦٣]

ثمّ بعثوا وراء الإمام الصادق عليه السلام ، وعبد الله بن محمّد بن عُمر بن عليّ عليه السلام ليأخذوا منهما البيعة . بَيدَ أنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يبايع وقال : هذا ليس هو المهديّ . وغرّكم اسمه ! وقال لعبد الله المحض : إذا كانت هذه البيعة من أجل الخروج والأمر بالمعروف ، فلم نبايع ابنك ولا نبايعك وأنت شيخ بني هاشم ؟! ولكن عبد الله قال للإمام : كلامك هذا غير صحيح ، وأنت لا تبايع حسداً !

فقام الإمام ووضع يده على ظهر السفّاح وقال : هذا هو الخليفة ، ويليها من بعده إخوته وأولاده . وضرب على منكب عبد الله المحض وقال : والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ، ولكنّها لهم وإنّ أبنيك لمقتولان . وقال لعبد العزيز : سيقتل صاحب الرداء الأصفر (المنصور) عبد الله ، وابنه محمّداً .

وقد حجّ المنصور سنة ١٤٠ ه ، ثمّ دخل المدينة وحبس عبد الله وبني الحسن ومحمّد الديباج . [٢٦٤]

وذكر الطبريّ أنّ أبا العبّاس السفّاح مات في ١٣ ذي الحجّة سنة ١٣٦ وكانت ولايته من لَدُن قُتِل مروان بن محمّد أربع سنين . توفّي وهو ابن ٣٣ ، أو ٣٦ ، أو ٢٨ سنة .

وفي هذه السنة أوصى أبو العبّاس عبد الله بن محمّد إلى أخيه أبي جعفر المنصور (عبد الله بن محمّد) [٢٦٥] وعهد إليه بالخلافة بعده ، وإذا مات فلأبي جعفر عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ ، ودفع عهده إلى عيسى .

بويع المنصور يومئذ وسمّاه الناس خليفة .

وفي سنة ١٣٧ قتل المنصور أبا مسلم الخراسانيّ غيلةً . آمنه ودعاه ، وحين دخل مجلسه فتك به . ونقل الطبريّ مقتله مفصّلاً . [٢٦٦]

وقال الطبريّ أيضاً : في سنة ١٣٩ سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس . فملّكه أهلها أمرهم ، فولده ولاتها إلى اليوم . وفيها وسّع أبو جعفر المسجد الحرام . [٢٦٧]

وفي سنة ١٤٠ خرج المنصور حاجّاً ، وحين قدم المدينة ، حبس عبد الله المحض . [٢٦٨]

وأمر رياحاً بأخذ بني حسن ، [٢٦٩] ووجّه في ذلك أبا الأزهر المهريّ . وقد كان حبس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين . فكان حسن بن حسن قد نصل خضابه تسلّياً على عبد الله . فكان أبو جعفر يقول : مَا فَعَلَتِ الحَادّةُ ؟

فأخذ رياح حسناً (المثلّث) ، وإبراهيم (الغمر) ابنَي حسن بن حسن (الحسن المثنّى) ، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابنَي داود بن حسن بن حسن ، ومحمّداً وإسماعيل وإسحاق بني إبراهيم بن حسن بن حسن (أولاد إبراهيم الغمر) ، وعبّاس بن حسن (المثلّث) بن حسن (المثنّى) بن حسن بن عليّ بن أبيطالب ، أخذوه على بابه ، فقالت أُمّه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر : دعوني أشمّه ! قالوا : لا ، والله ما كنتِ حيّةً في الدنيا . وعليّ بن حسن بن حسن بن حسن العابد .

وحبس معهم أبو جعفر المنصور عبد الله بن حسن بن حسن أخا عليّ (أي : الابن الآخر للحسن المثلّث) . [٢٧٠]

وحدّثني ابن زبالة قال : سمعتُ بعض علمائنا يقول : مَا سَارّ عَبْدُ اللَهِ ابْنُ حَسَنٍ أَحَداً قَطّ إلّا فَتَلَهُ عَنْ رَأْيِهِ . [٢٧١]

حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة ، فتلقّاه رياح بالرّبَذَة ، فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بني حسن إليه ، وبإشخاص محمّد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان محمّد الديباج ، وهو أخو بني حسن لأُمّهم . أُمّهم جميعاً فاطمة ابنة الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

كان بنو الحسن في حبس المنصور بالمدينة ثلاث سنين ثمّ سيقوا إلى سجن الكوفة .

وتحرّك المنصور من الربذة إلى الكوفة . وجلس في محمل وقيّد بني الحسن ومحمّد الديباج بالأغلال ، وأجلسهم في محامل بلا غطاء ولا وطاء وأخذهم معه إلى الكوفة ، وحبسهم في محبس الهاشميّة قرب القنطرة .

وضرب محمّد الديباج أربعمائة سوط حتّى جُرح بدنه [٢٧٢] ولصق ثوبه بجلده . وأمر بخلع ذلك الثوب اللاصق بالجلد ، وإلقاء قميص غليظ عليه مكانه ، وسوق مركبه أمام مركب عبد الله المحض أخيه لأُمّه ــ وكان يحبّه كثيراً ــ ليراه عبد الله بذلك الوضع طول الطريق . فكان يراه أمامه على تلك الحالة .

وكان السجن ضيّقاً إلى درجة أنّهم كانوا لا يعرفون الليل من النهار ، ونتيجة لرائحة السجن النتنة فقد ورمت أجسامهم وماتوا جميعهم في السجن . [٢٧٣]

ولمّا حُمِل بنو الحسن إلى الكوفة ، كان محمّد وإبراهيم يأتيان معتمّين كهيئة الأعراب ، فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذنانه في الخروج ، فيقول : لا تعجلا حتّى يمكنكما ذلك ، ويقول : إنْ مَنَعَكُمَا أَبُو جَعْفَرٍ أَنْ تَعِيشَا كَرِيمَيْنِ ، فَلَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَمُوتَا كَرِيمَيْنِ . [٢٧٤]

وكانت رقيّة ابنة محمّد بن عبد الله العثمانيّ زوجة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن .

قال سليمان بن داود بن الحسن : ما رأيتُ عبد الله بن حسن جَزِع من شيء ممّا ناله إلّا يوماً واحداً ، فإنّ بعير محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو غافل ، لم يتأهّب له ، وفي رجليه سلسلة ، وفي عنقه زَمّارة [٢٧٥] فهوى ، وعلقت الزمّارة بالمحمل ، فرأيته منوطاً بعنقه يضطرب . فرأيتُ عبد الله بن حسن قد بكى بكاءً شديداً . [٢٧٦]

وحدّثني محمّد بن أبي حرب قال : كان محمّد بن عبد الله بن عمرو (الديباج) محبوساً عند أبي جعفر وهو يعلم براءته ، حتى كتب إليه أبو عون من خراسان : أخبر أميرَ المؤمنين أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّي ، وطال عليهم أمر محمّد بن عبد الله . فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمّد بن عبد الله بن عمرو ، فضُربت عنقه ، وأرسل برأسه إلى خراسان ، وأقسم لهم إنّه رأس محمّد بن عبد الله ، وأنّ أُمّه فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .

وقيل : أمر المنصور به (محمّد بن عبد الله الديباج) فضُرب حتّى مات ، ثمّ احتزّ رأسه فبعث به إلى خراسان ، فلمّا بلغ ذلك عبد الله بن حسن قال : [٢٧٧] إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَاللَهِ إِنْ كُنّا لَنَأْمَنُ بِهِ فِي سُلْطَانِهِمْ ثُمّ قُتِلَ بِنَا فِي سُلْطَانِنَا . [٢٧٨]

... وعن مسكين بن عمرو قال : لمّا ظهر محمّد بن عبد الله بن حسن أمر أبو جعفر بضرب عنق محمّد بن عبد الله بن عمرو ، ثمّ بعث به إلى خراسان ، وبعث معه الرجال يحلفون بالله إنّه لمحمّد بن عبد الله ابن فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .

قال عمر : فسألت محمّد بن جعفر بن إبراهيم ، في أيّ سبب قُتل محمّد بن عمرو ؟ قال : احتيج إلى رأسه ... .

فلمّا قُتِل محمّد بن عبد الله بن حسن ، وجّه أبو جعفر برأسه إلى خراسان ، فلمّا قدم به ارتاب أهل خراسان ، وقالوا : أليس قد قُتل مرّةً وأتينا برأسه ؟! ثمّ تكشّف لهم الخبر حتّى علموا حقيقته ، فكانوا يقولون : لم يُطّلَع من أبي جعفر على كذبةٍ غيرها . (٢٧٩)

نلحظ هنا أنّ المنصور قد مكر واحتال ، وبعث رأس محمّد بن عبد الله بن عمرو (محمّد الديباج) ــ أخو عبد الله المحض لأُمّه ، وأُمّهما فاطمة ابنة الحسين ــ مكان رأس محمّد بن عبد الله بن الحسن ، وقد ورّى والتورية كذب .

أي : لمّا كانت أُمّ محمّد الديباج هي فاطمة ابنة الإمام الحسين ابن فاطمة ابنة رسول الله ، فقد قال المنصور : هذا ابن فاطمة ابنة رسول الله .

وأمّا أُمّ محمّد بن عبد الله ، فقد كان واضحاً أنّ عبد الله لمّا كان ابنَ الحسن بن الحسن ، فهو ابن فاطمة ابنة رسول الله . وتوضيح ذلك : لمّا كانت فاطمة ابنة الحسين زوجة الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى ، فهي أُمّ عبد الله ، وابنها هو محمّد بن فاطمة ابنة الحسين ، وعلى هذا يصل نسب محمّد بن عبد الله بن الحسن إلى فاطمة الزهراء ابنة رسول الله من طرف الأب والأُمّ معاً .

استغلّ المنصور هذا التشابه في الاسم ، وبعث رأس محمّد الديباج مكان رأس محمّد بن عبد الله .

قال الطبريّ أيضاً : حبس المنصور بني الحسن في سجن مظلم دامس حتّى كانوا لا يعرفون أوقات الصلاة إلّا بأحزابٍ من القرآن كان يقرأها عليّ بن حسن (ابن الحسن المثلّث وكان يُسمّى العابد) .

وقال : قال عمر : حدّثني ابن عائشة قال : سمعتُ مولىً لبني دارم ، قال : قلتُ لبشير الرحّال : ما يسرعك إلى الخروج على هذا الرجل ؟!

قال : إنّه أرسل إليّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته ، فأمرني يوماً بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً . فسقطتُ مغشيّاً علَيّ ، فلمّا أفقتُ أعطيتُ الله عهداً ألّا يختلف في أمره سيفان إلّا كنتُ مع الذي عليه منهما . وقلتُ للرسول الذي معي من قبله : لا تخبره بما لقيتَ ! فإنّه إن علم قتلني .

قال عمر : فحدّثتُ به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل همذان ، وهو العبّاسيّ أنّ أبا جعفر أمر بقتله . فحلف بالله ما فعل ذلك ؛

كان حاضراً في واقعة فخّ كلّ مِن يحيى وسليمان وإدريس أولاد عبد الله المحض ، وعبد الله الأفطس من ولد الحسن بن عليّ بن عليّ بن الحسين ، وإبراهيم طباطبا ، وعمر بن الحسن بن أخ الحسين شهيد فخّ ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن غمر ، وعبد الله

ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام والكثير غيرهم من العلويّين البالغ عددهم ثلاثمائة رجل مع جميع أهل بيت الحسين بن عليّ وأصحابه ؛ مضافاً إلى عليّ بن إبراهيم بن الحسن ، والحسن بن محمّد بن عبد الله المحض ، وعبد الله وعمر ولدَي إسحاق بن الحسن بن عليّ بن الحسين من العلويّين .

محمّد الديباج هو نفس محمّد بن عبد الله العثمانيّ ، أخو عبد الله المَحْض وإبراهيم الغِمْر والحسن المُثَلّث من جهة الأُمّ ، لأنّ فاطمة ابنة الحسين قد تزوّجت بعد الحسن المثنّى بعبد الله بن عمرو بن عثمان (وهو حفيد عثمان) وأنجبت منه محمّداً ، وزوّج محمّد ابنته رقيّة بإبراهيم قتيل باخَمْرَا . فتزوّج حفيد عثمان مع فاطمة ، وبما أنّ زيد ابن عمرو بن عثمان قد زُوّج في آخر الأمر من سُكَيْنَة ابنة الحسين عليه السلام ، فحفيدا عثمان ــ وهما أخوان ــ قد تزوّجا ابنتَي الحسين عليه السلام ، فاطمة وسُكَيْنَة .

حُسَيْن شهيد فخّ (فرسخ من مكّة) حَسَنْ المكفوف ، وهو الوحيد المتبقّي من حدثت واقعة فخّ في سنة ١٦٩ هجريّة ، أيّام موسى الهادي العبّاسيّ ذرّيّة الحسن المثلّث

زينب عليّ

ابنة عبد الله المَحْض المسموم على يد المهدي العبّاسيّ

توفّي يوم عيد الأضحى توفّي في سجن المنصور توفّي في سجن المنصور

عبد الله في سجن المنصور عليّ في ٢٦ محرّم ١٤٦ عبّاس في سنّال ٣٥ من عمره

في سنّ ال ٤٦ من عمره في سنّ ال ٤٥ من عمره في ٢٣ رمضان ١٤٥

طَلْحَة حَمْزَة

محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان

فاطمة ابنة الحسين

(حور العين) الوفاة ١١٧

الحسن المُثَنّى

خَوْلَة

ابنة منظور الفزاريّة

الإمام الحَسَن المُجتبى

عليه السلام

سليمان

أُمّه عاتكة

ابنة الحارث

آية الله العُظْمَى والحجّة العلّامة

السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ
أُستاذنا الأكرم رضوان الله عليه
محمّد الأصغر
المعروف بابن الخزاعيّة
أحمد أبو عبد الله
إبراهيم طَبَاطَبَا
إسماعيل الديباج الأكبر
كان موجوداً في سجن المنصور وواقعة فخّ
محمّد الديباج الأصغر
حبسه المنصور في أُسطوانة وقتله
عليّ توفّي في سجن المنصور
محمّد النفس الزكيّة
المقتول في أحجار الزيت بالمدينة
في أواسط شهر رمضان ١٤٥ ه في ال ٤٥ من العمر
موسى جَوْن
جلده المنصور ألف سوط
وفرّ إلى مكّة
حسن
مع أنّه كان لإبراهيم عشرة أبناء
إلّا أنّه لم يبق له أولاد
سوى من الحسن
إبراهيم قتيل باخَمْرَا
هو المقتول في الطفّ على ١٦ فرسخاً من الكوفة
في باخمرا في ذي الحجّة من سنة ١٤٥ ،
في ال ٤٨ من عمره

جاء في هذا الجدول ذكر البعض من الشجرة ممّن هو موضع الحاجة في التأريخ :

إدريس كان مع الحسين بن عليّ في واقعة فخّ ، ومن بعد ذلك ذهب إلى فاس وطنجة ، وأقام حكومة عظيمة ، وفي آخر الأمر استشهد بغالية مسمومة دسّها له هارون

يحيى كان مع الحسين بن عليّ في واقعة فخّ ، ومن بعد ذلك فرّ إلى الديلم ، وأقام حكومة ، واستشهد في آخر الأمر في سجن هارون الرشيد

عبد الله الأشتر جُلب رأسه إلى المنصور بعد استشهاده في الهند ، ونسل محمّد النفس الزكيّة من عبد الله الأشتر لا غير

زينب تزوّجها محمّد بن السفّاح في نفس الليلة التي قُتِل فيها أبوها محمّد ، ثمّ تزوّجها عيسى بن عليّ العبّاسيّ ، ومن بعده إبراهيم ابن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى

حَسَن المقتول في واقعة فخّ مع الحسين بن عليّ

الحسن المثلّث إبراهيم الغَمْر عبد الله المحض

زينب أُمّ كلثوم المقتول في سجن المنصور سنة ١٤٥ ه المقتول في سجن المنصور سنة ١٤٥ ه المقتول في سجن المنصور

في ال ٦٨ من عمره في ال ٦٩ من عمره سنة ١٤٥ ه

ولكنّه دسّ إليه مَن أخبره أنّ محمّداً قد ظهر فقتل ، فانصدع قلبه ، فمات .

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال مَن بقي منهم : إنّهم كانوا يسقَوْن ؛ فماتوا جميعاً إلّا سليمان وعبد الله ابْنَي داود بن حسن بن حسن ، وإسحاق وإسماعيل ابنَي إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان مَن قُتِل منهم إنّما قُتِل بعد خروج محمّد . (٢٨٠)

لمّا أُخذ المحبوسون من بني الحسن إلى المنصور في الربذة ، بعث إلى محمّد الديباج ، فلمّا أُدخل عليه ، قال : أخبرني عن الكذّابَينِ ما فعلا ؟! وأين هما ؟! قال : والله يا أمير المؤمنين ما لي بهما علم . قال : لتخبرنّي ، قال : قد قلتُ لك وإنّي والله لصادق . ولقد كنت أعلم علمهما قبل اليوم ! وأمّا اليوم فما لي والله بهما علم !

قال : جرّدوه ! فَجُرّد ، فضربه مائة سوط ، وعليه جامعة حديد في يده إلى عنقه . فلمّا فرغ من ضربه أُخرج فأُلبس قميصاً له قوهيّاً (٢٨١) على الضرب ، وأُتي به إلينا . (٢٨٢) فو الله ما قدروا على نزع القميص من لصوقه بالدم ، حتّى حلبوا عليه شاةً ، ثمّ انتُزع القميص ثمّ داووه .

فقال أبو جعفر : احدروا بهم إلى العراق ، فقدم بنا إلى الهاشميّة ، فحبسنا بها . فكان أوّل مَن مات في الحبس عبد الله بن حسن . فجاء السجّان فقال : ليخرج أقربكم به فليصلّ عليه . فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن بن عليّ عليهم السلام ، فصلّى عليه .

ثمّ مات محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان ، فطافوا في كور خراسان ، وجعلوا يحلفون بالله أنّ هذا رأس محمّد بن عبد الله ابن فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله يوهمون الناس أنّه رأس محمّد بن عبد الله بن حسن الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية . (٢٨٣)

إنّ مالك بن أنس استُفتي في الخروج مع محمّد ، وقيل له : إنّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر ، فقال : إِنّما بَايَعْتُمْ مُكْرَهِينَ ، وَلَيْسَ عَلَى كُلّ مُكْرَهٍ يَمِينٍ . فأسرع الناس إلى محمّد ، ولزم مالك بيته .

وحدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثني ابن أبي مليكة مولى عبد الله بن جعفر ، قال : أرسل محمّد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ــ وقد كان بلغ عمراً ــ فدعاه محمّد حين خرج إلى البيعة ، فقال : يا بن أخي ! أنت والله مقتول ، فكيف أُبايعك ؟! فارتدع الناس عنه قليلاً .

وكان بنو معاوية [٢٨٤] قد أسرعوا إلى محمّد . فأتته حمادة ابنة معاوية ، فقالت : يا عمّ ! إنّ إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنّك إن قلتَ هذه المقالة ثبّطتَ عنه الناس ، فيُقتل ابن خالي وإخوتي .

قال : فأبى الشيخ إلّا النهي عنه ، فيقال : إنّ حمّادة عدت عليه فقتلته ، فأراد محمّد الصلاة عليه ، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل ، فقال : تأمر بقتل أبي ، ثمّ تصلّي عليه ؟! فنحّاه الحرس ، وصلّى عليه محمّد . [٢٨٥]

قال المحدّث القمّيّ رحمه الله (ما تعريبه) : خرج محمّد النفس الزكيّة في سنة ١٤٥ ه في شهر رجب بالمدينة ، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان عند أحجار الزيت . وكان مكثه منذ ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً ، وسنّه خمس وأربعون سنة . (٢٨٦)

وكان خروج إبراهيم (أخي محمّد) غرّة شوّال ، وقيل : غرّة رمضان سنة ١٤٥ بالبصرة ، ثمّ سار إلى الكوفة بعد أن دعاه أهلها ، وقتل في باخمرى على ستّة عشر فرسخاً من الكوفة من أرض الطفّ . وكان مقتله في نهار يوم الاثنين سنة ١٤٥ من ذي الحجّة ، وهو ابن ثماني وأربعين سنة . وأمر المنصور أن يُحمل رأسه إلى أبيه عبد الله في سجن الهاشميّة . (٢٨٧)

نقل محمّد بن يعقوب الكلينيّ في «الكافي» ، في علامات ما يُفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل فيأمر الإمامة ، رواية مفصّلة ذكر فيها قصّة بني الحسن بإسهاب . وهذه الرواية في غاية الروعة وتضمّ مطالب تأريخيّة وتنبّه على مقام إمامة الصادق عليه السلام ، وتدلّ على عدم صحّة دعوى عبد الله المحض وابنَيْه محمّد وإبراهيم ، ومن المطالب التي تنطوي عليها ما يأتي :

١ ــ قالت خديجة ابنة عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام لعبد الله بن إبراهيم بن محمّد الجعفريّ : سمعتُ عمّي محمّد ابن عليّ صلوات الله عليه يقول : إنّما تَحْتَاجُ المَرْأَةُ فِي المَأْتَمِ إِلَى النّوْحِ لِتَسِيلَ دَمْعَتُهَا ، ولَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَقُولَ هُجْراً . فَإِذَا جَاءَ اللّيْلُ فَلَا تُؤْذِي المَلَائِكَةَ بِالنّوْحِ !

٢ ــ كان محمّد بن عبد الله المحض متوارياً عند اختفائه في جبلٍ في جُهَينة يُقال له : الأشقر ، وهو على ليلتين من المدينة .

٣ ــ عندما التقى عبد الله بالإمام الصادق عليه السلام ودعاه إلى بيعة ابنه محمّد وأصرّ على ذلك ، امتنع وقال له :

وَاللَهِ إنّكَ لَتَعْلَمُ أَنّهُ الأَحْوَلُ الأَكْشَفُ الأَخْضَرُ المَقْتُولُ بِسُدّةِ أَشْجَعَ عِنْدَ بَطْنِ مَسِيلِهَا . (٢٨٨)

ثمّ قال : ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا : مَنّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالاً ! فَوَاللَهِ إنّي لَأَرَاهُ أَشْأَمَ سَلْحَةٍ (٢٨٩) أَخْرَجَتْهَا أَصْلَابُ الرّجَالِ إِلَى أَرْحَامِ النّسَاءِ .

وقال عليه السلام لعبد الله : أُخْبِرُكَ أَنّي سَمِعْتُ عَمّكَ وَهُوَ خَالُكَ يذْكُرُ : أَنّكَ وَبَنِي أَبِيكَ سَتُقْتَلُونَ . (٢٩٠)

٤ ــ لمّا لم ينفع كلام الإمام عليه السلام ، قال : أَمَا وَاللَهِ إِنْ كُنْتُ حَرِيصاً وَلَكِنّي غُلِبْتُ ، وَلَيْسَ لِلْقَضَاءِ مَدْفَعٌ . ثُمّ قَامَ وَأَخَذَ إِحْدَى نَعْلَيْهِ فَأَدْخَلَهَا رِجْلَهُ وَالأُخْرَى فِي يَدِهِ

وَعَامّةُ رِدَائِهِ يَجُرّهُ فِي الأَرْضِ ، ثُمّ دَخَلَ بَيْتَهُ فَحُمّ عِشْرِينَ لَيْلَةً لَمْ يَزِلْ يَبْكِي فِيهِ اللّيْلِ وَالنّهَارَ حَتّى خِفْنَا عَلَيْهِ .

٥ ــ قَتَل أَبو جعفر الدوانيقيّ جميع بني الحسن الذين كانوا محبوسين إلّا حسن بن جعفر ، وطباطبا ، وعليّ بن إبراهيم ، وسليمان بن داود ، وداود ابن حسن ، وعبد الله بن داود .

٦ ــ كان عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين من ثقات محمّد . قال له : اغلظ على جعفر بن محمّد لأخذ البيعة منه ! لهذا استدعى الإمام ، وأراد أن يأخذ منه البيعة بالعنف . فتحدّث الإمام قليلاً . فقال عيسى : لو تكلّمتَ لكسرتُ فمك !

فقال عليه السلام لمحمّد : أَمَا وَاللَهِ ! يَا أَكْشَفُ ، يَا أَزْرَقُ ! لَكَأَنّي بِكَ تَطْلُبُ لِنَفْسِكَ جُحْراً تَدْخُلُ فِيهِ ! وَمَا أَنْتَ فِي المَذْكُورِينَ عِنْدَ اللّقَاءِ ! [٢٩١] وَإِنّي لَأَظُنّكَ إِذَا صُفّقَ [٢٩٢] خَلْفَكَ ، طِرْتَ مِثْلَ الهِيقِ النّافِرِ . [٢٩٣]

قام إليه السراقيّ بن سلخ الحوت ، فدفع في ظهره حتّى أُدخِل السجن .

٧ ــ أُتي بإسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ليبايع . وهو شيخ كبير ضعيف ، قد ذهبت إحدى عينيه . فلم يبايع وقرأ عليهم رواية عجيبة في قتله على أيديهم . ثمّ أُعيد إلى منزله . وما أمسى المساء حتّى دخل عليه بنو أخيه بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر الذين كانوا قد أسرعوا إلى بيعة محمّد فتوطّؤوه حتىّ قتلوه . وبعث محمّد بن عبد الله إلى جعفر الصادق عليه السلام فخلّى سبيله .

٨ ــ قدم جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى وحاصر المدينة ، وقَتَل مُحمّدٌ حميدَ بن قحطبة وانهزم أصحابه . [٢٩٤]

تحدّث الفقيه والرجاليّ العظيم الشيخ عبد الله المامقانيّ عن محمّد ابن عبد الله بن الحسن مفصّلاً في أربع صفحات رحليّة ، وقال : ويبطل ما ذهب إليه بعض المتأخّرين من أصحابنا المحدّثين من أنّ خروج محمّد وسائر بني الحسن كان عن رضىً باطنيّ من الصادق عليه السلام كما رضى باطناً بخروج عمّه زيد وأظهر عدم الرضا للتقيّة . وأقول : هذا في زيدٍ حقّ دلّ عليه الإجماع من أصحابنا والأخبار المستفيضة التي كادت تبلغ التواتر كما ذكرنا جملة منها في ترجمته .

وأمّا محمّد وسائر بني الحسن وأفعالهم الشنيعة فإنّها تدلّنا على خلاف ما ذهب وعدم رضا الصادق عليه السلام . (إلى أن قال) : وقد رام السيّد الجليل ابن طاووس في كتاب «الإقبال» [٢٩٥] إصلاح حال بني الحسن وحمل ما يدلّ على مخالفتهم للأئمّة عليهم السلام على التقيّة لئلّا ينسب إظهارهم لإنكار المنكر إليهم عليهم السلام مستدلّاً على ذلك بما رواه مسنداً عنه من أنّه بكى على بني عمّه المحمولين إلى العراق حتّى علا صوته ، وقال : حدّثني أبي عن فاطمة ابنة الحسين أنّها قالت : سمعتُ أبي صلوات الله عليه يقول :

يُقْتَلُ مِنْكِ ــ أَوْ يُصَابُ مِنْكِ ــ نَفَرٌ بِشَطِّ الفُرَاتِ مَا سَبَقَهُمُ الأَوّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمْ الآخِرُونَ . وَإِنّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ وُلْدِهَا غَيْرُهُمْ . (٢٩٦)

قال السيّد ابن طاووس رحمه الله : بكاء الصادق عليه السلام وهذه الروايات تدلّ على حقّانيّتهم في خروجهم غير المستند إلى الإمام تقيّةً .

ولكن المامقانيّ يقول : إنّ رقّته (الإمام الصادق عليه السلام) عليهم للرحم القريبة بينهم وبينه ، وليس فيها ما يدلّ على حقّانيّتهم . (٢٩٧)

نقل الكلينيّ في «الكافي» حوار الإمام الباقر عليه السلام مع أخيه زيد بالتفصيل ، وكيف نصحه الإمام ودلّه على أنّ الوقت ليس وقت خروج ، وأنّ الخروج ينبغي أن يكون بأمر الإمام ، وفي وقته المناسب . وهذه الرواية مفصّلة جدّاً . وقال الإمام عليه السلام في أوّلها :

إنّ الطّاعةَ مَفْرُوضَةٌ مِنَ اللَهِ عَزّ وَجَلّ ، وَسُنّةٌ أَمْضَاهَا فِي الأَوّلِينَ ، وَكَذَلِكَ يُجْرِيهَا فِي الآخِرِينَ . والطّاعَةُ لِوَاحِدٍ مِنّا وَالمَوَدّةُ لِلجَمِيعِ . وَأَمْرُ اللَهِ يَجْرِي لِأَوْلِيَائِهِ بِحُكْمٍ مَوْصُولٍ ، وَقَضَاءٍ مَفْصُولٍ ، وَحَتْمٍ مَقْضِيّ ، وَقَدَرٍ مَقْدُورٍ ، وَأَجَلٍ مُسَمّى لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ . «فَلَا يَسْتَخِفّنّكَ الّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» ، (٢٩٨) «إِنّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَهِ شَيْئًا» ، (٢٩٩) فَلَا تَعْجَلْ ! فَإِنّ اللَهَ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ العِبَادِ ، وَلَا تَسْبِقَنّ اللَهَ فَتُعْجِزَكَ البَلِيّةُ ، فَتَصْرَعَكَ !

قَالَ : فَغَضِبَ زَيْدٌ عِنْدَ ذَلِكَ ، ثُمّ قَالَ : لَيْسَ الإِمَامُ مِنّا مَنْ جَلَسَ بَيْتَهُ ، وَأَرْخَى سَتْرَهُ ، وَثَبّطَ عَنِ الجِهَادِ ، وَلَكِنّ الإِمَامَ مِنّا مَنْ مَنَعَ حَوْزَتَهُ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَهِ حَقّ جِهَادِهِ ، وَدَفَعَ عَنْ رَعِيّتِهِ ، وَذَبّ عَنْ حَرِيمِهِ .

وبعد أن أجابه الإمام عليه السلام مفصّلاً ، قال في آخر كلامه :

أَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ إِمَامٍ ضَلّ عَنْ وَقْتِهِ ، فَكَانَ التّابِعُ فِيهِ أَعْلَمَ مِنَ المَتْبُوعِ أَتُرِيدُ أَخِي أَنْ تُحْيِيَ مِلّةَ قَوْمٍ قَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَهِ وَعَصَوْا رَسُولَهُ وَاتّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَهِ ، وَادّعَوُا الخِلَافَةَ بِلَا بُرْهَانٍ مِنَ اللَهِ ، وَلَا عَهْدٍ مِنْ رَسُولِهِ ؟ !

أُعِيذُكَ بِاللَهِ يَا أَخِي أَنْ تَكُونَ غَداً المَصْلُوبَ بِالكُنَاسَةِ ، ثُمّ ارْفَضّتْ (٣٠٠) عَيْنَاهُ وَسَالَتْ دُمُوعُهُ . ثُمّ قَالَ : اللَهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ هَتَكَ سِتْرَنَا وَجَحَدَنَا حَقّنَا ، وَأَفْشَى سِرّنَا ، وَنَسَبَنَا إِلَى غَيْرِ جَدّنَا ، وَقَالَ فِينَا مَا لَمْ نَقُلْهُ فِي أَنْفُسِنَا ! (٣٠١)

وكذلك ذكر الكلينيّ رسالة يحيى بن عبد الله المحض ــ الذي شهد واقعة فخّ ، ثمّ فرّ إلى الديلم ، وأقام فيها حكومته ، وآل أمره إلى الاستشهاد في حبس هارون الرشيد ــ إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام :

أَمّا بَعْدُ ! فَإِنّي أُوصِي نَفْسي بِتَقْوَى اللَهِ وَبِهَا أُوصِيكَ ! فَإِنّهَا وَصِيّةُ اللَهِ فِي الأَوّلِينَ وَوَصِيّتُهُ فِي الآخِرِينَ .

خَبّرَنِي مَنْ وَرَدَ عَلَيّ مِنْ أَعْوَانِ اللَهِ عَلَى دِينِهِ وَنَشْرِ طَاعَتِهِ بِمَا كَانَ مِنْ تَحَنّثِكَ مَعَ خِذْلَانِكَ ! وَقَدْ شَاوَرْتُ فِي الدّعْوَةَ لِلرّضَا مِنْ آلِ مُحَمّد صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدِ احْتَجَبْتَهَا وَاحْتَجَبَهَا أَبُوكَ مِنْ قَبْلِكَ ! وَقَدِيماً ادّعَيْتُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ ، وَبَسَطْتُمْ آمَالَكُمْ إِلَى مَا لَمْ يُعْطِكُمُ اللَهُ فَاسْتَهْوَيْتُمْ وَأَضْلَلْتُمْ ، وَأَنَا مُحَذّرُكَ مَا حَذّرَكَ اللَهُ مِنْ نَفْسِهِ !

فكتب إليه أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام جواباً وافياً ، منه : وَلَمْ يَدَعْ حِرْصُ الدّنْيَا وَمَطَالِبِهَا لِأَهْلِهَا مَطْلَباً لِآخِرَتِهِمْ حَتّى يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ مَطْلَبَ آخِرَتِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ .

أي : أضاعوا جميع الرغبات الأُخرويّة والمعنويّة في طريق الوصول إلى الدنيا وبلوغ الآراء والأفكار الوهميّة والشيطانيّة . ورفعوا عَلَمَ الدّين في سبيل الدّين وباسم الدّين ، ولكنّ اهتمامهم كلّه مُنْصَبّ على الوصول إلى الدنيا والرئاسة والإمامة والحكومة فيها .

أجل ، كتب الإمام عليه السلام في آخر رسالته :

إِنّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذّبَ وَتَوَلّى ! (٣٠٢)

تحدّث المرحوم آية الله المامقانيّ عن زيد بن عليّ بن الحسين وذكر مطالب منها أنّ الشهيد رحمه الله صرّح في قواعده في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنّ خروجه كان بإذن الإمام عليه السلام . ومن كلماته : إِنّهُ لَمْ يَكْرَهْ قَوْمٌ قَطّ حَرّ السّيُوفِ إِلّا ذَلّوا . ولمّا بلغ هشام بن عبد الملك هذا الكلام قال : أَلَسْتُمْ تَزْعَمُونَ أَنّ أَهْلَ هَذَا البَيْتِ قَدْ بَادُوا ؟ لَعَمْرِي مَا انْقَرَضُوا مَنْ مِثْلُ هَذَا خَلَفُهُمْ .

عَن الكشّيّ بإسناده ، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : هَذَا سَيّدُ أَهْلِ بَيْتِي وَالطّالِبُ بِأَوْتَارِهِمْ !

وعنه أيضاً في ترجمة الحِميريّ ، عن فُضَيْل الرّسّان قال : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السّلَامُ بَعْدَمَا قُتِلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ فَأُدْخِلْتُ بَيْتاً جَوْفَ بَيْتٍ .

فَقَالَ لِي : يَا فُضَيْلُ ! قُتِلَ عَمّي زَيْدٌ ؟! قُلْتُ : نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ !

قَالَ : رَحِمَهُ اللَهُ ، أَمَا إِنّهُ كَانَ مُؤْمِناً وَكَانَ عَارِفاً وَكَانَ عَالِماً وَكَانَ صَدُوقاً . أَمَا إِنّهُ لَوْ ظَهَرَ لَوَفَى . أَمَا إِنّهُ لَوْ مَلَكَ لَعَرَفَ كَيْفَ يَضَعُهَا ؟!

وعن الصدوق في «عيون الرضا» ، عن محمّد بن بريد النحويّ ، عن أبي عَبْدون ، عن أبيه قال :

لمّا حُمِلَ زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام إلى المأمون ، وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور ولد بني العبّاس ، ووهب المأمون جُرمه لأخيه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، وقال له : يَا أَبَا الحَسَن ! لئن خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج من قبله زيد بن عليّ عليه السلام فقُتل . ولولا مكانك لقتلتُهُ ، فليس ما أتاه بصغير !

فقال له الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين ! لا تَقِسْ أخي زيد إلى زيد بن عليّ ! فإنّه كان من علماء آل محمّد ، غضب للّه فجاهد أعداءَه حتّى قُتِلَ في سبيله .

ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد عليه السلام يقول : رَحِمَ اللَهُ عَمّي زَيْداً ، إنّهُ دَعَا إلَى الرّضَا مِنْ آلِ مُحَمّدٍ ، ولَوْ ظَهَرَ لَوَفَى بِمَا دَعَا إلَيْهِ ، ولَقَدِ اسْتَشَارَنِي فِي خُروجِهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَمّ ! إنْ رَضِيتَ أَنْ تَكُونَ المَقْتُولَ المَصْلُوبَ بِالكُنَاسَةِ فَشَأْنُكَ !

فَلَمّا ولّى ، قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمّدٍ عَلَيْهِمَا السّلَامُ : وَيلٌ لِمَنْ سَمِعَ وَاعِيَتَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ !

فقال المأمون : يَا أَبَا الحَسَنِ ! أَلَيْسَ قَدْ جَاءَ فِيمَنِ ادّعَى الإمَامَةَ بِغَيْرِ حَقّهَا مَا جَاءَ ؟!

فقال الرضا عليه السلام : إنّ زَيْدَ بْنَ عَلِيّ لَمْ يَدّعِ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقّ ! وَإنّهُ كَانَ أَتْقَى لِلّهِ مِنْ ذَاكَ . إنّهُ قَالَ : أَدْعُوكُمْ إلَى الرّضَا مِنْ آلِ مُحَمّدٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَإنّمَا جَاءَ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَدّعِي : أَنّ اللَهَ نَصّ عَلَيْهِ ، ثُمّ يَدْعُو إلَى غَيْرِ دِينِ اللَهِ وَيُضِلّ عَنْ سَبِيلِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ عَلِيّ وَاللَهِ مِمّنْ خُوطِبَ بِهَذِهِ الآيةِ : «وَجَهِدُوا فِى اللَهِ حَقّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَبكُمْ» . (٣٠٣)

وفي «العيون» أيضاً : إنّ زيد بن عليّ قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر ومكث الأربعاء والخميس ، وقُتِلَ يوم الجمعة سنة ١٢١ ه .

وروى فيه أيضاً بإسناده عن الفضيل بن يسار (٣٠٤) قال : انتهيتُ إلى زيد ابن عليّ عليه السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة فسمعته يقول : مَنْ يُعِينُنِي مِنْكُمْ عَلَى قِتَالِ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشّامِ ؟! فَوَالّذِي بَعَثَ مُحَمّداً صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالحَقّ بَشِيراً وَنَذِيراً لَا يُعِينُنِي عَلَى قِتَالِهِمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلّا أَخَذْتُ بِيَدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَدْخَلْتُهُ الجَنّةَ بِإذْنِ اللَهِ تَعَالَى .

فلمّا قُتِل ، اكتريتُ راحلةً وتوجّهتُ نحو المدينة فدخلتُ على أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، فقلتُ في نفسي : والله لا أخبرته بقتل زيد بن عليّ فيجزع عليه . فلمّا دخلتُ عليه ، قال : مَا فَعَلَ عَمّي زَيْدٌ ؟! فخنقتني العَبرة . فقال : قَتَلُوهُ ؟! قلتُ : إي وَاللَهِ قَتَلُوهُ ! قال : فَصَلَبُوهُ ؟! قلتُ : إي وَاللَهِ صَلَبُوهُ ! فَأَقْبَلَ يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَنْحَدِرُ عَلَى دِيبَاجَتَيْ (٣٠٥) خَدّهِ كَأَنّهَا الجُمَانُ .

ثمّ قال : يا فضيل ! شَهِدْتَ مَعَ عَمّي زَيْدٍ قِتَالَ أَهْلِ الشّامِ ؟! قلتُ : نعم !

قال : كَمْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ ؟! قُلْتُ : سِتّةً .

قال : فَلَعَلّكَ شَاكّ فِي دِمَائِهِمْ ؟!

قلتُ : لَوْ كُنْتُ شَاكّاً فِي دِمَائِهِمْ مَا قَتَلْتُهُمْ !

قال الفضيل : فسمعته يقول : أَشْرَكَنِي اللَهُ فِي تِلْكَ الدّمَاءِ . مَضَى عَمّي زَيْدٍ وَأَصْحَابُهُ شُهَدَاءَ مِثْلَ مَا مَضَى عَلَيْهِ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ وَأَصْحَابُهُ . (٣٠٦ـ٣٠٧ـ٣٠٨ـ٣٠٩)

ومنها ما في بعض المراسيل من أنّه لمّا أقبلت الشيعة إليه وبايعته ، خرج سنة إحدى وعشرين ومائة . فلمّا صفّقت الراية على رأسه قال : الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَكْمَلَ لِي دِينَهُ . إنّي كُنْتُ أَسْتَحيي مِنْ رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ أَرِدَ عَلَيْهِ الحَوْضَ غَداً وَلَمْ آمُرْ فِي أُمّتِهِ بِمَعْرُوفٍ وَلَا أَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ .

وفي رواية عمير بن المتوكّل بن هارون البجليّ ، عن أبيه المتوكّل بن هارون أنّه لقى يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان ، وقال له يحيى : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدّثُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ عَلَيْهِمَا السّلَامُ ، قَالَ : وَضَعَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ عَلَى صُلْبِي فَقَالَ : يَا حُسَيْنُ ! يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ يُقْتَلُ شَهِيداً ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَخَطى هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِقَابَ النّاسِ وَيَدْخُلُ الجَنّةَ ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ كَمَا وَصَفَنِي رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ .

قَالَ : رَحِمَ اللَهُ أَبِي زَيْداً ، كَانَ وَاللَهِ أَحَدَ المُتَعَبّدِينَ ، قَائِمٌ لَيْلُهُ ، صَائِمٌ نَهَارُهُ ، مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَهِ عَزّ وَجَلّ حَقّ جِهَادِهِ .

فَقُلْتُ : يَابْنَ رَسُولِ اللَهِ ! هَكَذَا يَكُونَ الإِمَامُ بِهَذِهِ الصّفَةِ ؟ !

فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَهِ ! إنّ أَبِي لَمْ يَكُنْ بِإِمَامٍ وَلَكِنْ مِنَ السّادَةِ الكِرَامِ وَزُهّادِهِمْ وَكَانَ مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَهِ .

قُلْتُ : يَابْنَ رَسُولِ اللَهِ ! إنّ أَبَاكَ قَدِ ادّعَى الإِمَامَةَ وَخَرَجَ مُجَاهِداً وَقَدْ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فِيمَنْ ادّعَى الإِمَامَةَ كَاذِباً .

فَقَالَ : مَهْ يَا عَبْدَ اللَهِ ! إنّ أَبِي كَانَ أَعْقَلَ مِنْ أَنْ يَدّعِي مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقّ . وَإِنّمَا قَالَ : أَدْعُوكُمْ إِلَى الرّضَا مِنْ آلِ مُحَمّدٍ . عَنَى بِذَلِكَ عَمّي جَعْفَراً .

قُلْتُ : فَهُوَ اليَوْمَ صَاحِبُ الأَمْرِ ؟!

قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَفْقَهُ بَنِي هَاشِمٍ . ثُمّ قَالَ : يَا عَبْدَ اللَهِ ! إنّي أُخْبِرُكَ عَنْ أَبِي ــ إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ مِنْ زُهْدِ أَبِيهِ وَعِبَادَتِهِ ! (٣١٠)

ذكرنا إلى هنا مجملاً لبعض الروايات الواردة في «تنقيح المقال» . وذلك بحث حامَ حول زيد الشهيد .

وننقل فيما يأتي مجملاً لبحث السيّد ابن طاووس في كتاب «الإقبال» ، في أعمال محرّم الحرام ، أعمال عاشوراء ، حول بني الحسن . وفيه استنتج أنّهم جميعاً كانوا يعترفون بإمامة الصادق عليه السلام . ثمّ نتحدّث عن هذا الموضوع بإيجاز .

تحدّث السيّد ابن طاووس في هذا المجال مفصّلاً . وأورد في بداية حديثه ــ بأسناد متعدّدة ــ رسالة الإمام الصادق عليه السلام التي كان قد كتبها إلى بني الحسن عند سوقهم من المدينة إلى الربذة والكوفة . وفيها :

بِسمِ اللَهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ . إلَى الخَلَفِ الصّالِحِ وَالذّرّيّةِ الطّيّبَةِ مِنْ وَلْدِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمّهِ .

أَمّا بَعْدُ ؛ فَلَئِنْ كُنْتَ تَفَرّدْتَ أَنْتَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ مِمّنْ حُمِلَ مَعَكَ بِمَا أَصَابَكُمْ ، مَا انْفَرَدْتَ بِالحُزْنِ وَالغِبْطَةِ وَالكَآبَةِ وَأَلِيمِ وَجَعِ القَلْبِ دُونِي ! فَلَقَدْ نَالَنِي مِنْ ذَلِكَ مِنَ الجَزَعِ وَالقَلَقِ وَحَرّ المُصِيبَةِ مِثْلُ مَا نَالَكَ ، وَلَكِنْ رَجَعْتُ إلَى مَا أَمَرَ اللَهُ جَلّ جَلَالُهُ بِهِ المُتّقِينَ مِنَ الصّبْرِ وَحُسْنِ العَزَاءِ حِينَ يَقُولُ لِنَبِيّهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبّكَ فَإِنّكَ بِأَعْيُنِنَا» ! (٣١١)

ويذكر الإمام الصادق عليه السلام أربع عشرة آيةً قرآنيّة ــ مع هذه الآية ــ في فضيلة الصبر ، ويأتي بشاهد ومثال ، ثمّ يقول :

وَاعْلَمْ أَيْ عَمّ وَابْنَ عَمّ ! أَنّ اللَهَ جَلّ جَلَالُهُ لَمْ يُبَالِ بِضُرّ الدّنْيَا لِوَلِيّهِ سَاعَةً قَطّ وَلَا شَيْءَ أَحَبّ إلَيْهِ مِنَ الضّرّ وَالجُهْدِ وَالأَذَاءِ مَعَ الصّبْرِ . وَأَنّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُبَالِ بِنَعِيمِ الدّنْيَا لِعَدُوّهِ سَاعَةً قَطّ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يَقْتُلُونَ أَوْلِيَاءَهُ وَيُخِيفُونَهُمْ ، (٣١٢) وَيَمْنَعُونَهُمْ وَأَعْدَاؤُهُ آمِنُونَ مُطمَئِنّونَ عَالُونَ ظَاهِرُونَ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قُتِلَ زَكَرِيّا وَاحْتُجِبَ يَحْيَى ظُلْماً وَعُدْوَاناً فِي بَغِيّ مِنَ البَغَايَا .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قُتِلَ جَدّكَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمّا قَامَ بِأَمْرِ اللَهِ جَلّ وَعَزّ ظُلْماً ، وَعَمّكَ الحُسَيْنُ ابْنُ فَاطِمَةَ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِمَا اضْطِهَاداً وَعُدْوَاناً .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَالَ اللَهُ عَزّ وَجَلّ فِي كِتَابِهِ : «وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَ حِدَةً لّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مّن فِضّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» . (٣١٣)

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ : «أَيَحْسَبُونَ أَنّمَا نُمِدّهُم بِهِ مِن مّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَ تِ بَل لّا يَشْعُرُونَ» . (٣١٤)

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ المُؤْمِنُ لَجَعَلْتُ لِلكَافِرِ عِصَابَةً مِنْ حَدِيدٍ لَا يُصْدَعُ رَأْسُهُ أَبَداً .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : إنّ الدّنْيَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شُرْبَةً مِنْ مَاءٍ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : لَوْ أَنّ مُؤْمِناً عَلَى قُلّةِ جَبَلٍ لَبَعَثَ اللَهُ لَهُ كَافِراً أَوْ مُنَافِقاً يُؤْذِيهِ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : إنّهُ إذَا أَحَبّ اللَهُ قَوْماً أَوْ أَحَبّ عَبْداً صَبّ عَلَيْهِ البَلَاءَ صَبّاً ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْ غَمّ إلّا وَقَعَ فِي غَمّ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : مَا مِنْ جُرْعَتَيْنِ أَحَبّ إِلَى اللَهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ يَجْرَعَهُمَا عَبْدُهُ المُؤْمِنُ فِي الدّنْيَا مِنْ جُرْعَةِ كَظْمِ غَيْظٍ ، وَجُرْعَةِ حُزْنٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ صَبَرَ عَلَيْهَا بِحُسْنِ عَزَاءٍ وَاحْتِسَابٍ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدْعُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ بِطُولِ العُمْرِ وَصِحَةِ البَدَنِ وَكَثْرَةِ المَالِ وَالوَلَدِ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا بَلَغَنَا أَنّ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ إِذَا خَصّ رَجُلاً بِالتّرحّمِ عَلَيهِ وَالاسْتِغْفَارِ اسْتُشْهِدَ . فَعَلَيْكُمْ يَا عَمّ وَابْنَ عَمّ وَبَنِي عُمُومَتِي وَإِخْوَتِي بِالصّبْرِ وَالرّضَا وَالتّسْلِيمِ وَالتّفْوِيضِ إِلَى اللَهِ جَلّ وَعَزّ وَالرّضَا وَالصّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ وَالتّمَسّكِ بِطَاعَتِهِ وَالنّزُولِ عِنْدَ أَمْرِهِ !

أَفْرَغَ اللَهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمُ الصّبْرَ ، وَخَتَمَ لَنَا وَلَكُمْ بِالأَجْرِ وَالسّعَادَةِ ، وَأَنْقَذَكُمْ وَإِيّانَا مِنْ كُلّ هَلَكَةٍ بِحَوْلِهِ وَقُوّتِهِ إِنّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، وَصَلّى اللَهُ عَلَى صَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمّدٍ النّبِيّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . (٣١٥)

ثمّ قال السيّد عليّ بن طاووس : وهذا آخر التعزية بلفظها من أصل صحيح بخطّ محمّد بن عليّ بن مَهْجَناب البزّاز . تأريخه في صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وقد اشتملت هذه التعزية على وصف عبد الله بن الحسن بالعبد الصالح . وهذا يدلّ على أنّ هذه الجماعة المحمولين كانوا عند مولانا الصادق عليه السلام معذورين وممدوحين ومظلومين وبحبّه عارفين .

ثمّ قال بعد ذلك : وقد يوجد في الكتب أنّهم كانوا للصادقين عليهما السلام مفارقين وذلك محتملٌ للتقيّة لئلّا يُنسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمّة الطاهرين .

وذكر خبراً عن خلّاد بن عُمير الكنديّ (مولى آل حُجر بن عديّ) دليلاً على هذه الموضوع . قال خلّاد : دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال : هل لكم عِلمٌ بآل الحسن الذين خرج بهم ممّا قبلنا ؟! وكان قد اتّصل بنا عنهم خبر ، فلم نحبّ أن نبدأه به ، فقلنا : نَرْجُوا أن يُعافِيهُمُ اللَهُ : فقال : وَأَيْنَ هُمْ مِنَ العَافِيَةِ ؟! (أي : كم هم بعيدون عن بلوغ العافية !) .

ثُمّ بَكَى حَتّى عَلَا صَوْتُهُ وَبَكَينَا .

ثمّ قال : حدّثني أبي عن فاطمة ابنة الحسين عليه السلام ، قالت : حدّثني أبي صلوات الله عليه يقول : يُقْتَلُ مِنْكِ ــ أَوْ يُصَابُ مِنْكِ ــ نَفَرٌ بِشَطّ الفُرَاتِ مَا سَبَقَهُمُ الأَوّلُونَ ، وَلَا يُدْرِكُهُمُ الآخِرُونَ ! وَإِنّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ وُلْدِهَا غَيْرُهُمْ .

وأيضاً ما رواه أبو الفرج الإصفهانيّ عن يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي سلم من الذين تخلّفوا في الحبس من بني حَسَن ، فقال : حدّثنا عبد الله ابن فاطمة ، عن أبيها ، عن

جدّتها فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت : قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله : يُدْفَنُ مِنْ وُلْدِي سَبْعَةٌ بِشَطّ الفُرَاتِ لَمْ يَسْبِقْهُمُ الأَوّلُونَ وَلَمْ يُدْرِكْهُمُ الآخِرُونَ .

(يقول يحيى بن راوي الرواية عبد الله بن فاطمة ، ابن حسن بن حسن ــ عبد الله المحض ــ : لمّا قرأ عبد الله هذه الرواية) قلتُ له : نَحْنُ ثَمَانِيَةٌ .

قال : هَكَذَا سَمِعْتُ .

فلمّا فتحوا الباب ، وجدوهم موتى . وأصابوني وبي رَمَقٌ ، وسقوني ماءً ، وأخرجوني ، فعِشْتُ .

ذكر ابن طاووس هنا عدداً من الروايات مفادها أنّ بني الحسن لم يقولوا بمهدويّة محمّد النفس الزكيّة ، بل كانوا يرون أنّ خروجه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٣١٦)

يقول الحقير : يتبلور البحث حول الخارجين بالسيف من العلويّين في خمسة أقسام :

الأوّل : سجناء بني الحسن الذين سجنهم المنصور ، كعبد الله المحض ، وإبراهيم الغمر ، والحسن المثلّث ، وغيرهم .

الثاني : محمّد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن .

الثالث : الحسين بن عليّ بن الحسن المثلّث : شهيد واقعة فَخّ .

الرابع : زيد بن موسى بن جعفر ، أخو الإمام الرضا عليه السلام .

الخامس : زيد بن عليّ بن الحسين الشهيد المصلوب في الكوفة .

أمّا أولاد الحسن المثنّى : عبد الله ، وإبراهيم ، والحسن المثلّث ، وأولاد الحسن وسائر المحبوسين في سجن الدوانيقيّ ، فلم تصلنا الأخبار في ذمّهم ، بل وصلتنا أخبار تمدحهم وتثني عليهم . وتسرد لنا شكوى الإمام الصادق عليه السلام من أنصار المدينة إذ بايعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله على أن ينصروا ولده ، ويذبّوا بني الحسن . وهذا كلّه ، مع بكاء الإمام عليه السلام وعزائه عليهم ، يدلّ على ظُلامتهم . (٣١٧)

إنّ أُولئك لم يخرجوا بالسيف ، ولم يفعلوا شيئاً بغير إذن الإمام . ولقد سجنهم المنصور لأنّهم لم يدلّوا على محمّد وإبراهيم ، ثمّ قتلهم في آخر المطاف .

ومن الطبيعيّ أنّهم ــ جملةً ــ لم يطيعوا الإمام الصادق عليه السلام ولم ينقادوا إليه ، ولم يروه إماماً مفترض الطاعة ، بَيدَ أنّ سجنهم كان من وحي الظلامة ، والدفاع عن المظلوم ، والتغلّب على الظالم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . إنّهم كانوا كفوئين متعبّدين متهجّدين قارئين للقرآن حافظين له مستقيمين صامدين ، وكانوا يرون أنفسهم أُولي دراية وفهم وإدراك بصورة مستقلّة ، ويعتقدون أنّ لهم شأناً ومكانةً ومنزلةً . وفي الوقت نفسه كانوا يقرّون للإمام الصادق عليه السلام بالفضل والعلم والبصيرة . (٣١٨)

وأمّا محمّد الملقّب بالنفس الزكيّة ، فالأخبار تنصّ على مخالفته للإمام الصادق عليه السلام كما يُستشفّ ذلك من طلبه البيعة ، وسجنه الإمام بإشارة من عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين ، وقتل إسماعيل بن عبد الله ابن جعفر بسبب عدم البيعة ، وكلام الإمام الصادق عليه السلام فيه :

إنّهُ الأَحْوَلُ الأَكْشَفُ الأَخْضَرُ المَقْتُولُ بِسُدّةِ أَشْجَعَ عِنْدَ بَطْنِ مَسِيلِهَا .

وكلامه الآخر أيضاً : فَوَ اللَهِ إنّي لَأَرَاهُ أَشَأَمَ سَلْحَةٍ أَخْرَجَتْهَا أَصْلَابُ الرّجَالِ إلَى أَرْحَامِ النّسَاءِ .

وخروجه العقيم الذي سبّب إراقة دماء المسلمين على أساس توهّم المهدويّة فيه . كلّ ذلك يدلّ على مثلبته .

وأمّا أخوه إبراهيم ، فقد خرج أيضاً ثأراً لأخيه وصدّاً للظلم . ولم يرد قَدْحٌ فيه . ومن الواضح أنّه لم يستطع أن يدّعي المهدويّة بعد قتل أخيه محمّد .

وأمّا ما قاله السيّد ابن طاووس : إنّ خروجهم كان بعلم الإمام ، وإنّهم لم ينسبوه إليه تقيّةً ، فلا ينسجم مع الأخبار الكثيرة والشواهد التأريخيّة التي لا تُحصى . ولا يمكن قبوله أبداً . ويمكن أن نعدّ جرأة ذينك الأخوَين على الخروج ضدّ العبّاسيّين ناتجة من دعوة أبيهما عبد الله . ذلك أنّه كان مصرّاً على رأيه في هذا المجال .

وأمّا ما جاء في الحديث : لَمْ يَسْبِقْهُمُ الأَوّلُونَ وَلَمْ يُدْرِكْهُمُ الآخِرُونَ ، فهو يرتبط بالمقتولين في شطّ الفرات وسجن المنصور . أي : السجناء من بني الحسن ، لا محمّد وإبراهيم ، لأنّ هذين لم يُسْجَنَا ، بل خرجا بالسيف وقُتِلا . (٣١٩)

وأمّا الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب : شهيد فخّ ، فالأخبار الواردة تمدحه وتثني عليه . وهو لم يخرج من أجل أن يترأس أو يتحكّم ، بل خرج من أجل أن يصدّ الظلم ، إذ إنّ العُمَريّ (من أحفاد عمر بن الخطّاب) قد ضيّق الخناق على العلويّين في المدينة ، حتّى قال : إذا لم تأتوا بالعلويّ الفلانيّ الذي غاب ولم يعرّف نفسه كلّ يوم فسأقتلكم !

وحينئذٍ لم يجد العلويّون بُدّاً من الخروج بعدما ضُيّق عليهم . فتحرّكوا قاصدين مكّة ، ولم يكن لهم شغل بأحد ، فباغتهم جيش موسى الهاديّ (حفيد المنصور الدوانيقيّ) وأفناهم عن آخرهم . وحدثت هذه الواقعة في أرض فخّ بين التنعيم ومكّة ، أي : على فرسخ من مكّة سنة ١٦٩ ه .

وأمّا زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام ، فحسبنا ما ذكره الشيخ عبد الله المامقانيّ في «تنقيح المقال» . قال : زيد بن موسى الكاظم عليه السلام : لم أقف فيه إلّا على رواية الكلينيّ رحمه الله في باب ما يفصل به بين الحقّ والباطل من باب الإمامة من «الكافي» عن موسى بن محمّد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي

طالب عليه السلام قال : حدّثني جعفر بن زيد بن موسى عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام .

وزيد هذا هو المعروف بزيد النار ، خرج بالمدينة ، فأحرق وقتل ، ثمّ مضى إلى البصرة سنة ١٩٦ . وقال أبو الفرج : لمّا مات محمّد بن إبراهيم ابن إسماعيل طباطبا بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن مع أبي السرايا بالكوفة . وكان محمّد هذا إمام الزيديّة وصاحب الدعوة . ولى الناس بعده محمّد بن زيد بن عليّ عليه السلام ، وبايعه الزيديّة وفرّق في الآفاق عمّاله . فولى زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام الأهواز ، فمرّ بالبصرة وعليها عليّ بن جعفر بن محمّد ، فأحرق دور العبّاسيّين فلقّب بذلك وسمّي زيد النار ــ انتهى .

ويظهر من بعض أهل السير ما ينافي ذلك ، حيث قال : لمّا ظهر أمر أبي السرايا بالكوفة ، قدم عليه فولّاه عليها . فلمّا كان من أمر أبي السرايا ما كان وتفرّق أصحابه ، استتر زيد هذا فطلبه الحسن بن سهل ، فدلّ عليه ، فحبسه . فلم يزل في الحبس ببغداد حتّى ظهر إبراهيم المهديّ المعروف ب ابن شَكْلَة فجسّر أهل بغداد بالحسن فأخرجوا زيداً من حبسه . فمضى إلى المدينة فأحرق وقتل ، ودعا لبيعة محمّد بن جعفر بن محمّد . فبعث إليه المأمون ، فأسر وحمل إليه . فقال له : يا زيد ! خرجتَ بالبصرة وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من أُميّة وثقيف وغني وباهلة وآل زياد ، وقصدتَ دور بني عمّك ؟!

فقال ــ وكان مزّاحاً ــ : أخطأت يا أمير المؤمنين من كلّ جهة ، وإن عدتُ للخروج بدأتُ بأعدائنا ! فضحك المأمون وبعثه إلى أخيه الرضا عليه السلام وقال : قد وهبتُ لك جرمه ، فأحسن أدبه ! فلمّا جاؤوا به ، عنّفه ، وخلّى سبيله ، وحلف أن لا يكلّمه أبداً ما عاش .

وقد أورد الصدوق رحمه الله في «العيون» أخباراً كثيرةً تدلّ على ذمّه وسوء حاله . لكنّ المفيد رحمه الله في «الإرشاد» لم يستثنه من قوله فيه : لكلّ واحد من ولد أبي الحسن عليه السلام فضل ومنقبة مشهورة ، وكان الرضا عليه السلام المقدّم عليهم في الفضل .

وعاش زيد هذا إلى آخر حكومة المتوكّل ، وكان ينادم المنتصر ، وكان في لسانه فضل . قال الصدوق رحمه الله في «العيون» : وكان زيد بن موسى هذا زيديّاً . وكان ينزل بغداد على نهر كَرْخَايَا .[٣٢٠] وهو الذي خرج بالكوفة أيّام أبي السرايا فولّوه عليها .

قال المامقانيّ : أشار بقوله : في لسانه فضل إلى كونه مزّاحاً بلسانه . ومراده من كونه زيديّاً أنّه يذهب مذهب الزيديّة في الخروج ، لا أنّه يعتقد إمامة الخارج كما هو

مذهبهم . ولكن كفى بخروجه وقتله وحرقه مسقطاً له ، فضلاً عن منادمته للخلفاء وحضوره معهم في مجالسهم المشهورة ، فلا اعتماد على خبره .

نعم ، قد أُمرنا بعدم التعرّض لذرّيّتهم وعدم الانتقاص لأحدٍ منهم . وورد عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا : إنّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَخْرُجُ أَحَدُنَا مِنَ الدّنْيَا حَتّى يُقِرّ لِكُلّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ . (٣٢١)

وأمّا زيد بن عليّ الشهيد ، (٣٢٢) فالأخبار الواردة في مدحه والثناء عليه فاقت حدّ الاستفاضة . بل يمكن القول : هي في درجة التواتر . وكان زيد ذا شخصيّة عظيمة ، وهو أفضل أولاد الإمام زين العابدين عليه السلام بعد الإمام الباقر عليه السلام .وكان يعتقد بعظمة ومنزلة أخيه وابن أخيه (الصادقين عليهما السلام) . بَيْدَ أَنّ نفسه ليست كنفس المعصوم في تحمّل الظلم والجور . فقد نفد صبره ولجأ إلى السيف وثار على حكومة هشام بن عبد الملك الذي شتمه وأساء إليه علناً في مجلسه . وكان خروجه من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإذا كان الإمام الصادق عليه السلام قد منعه من الخروج ، فلم يمنعه لأنّ الحكومة الجائرة لا تستحقّ أن يُطاح بها ، بل منعه لشعوره بخسارة فقده ولم يُرِد أن يُقْتَلَ سدىً وهو رجل ذو فضل ووقار . وكان يرى أنّ استشهاده لا يثمر كما أثمر استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام . وكان الإمام الصادق عليه السلام طالما يوازن بين خروج زيد ، وبين النتيجة الحاصلة منه . ويلحظ أنّ كفّة وجوده وحياته الغالية أرجح وأكثر قيمةً . فلهذا كان يأسى ويأسف على قتله ، كما كان حزيناً متوجّعاً على صلبه .

كان زيد من أُولي الفضل والتقوى والعلم ، ومن علماء آل محمّد . وفي الولاية والعصمة كان تالي تلو المعصوم . ومَثَلُه مَثَلُ إسماعيل بن جعفر عليهما السلام ، ومحمّد بن عليّ الهاديّ عليهما السلام في استحقاقهم الإمامة لولا ما حصل من البداء . وكان ذا قابليّة ولائيّة وسعة وجوديّة ، بَيدَ أنّه لم يحز درجة العصمة والولاية المطلقة . ورأيه الخروج بالسيف لمقارعة الظلم . وليس في هذا الرأي مثلبة لزيد ، بل إنّ نسبة رأيه إلى رأي الإمام الصادق عليه السلام كنسبة التامّ إلى الأتمّ ، والكامل إلى الأكمل .

إنّ أئمّتنا سلام الله عليهم أجمعين مع ولايتهم وعصمتهم ، وتوحيدهم وطهارتهم كانت أساليبهم في العمل متباينة تبعاً للظروف المكانيّة والزمانيّة والطبعيّة والطبيعيّة . والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو الوصول إلى الولاية والتوحيد والفناء المحض في الذات الأحديّة والتحقّق بحاقّ الحقيقة . وإذا كان زيد لم يبلغ هذه الدرجة من الولاية ، فإنّه طوى مراحل عظيمة من العبوديّة ، وكان جامعاً لكمالات جمّة من عوالم التجرّد . ولم يَحْتج إلّا إلى كشف حجاب واحد يجعله في درجة المعصوم .

وحينئذٍ لم يكن شيعيّا عاديّاً ، بل كان في السنام الأعلى من العرفان والتوحيد وكان منغمراً في مقام العبوديّة . ولا يتسنّى لنا أبداً أن نقيس به كثيراً من الشيعة الذين يدلّ ظاهرهم على تسليمهم وطاعتهم المحضة لإمامهم ، وليس لمقاماتهم العرفانيّة وكمالاتهم الولائيّة والتوحيديّة أهمّيّة تُذكر . (٣٢٣)

إنّ نهي الإمام الصادق عليه السلام زيداً عن الخروج لم يكن نهياً إلزاميّاً ، بل كان نهياً إعافيّاً وتنزيهيّاً ، بل نهياً إرشاديّاً لا تُبعد مخالفتُه زيداً عن مقامه ، بل ــ مع وجود غيرة زيد وعزّته وإبائه ــ تهبه درجة ومقاماً ومنزلةً ، وتُدخله في رَوْحٍ وريحان ومقعد صدق ، لكنّها لا تجعله في درجة المعصوم ، وتوقفه عند درجة أوطأ في مجال دقائق مراحل السلوك العرفانيّ ومنازل التجرّد ولطائفها وظرائفها .

هذه حقيقة ما عرفناه عن زيد الشهيد سلام الله عليه . ومن هنا يتبيّن لنا خطأ التوجيه الذي ذهب إليه الكثيرون من أنّ خروجه كان بأمر الإمام الصادق عليه السلام ، وأنّ ما ورد من النهي والأخبار كان تقيّةً لئلّا يُنسب إليه عليه السلام . كتوجيه المامقانيّ واستنتاجه إذ ذهب إلى أنّ خروجه كان بإذن الإمام عليه السلام . وقال بعد بحث مفصّل حول ترجمة زيد وسيرته :

وَمُلَخّصُ المَقَال : إنّي أعتبر زيداً ثقةً وأخباره صحاحاً اصطلاحاً بعد كون خروجه بإذن الصادق عليه السلام لمقصد عقلائيّ عظيم ، وهو مطالبة حقّ الإمامة إتماماً للحجّة على الناس ، وقطعاً لعذرهم بعدم مطالبٍ له . (٣٢٤)

أجل ، زيد صحيح الرواية ومعتبر القول ، لكن ليس بسبب الدليل الذي أورده ، بل بسبب ما ذكرناه من معلومات عنه ، إذ بلغ مقاماً شامخاً ودرجةً رفيعةً حتّى كاد أن يكون معصوماً . فالحديث حول صدق كلامه ووثوقه يعدّ خروجاً عن حدّ راوٍ ومحدّثٍ ورجاليّ .

هنا إذ دار الكلام حول مقام زيد ودرجته ومقايسة ذلك بمقام الإمام المعصوم ودرجته ، فمن المناسب أن نورد بحثاً مجملاً حول خصوصيّة صفات المعصوم وأعماله لكي تُرفع بعض الشبهات بحول الله تعالى وقوّته .

قال آية الله المحقّق العظيم والعالِم الضليع الميرزا عبد الله الأفندي الإصفهانيّ ــ الذي كان في الدرجة الأُولى من تلاميذ العلّامة المجلسيّ ــ في مقدّمة «الصحيفة الثالثة السجّاديّة» :

أمّا بعد ؛ فيقول العبد المفتقر الجاني عبد الله بن عيسى بن محمّد الصالح الإصفهانيّ أنّ وفور الأدعية المأثورة وكثرة المناجاة المأثورة البهيّة عن مولانا عليّ بن الحسين زين العابدين وغزارة الأوراد والأذكار والندب المنسوبة إليه صلوات الله عليه متن نظمها ونثرها ، طويلها وقصيرها ، ونضارتها فيما بين أدعية النبيّ وفاطمة وسائر الأئمّة ،

وطراوتها الغالبة وظهور غاية الضراعة والابتهال والمسكنة فيها ، ونهاية تأثيرها وإجابة أدعيتها ممّا لا يرتاب فيها أحدٌ من عامّة العلماء فضلاً عن خاصّة الفضلاء ، وذلك لما قد خصّ الله كلّ واحدٍ منهم عليهم السلام بمزيّة وخصوصيّة لا توجد في غيره . كظهور آثار العلوم في الباقر والصادق عليهما السلام في الأكثر . وبهور الشجاعة في أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام ، كما أنّ الغالب هو الحرقة والجذبة الشديدة في أدعية عليّ ابن الحسين ظاهرة . والفصاحة والبلاغة والهيبة في أدعية أمير المؤمنين عليه السلام باهرة . إلّا أنّ غاية امتياز الأدعية المذكورة في مطاوي «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» المعروفة بين أصحابنا الإماميّة تارةً ب «زبور آل محمّد عليه السلام» ، وتارةً ب «إنجيل أهل البيت» صلوات الله عليهم أجمعين في تلك الصفات والفضائل والدرجات من بينها ، ونهاية الاعتماد عليها ممّا لا يخفى على أُولي النّهَى .

لأنّ تواتر أدعيتها ، وجزالة معانيها ، ولطافة ألفاظها ، وطرافة عباراتها ، بل إعجازها وإفحامها ممّا قد أغنانا من مؤنة إيراد الحجج في إثباتها أو تجشّم زحمة في ذكر أسانيدها وطرقها إلى مولانا السجّاد الذي هو قائلها . (٣٢٥)

وقد دحض آية الله المحقّق الخبير والمدقّق البصير الأمين العامليّ في مقدّمة «الصحيفة الخامسة السجّاديّة» هذا اللون من التفكير ونسبته إلى الأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فقال بعد سرد ما نقلناه آنفاً عن آية الله الميرزا عبد الله الأفندي مُبْطِلاً إيّاه :

فتأمّل فيه ! فإنّ منبع علومهم عليهم السلام واحد ، وطينتهم واحدة ، وكلّهم من نور واحد ، وكلامهم متقارب ، وحالهم متناسب ، كما يعرف ذلك الممارس . بل هو مقتضى أُصول أصحابنا من الاعتقاد بكونهم في أعلى درجات الكمال . وظهور الشجاعة في أمير المؤمنين وولده الحسين عليهما السلام لوجود مظهرها . ولعلّ هذا هو مراده . وظهور علوم الصادقين عليهما السلام لخفّة التقيّة بسبب كونهم في آخر الدولة الأمويّة وأوّل الدولة العبّاسيّة ، وغيره من الأسباب . فما يظنّه بعض الناس ممّا يُشبه ما قاله هذا الفاضل ما أظنّه إلّا كلام قشريّ . (٣٢٦)

وأمّا ما يتبادر إلى ذهني في هذا المجال فهو أنّ اختلاف الصفات والغرائز والأفعال عند أفراد النوع الإنسانيّ أمر مسلّم به . ويعود هذا الاختلاف إلى دليل الحسّ والشهود والوجدان ، والدليل العلميّ من العلوم الطبيعيّة ومن علم الحكمة المتعالية والفلسفة الإلهيّة التكوينيّة ، ودليل الآثار والخصائص المرويّة والأخبار الواردة والروايات والتواريخ والتراجم والأحوال اليقينيّة . وإذا أردنا هنا أن نتحدّث حديثاً وافياً شافياً في هذه الموضوعات ، فسنحتاج إلى كتاب مستقلّ ، ولكن نقول بنحو مجمل من أجل أن يتبيّن أساس الموضوع : إنّ جميع الأنبياء والمرسلين والأئمّة الطاهرين والأولياء المقرّبين

وسائر أفراد البشر مختارون ، وعليهم أن يطووا طريق الله وسلوك المعرفة بإرادة حديديّة ، وقدم راسخ ، ويؤثروا رضا المحبوب على هواهم كي ينالوا بغيتهم . فكلّ من سار على الدرب وصل ، وكلّ من لم يسر لم يصل .

إنّ أفعال الأنبياء والأئمّة ليست اضطراريّة وجبريّة بحيث إنّ الحسنة تصدر منهم بلا اختيار كتلألؤ ألماس ، وإنّهم لا قدرة لهم على المعصية ولا يقدّمون رضا أنفسهم . ولو كانوا كذلك فلا ميزة لهم على سائر الخلق ، إذ خلق الله أصل وجودهم نورانيّاً متلألئاً بغضّ النظر عن الإرادة والاختيار ، وهم كانوا يبثّون ذلك النور بلا إرادة تبعاً لخلقتهم . بل هم بشر لهم إرادتهم ، ولا يعصون اختياراً ، ويؤثرون رضا الله تعالى على أهوائهم حتّى يبلغوا درجة تذوب فيها إرادتهم شيئاً فشيئاً ، وتصبح إرادتهم وإرادة الله المحبوب واحدة . فلا تعود إلّا إرادة واحدة واختياراً واحداً ، وذلك للذات المقدّسة التي لا تزال ولم تزل ، وقد تجلّت من نافذة ومرآة هذا الإنسان المتفاني المنكر لذاته والملتحق بالله عزّ وجلّ .

تلك هي حقيقة وجودهم النورانيّ ومقام ولايتهم المطلقة بإجمال ، فلا بينونة ولا اثنينيّة ولا افتراق . وهناك نور واحد ، وفطرة واحدة ، وعرفان واحد . وهذا لا ينافي إرادتهم واختيارهم ، بل إنّ اختيارهم وإرادتهم المترشّحة منهم تؤيّد وتسدّد وتوطّد الوصول إلى أعلى درجات الكمال ، وأرفع ذروة الإنسانيّة ، والظهور على قمّة التوحيد ، وطيّ الأسفار العرفانيّة الأربعة ، وبلوغ مقام البقاء بالله بعد الفناء في الله .

إنّ جميع ما ورد في الأخبار أنّهم كانوا نورانيّين في الأزل ، وأنّهم خلقوا قبل آلاف السنين ، وأنّ خلقهم يختلف عن خلق سائر الناس هو أمر صحيح لا غبار عليه . بَيدَ أنّ الأزل لا يعني التقدّم الزمانيّ العَرَضيّ . فأزل كلّ أحد وأبده معه ، كما أنّ إله كلّ أحد معه . وكيف يمكن أن يكون إله الإنسان معه ، أمّا أزله فمفترق عنه ، ومتقدّم عليه زمنيّاً على نحو الانفصال ؟ أو أنّ أبده يباينه ، ويتأخّر زمنيّاً على سبيل الانفصال ؟ هذا الأزل والأبد ليسا عرضيّين ، كما أنّ إله الإنسان ليس له تقدّم عرضيّ . ولمّا كان تقدّم الله سبحانه تقدّم العلّة على المعلول ، وكان انفصال المعلول عن العلّة محالاً ، فإنّ جميع عوالم التجرّد من الأزل ، والأبد ، واللوح ، والقلم ، والملكوت الأعلى ، والأسفل ، وعالم القضاء والقدر والمشيئة هي مع الإنسان نفسه ، وانفصالها عنه محال .

وإذا علمنا أنّ الله نفسه مع الإنسان ، فهل نتصوّر أنّ هذه العوالم التي تمثّل واسطة فيضه ، منفصلة ، ولا تجد مكاناً بين الله والإنسان ؟! هذا المعنى غالط .

إنّ خلق الأنبياء والأئمّة قبل آلاف السنين صحيح ، بَيدَ أنّ هذه القبليّة قبليّة طوليّة ، لا عرضيّة وزمانيّة . وهي قبليّة العلّيّة على المعلوليّة . وهي قبليّة رتْبيّة وتقدّم سببيّ . وغيريّة خلقتهم بالنسبة إلى سائر أفراد البشر تامّة أيضاً ، لكنّ تلك الغيريّة كانت تحت

مظلّة الاختيار ، لا خارجها . وعليك ــ مِن هنا ــ أن تطوي طريقهم بإرادتك واختيارك ، وتخرج من هوى النفس ، لكي تجري وتسري لك هذه الغيريّة أيضاً . وقد جعل الله الأنبياء والأئمّة غير الآخرين ، لأنّهم هم أنفسهم صاروا غير الآخرين بإرادتهم واختيارهم .

ونلحظ في طريق الصعود والعروج إلى عالم التوحيد أنّ الغيريّة والكثرة والاثنينيّة في الأفعال والصفات أُمور ضروريّة وحتميّة بين أفراد البشر جميعهم . ولا معنى لإمكان الكثرة والاثنينيّة في عالم الوصول والفناء في الذات الأحديّة أبداً . وليس هناك إلّا الله وحده ، وإلّا الولاية الكلّيّة فحسب . ومقولة : كلّنا محمّد ، أوّلُنا محمّد ، آخرنا محمّد ، مرتبطة بذلك المقام الذي يسطع فيه نور الذات الأحديّة بقوّة تزول معها الأسماء . وفيه ليس لمحمّد عنوان محمّد ، ولا وجود لعليّ باسم عليّ ، وفاطمة غير منفصلة عن الحسن والحسين . ولا تمايز بين الأئمّة كلّهم حتّى الإمام الحيّ الغائب عن الأنظار . جميعهم نورٌ بَحْت ، وشعاع صِرف ، وجميعهم سطوع للشمس في سماء التوحيد ، كنور الشمس الواسع المبثوث ، إذ كان متّصلاً بالشمس بلا جهةٍ ولا حدّ ولا مقدار ، ولا يمكن أن نضع له اسماً غير لفظ النور المجرّد .

أجل ، يتعدّد هذا النور من حيث الظروف الخارجيّة والماهيّات الإمكانيّة . فالنور المشعّ على سفوح الجبال والصحارى هو غير النور المشعّ على البحار والمحيطات . ونور القطب الشماليّ هو غير نور القطب الجنوبيّ أو المناطق الاستوائيّة . ثمّ إنّهم ، بعد مقام التوحيد وبلوغ الفناء والاندكاك في ذات الحقّ تعالى ، ينزلون إلى عالم الكثرات مرّة أُخرى ، وهم بالله مع جميع الموجودات ، ويدورون وَبِالحَقّ في الخَلْق .

وهنا تظهر آثار الاختلاف ثانيةً ، ويُشْهَد التفاوت بينها . علماً أنّ هذا الاختلاف هو غير الاختلاف السابق . فالاختلاف هناك بلا حقّ وفناء . أي : أنّ الاختلاف كان يظهر في الماهيّات بإرادة الله ، بَيدَ أنّ السالك نفسه لم ينتبه إلى هذا الفعل والأثر . لأنّ الوصول والفناء واللقاء التامّ أُمور لم تحصل . بل كان يخال أنّ جميع هذه الأشياء هي منه ، ومن ترشّحات نفسه وآثارها ، وها هو قد رجع من عند الله ، وزار كعبة المقصود ، ونال لقاء الله في حرم الأمن والتجرّد المطلق مع فنائه واندكاك وجوده ، واستمتع بأنوار الجمال والجلال . لذا فهذا الرجوع هو رجوع مع المحبوب . والله معه وهو مع الله في كلّ زمان من الأزمان الطويلة ، وكلّ مكانٍ من الأماكن العريضة الواسعة . وكلّ فعلٍ من أفعال السالك هو فعل الله ، إذ حلّت إرادة الله واختياره مكان إرادته واختياره .

وهو في الكثرات ، في عين التوحيد ، وفي التوحيد ، في عين انغماره في الكثرات ، وهو مع الحقّ ، وأعماله من الحقّ ، ومرجعه إلى الحقّ . جَمِيعُ أَفْعَالِهِ وَسَكَنَاتِهِ يَكُونُ مِنَ اللَهِ وَيُرْجَعُ جَمِيعُهَا إِلَى اللَهِ .

ويستبين ممّا ذكرنا جيّداً ما يأتي : أوّلاً : أنّ الأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهم أكمل المخلوقات وأفضلها في عالم التكوين والتشريع ، قد طووا الأسفار العرفانيّة الأربعة حتماً ، لأنّه إذا لم يُطْوَ أحدها ، فهذا يعني أنّ السالك الذي طواها كلّها سيكون الأعلم بالنسبة إليهم ، وهذا محال بسبب ما يتّصفون به من حقّ الأُستاذيّة والتعليم وتفوّقهم على جميع الخلائق .

وثانياً : أنّ الروايات الواردة في وحدة نورهم وتجرّدهم وخلقتهم ترتبط بعالم اللقاء والفناء وعرفان الله . وعدم تصوّر التعدّد في ذلك المكان العالي والرفيع يعتبر من بديهيّات العلم .

وثالثاً : رجوعهم إلى عالم الخلقة وكثرات الماهيّات أمر ضروريّ لتربية البشر . لأنّه ما لم يُطْوَ السفر الرابع المتمثّل في السير في الخلق بالحقّ ، الذي هو من متمّمات مقام العرفان والكمال ، فلا يمكن تفويض التدبير في الأُمور التكوينيّة والتشريعيّة إليهم ، إذ إنّ فعلهم في الخلق حينئذٍ لن يكون فعل الله ، ولن يتسنّى لهم أن يتعاملوا مع الخلائق تعاملاً إلهيّاً .

ورابعاً : شرط الرجوع إلى الكثرة هو التعيّن بالماهيّات الإمكانيّة وتعدّد العوارض الوجوديّة والجوهريّة . أي : كما خُلِقَ الأئمّة عليهم السلام في أزمنة مختلفة ، وعاشوا في أماكن متفاوتة ، فإنّ بقيّة عوارضهم الجوهريّة ستتباين حتماً حتماً . وستتفاوت الصفات والأفعال أيضاً ، وفي الوقت نفسه ، فإنّهم كلّهم أبرار وفي أعلى درجات البرّ والحُسن ، بل لا يمكن أن نتصوّر حُسناً أسمى من ذلك ، لأنّ الفعل هو فعل الحقّ ، ولا يمكن أن نتصوّر في فعل الحقّ إلّا الحُسن .

إنّ الأئمّة عليهم السلام كما خلقوا من آباء وأُمّهات شتّى ، وتغذّوا من أُمّهات مختلفة عندما كانوا أجنّةً في بطونهنّ ، وتباينوا فيما بينهم جسميّاً وطبعيّاً وطبيعيّاً ، مع آلاف الظروف ومواضع الاختلاف الأُخرى ، فإنّهم ــ كذلك ــ يتفاوتون فيما بينهم في الأفكار النفسانيّة والملكوتيّة .

كان أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات الله وسلامه رَبْعاً ، مع ميل إلى القصر ، بطيناً ، أسمر اللون ، أدعج العين ، أصلع ، رفيع الساقين . فهذا ضرب من الخلقة الإلهيّة . أمّا الحسن والحسين عليهما السلام فكانا يشبهان رسول الله صلّى الله عليه وآله . فالحسن عليه السلام يشبهه في رأسه ووجهه حتّى ظهره ، والحسين عليه السلام يشبهه من ظهره حتّى الأسفل . وكان بعض الأئمّة بيض الوجوه كالإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وبعضهم سمرها مع ميل إلى السواد كالإمام محمّد الجواد عليه السلام ، لأنّ والدته كانت أمة سوداء من أهالي النّوبَة (إحدى مناطق إفريقية) . [٣٢٧]

وكذلك كانوا متفاوتين في القدّ والقامة ، وفي الوزن والبدانة . فالسجّاد عليه السلام كان نحيفاً حتّى كانت الريح تحرّكه عندما يُغمى عليه في أوقات العبادة . أمّا الباقر عليه السلام فقد كان بديناً إلى درجة أنّه عندما كان يذهب للزراعة في بعض أوقات الحرّ ، يتوكّأ على غلامين . وكذلك الأمر في سائر جهات الاختلاف الطبعيّ والطبيعيّ ، التي لا تُحصى .

ماذا تقولون هنا ؟! هل تقولون : إنّ المعيار هو بياض الجسم كرسول الله ؟ فلا نتّبع أمير المؤمنين الذي كان أسمر ، ولا سائر الأئمّة السّمر ، ولا نعدّهم أئمّة لأنّهم لم يكونوا بيضاً ! هل البدانة هي المعيار ؟ فنعزل الإمام السجّاد منهم . أم النحافة ، فنعزل الباقر منهم ؟ أم التوسّط بينهما ، كالإمام الرضا عليه السلام ، فنعزل السجاد والباقر عليهما السلام ؟!

وأمثال هذه الأسئلة التي تطول .

أم تقولون : كلّ ذلك كان صائباً وصحيحاً وحسناً وفي درجة الكمال . فصلعُ مولى الموالي كمال له ، وشعر النبيّ وتمشيطه كمال له . وكلّ خاصّيّة من هذه الخصائص مع فرض اختلافها كمال لأهلها .

وكذلك الصفات النفسيّة والأفعال البدنيّة مع تفاوتها كمال لأصحابها .

ومن الطبيعيّ أنّ شرط الكمال إحراز العلم المجرّد ، وكان الأئمّة عليهم السلام جميعاً أُولي علمٍ تجرّديّ . مع ذلك فقد عُدّ أمير المؤمنين عليه السلام أعلمهم وأفضلهم باستثناء الحجّة بن الحسن العسكريّ أرواحنا فداه . وبروز الشجاعة عند أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام كان تبعاً لما تتطلّبه الظروف ، وليس في هذا إلغاء لشجاعة غيرهما .

لا جَرَمَ أنّ الحِلْمَ الحَسَنِيّ وَالشّجَاعَةَ الحُسَيْنِيّة ، كانا وفقاً لبروزهما وظهورهما ، وإلّا فما أكثر مواطن الحلم التي تدهش العقل عند سيّد الشهداء عليه السلام ! وما أروع تلك الشجاعة التي أبداها الإمام الممتحن الحسن المجتبى عليه السلام في حرب الجمل وصفّين حتّى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما رآه يتشرّع للحرب ، منعه . وعزّ عليه أن يُقْتَلَ ابنُ فاطمة ! وكان همّ معاوية كلّه أن يُخلي الأرض من نسل فاطمة .

وأمّا تفكير الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وموقفهما من معاوية في الحرب والصلح فنقول فيه : إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُبايع معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام معه . وقال الحسن لمعاوية : لا تدعه إلى البيعة ، فإنّه لن يبايع حتّى لو قُتل هو وأهل بيته جميعاً . وكان قيس بن سعد بن عُبادة هو الآخر لم يبايع أيضاً ، وكذلك سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ . بَيدَ أنّ الإمام الحسن عليه السلام رأى نفسه في ظروف أرغمته على تجرّع مرارة الصلح حقناً لدماء المسلمين ، وتفنيداً لسياسة معاوية الماكرة . واستجابة لرغبة أهل الكوفة الذين خارت نفوسهم وضعفت وكانوا على وشك

تسليمه لمعاوية حيّاً ، ليمنّ عليه معاوية ويطلقه ، فيُدعى : طليق معاوية ، ويتخلّص معاوية من عار الطلقاء الذي لحق به يوم قال رسول الله له ولأبيه أبي سفيان وسائر بني أُميّة في فتح مكّة : أَنْتُمُ الطُلَقَاءُ . فعُرِفوا بطلقاء رسول الله . وأراد معاوية أيضاً أن يؤسر الإمام الحسن عليه السلام ثمّ يطلقه جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فيكون طليق معاوية ، ويبقى ذلك في تأريخ الإسلام والعرب ؛ ولهذا كله صالح الإمام عليه السلام معاوية .

ولم يكن سيّد الشهداء إماماً يومئذٍ ، وما عليه إلّا اتّباع إمام زمانه وهو المجتبى الذي كان أكبر منه بسنة واحدة . فاختار السكوت المحض ، وجهد في المحافظة على إمامة أخيه ، ولم يدّخر وسعاً لتوطيدها وتعزيزها . حتّى إذا مضت عشر سنين ، دسّ معاوية السمّ إلى الإمام بواسطة زوجته ابنة الأشعث بن قيس ، فلقى الإمام ربّه شهيداً . وزالت ظروف الصلح ، وكان بمقدور الإمام الحسين عليه السلام أن يحارب معاوية على أساس إمامته ورأيه في الحرب ، بَيدَ أنّ الظروف لم تسمح له بذلك . فصبر عشر سنين أُخرى حتّى هلك معاوية ودخل الهاوية ، وغصب يزيد الخلافة على خلاف موادّ الصلح ، فثار عليه السلام عندئذٍ . وكانت واقعة عاشوراء في الحقيقة تتمّة لواقعة صفّين ، فأدار معاوية تلك ، وأدار يزيد هذه على أساس حكومة أبيه .

يقول البعض : كانت الظروف بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ومُضيّ ستّة أشهر على نحو أُرغم معه الإمام الحسن عليه السلام على الصلح . ولو كان سيّد الشهداء عليه السلام إماماً لصالح أيضاً .

والآن لو سألتم : أيّ الموقفين كان صحيحاً في الواقع ؟ بيعة الإمام الحسن أم رفض الإمام الحسين عليهما السلام . والجواب هو أنّ كليهما كان صحيحاً . فتفكير سيّد الشهداء عليه السلام كان صحيحاً ، وتفكير الإمام المجتبى عليه السلام كان كذلك . غاية الأمر أنّ ما تحقّق خارجاً حسب إمامة وصيّ أمير المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين كان صلحاً وكان صحيحاً . وأمّا إمامة سيّد الشهداء عليه السلام أيضاً ، فبدايتها صلح وسكوت ، ونهايتها حرب وثورة ، وكلتاهما كانت صحيحة .

وملخّص الكلام : أنّ جميع أعمال الإمام وأفعاله بلا استثناء هي أعمال الله وأفعاله ، وذلك بسبب عبور الإمام من المراحل النفسانيّة ، واستناد الأفعال إلى نفسه . ومن هنا فإنّ فعله فعل حقّ وصحيح وهو عين الصواب ، سواء أدركنا صوابه أم لم ندركه . مثلاً ، كيف ينبغي أن نقول في الأفعال الخارجيّة كنزول المطر والرحمة ، أو الزلزلة والغضب ؟ إننا نقول حتماً : إنّهما فعل حقّ من مَظْهَرَي الجمال والجلال وإن قصر فكرنا عن بلوغ مصدره ، ولم يدرك تفكيرنا القاصر حقيقة حكمة هذا وذاك . فكذلك أفعال أولياء الله كفعل الخِضْر مع موسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام الوارد بيانه في القرآن الكريم .

إنّ فعل وليّ الله حقّ ، والحقّ ليس إلّا هو لا غيره . لا أنّ الحقّ شيء نطبّق عليه فعل وليّ الله . وليست المصلحة والحكمة شيئاً غير فعل الله ، وفعل الإمام ، ليجعل الله فعله وفقاً للمصلحة ، ويأمر الإمام أن ينطبق فعله عليها .

إنّ فعل الله نفسه مصلحة . وفعل وليّه مصلحة أيضاً ، بل مجلبة للمصلحة . وينبغي أن نتحرّى المصلحة والحقّ في فعل الإمام ووليّ الله ، لا أن نظنّ المصلحة والحقّ في فكرنا القاصر ، وعندئذٍ ننظر هل هذا هو فعل الإمام أم ذاك ؟! وهذا الموضوع من دقائق عالم التوحيد ورموزه .

لقد دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله ربّه تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام فقال : اللَهُمّ أَدِرِ الحَقّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ! وقال : اللَهُمّ أَدِرْ عَلِيّاً مَعَ الحَقّ حَيْثُ دَارَ !

وعلى هذا ففعل الإمام عين الحقّ ، وفي غاية الصحّة والصواب والسداد سواء فهمنا أم لم نفهم .

علينا أن نواكب حياة الإمام من أجل التعرّف عليه ، وعلى خصائص مراحل سيره وسلوكه ، ونقيس حقيقته وعقيدته وصفاته النفسيّة وأفعاله الخارجيّة بتحسّس عميق ، ونتّخذه كَمَا كَانَ وَحَيْثُ مَا كَانَ أُسوةً لنا في جميع شؤوننا ، لا أن نصنع لنا إماماً في أذهاننا ، ثمّ نفرضه على الإمام الموجود في الخارج . فهذا الإمام ليس خارجيّاً ولا واقعيّاً ، بل هو إمام وهميّ خياليّ . وإذا ما اتّبعناه ، فإنّنا لم نتّبع الإمام الحقيقيّ ، بل اتّبعنا الإمام الوهميّ ، أو اتّبعنا أنفسنا في الحقيقة . ولعلّنا نكون قد أمضينا عمراً باسم الإمامة والولاية ، في حين أنّنا لم نتجاوز أنفسنا ، ولم نتّبع غيرها . وحينئذٍ سنكون قد قضينا العمر في عبادة النفس ، لا في عبادة الله دون أن نتّبع الإمام الذي اصطفاه الله لإرشادنا وهدايتنا .

إنّ الذين يرون الإمام ذاتاً وجِبِلّةً بلا إرادة ولا اختيار ، وأنّه موجود ملكوتيّ ونورانيّ ، ويفرّقون بينه وبين غيره من الناس ، ويخالون أنّ سعادته قد قُدّرت منذ الأزل طوعاً أم كرهاً بلا تدخّل للاختيار والإرادة والاختبار في دار الدنيا ، هم على خطأ كبير . وليس هذا إلّا الغُلوّ الذي كان يفرّ منه السابقون . الإمام إنسان مكلّف مختار ، وله سيره وسلوكه ، وهو يدرك الحسن والرديء ، ويفهم الجمال والقُبح ، ويميّز طريق الجنّة من طريق النار ؛ غاية الأمر ، أنّه يبلغ مقام محبّة الله نتيجة مجاهدته للنفس الأمّارة ، وإيثاره لرضا الله المحبوب ، ويرتقي في القوس الصعوديّ أعلى من غيره ، ولا يبقى حجاب بينه وبين الله . فهذا هو أزل الإمام وأبده ، وهذا هو اصطفاؤه واجتباؤه . وهذا هو الذي جعل محمّداً مصطفىً ، وجعل عليّاً مرتضىً صلوات الله عليهما وعلى آلهما الميامين .

مَن تصوّر الإمام كائناً بلا إدراك لمراحل العبوديّة والتضرّع والاستكانة للّه تعالى ، فلابدّ أن يحمل أدعيته وأنّاته المؤلمة الممضّة على أنّها كانت من أجل تعليم الناس

وتمرينهم ، ويفسّرها أخيراً بالأُمور الاستهزائيّة التهكّميّة ! ويترتّب على هذا التفكير عدد من الأضرار الموبقة :

أوّلاً : سيكون قد أعمى بصيرته التي يرى بها الحقّ ، فيكون قد رأى الباطل حقّاً ، والحقّ باطلاً . ولم يَرَ الواقع كما هو أهله ، بل رآه شيئاً آخر .

ثانياً : سيكون قد قطع علاقته بالإمام ، لأنّه لا يتّبع الإمام الحقيقيّ .

ثالثاً : وسيكون قد أسقط نفسه من مرحلة العمل والمجاهدة والتنقيب ، لأنّه إذا لم يجرِ على لسانه شيء ينطق به ، فإنّه يقول في باطنه حتماً : إنّ ما نُقل عن الأئمّة من العبادات والإيثار والعلوم والإدراكات ، والصفاء وطُهر الفطرة ، والدخول في جنّات تجري من تحتها الأنهار هو لهم لا لنا ، وما يعنينا ؟! نحن أهل عالم الطبيعة ، وأَسرى الحواسّ الطبيعيّة وصرعى الغرائز النفسانيّة ، وعفريت الجهل وجموح النفس ، فشتّان ما بيننا وبينهم ! ولمّا خلق الله ــ منذ الأزل ــ وجودهم نورانيّاً مجرّداً لطيفاً ، ووجودنا ظلمانيّاً مادّيّاً ملوّثاً ، وجعلهم سعداء وجعلنا أشقياء ، فإنّنا مهما سعينا فلن نبلغ درجتهم ! فلنقرّ عيناً ــ إذاً ــ ولنخلد إلى الراحة ، ولنعصِ الله ، فهو الذي خلقنا هكذا وخلقهم كذلك !

رابعاً : سيكون الإمام هو المقتدى والقائد والرائد ، والمأموم هو التابع والمقتصّ الأثر والمقود ، فإذا قُدّر لنا أنّنا لا نستطيع أن نسير وراء الإمام ، وإن كان ذلك في حالة واحدة فحسب ، فحينئذٍ لا يبقى معنى للإمام والمأموم ، وتنقطع العلاقة ، وتتبدّد سلسلة الولاية ، لماذا ؟! لأنّ الإمام لم يستطع هناك أن يأخذنا معه متّبعين إيّاه . وعجز أن يكون قائدنا . ولمّا كانت الإمامة ثابتة له في جميع الأُمور ، فإنّه يقتادنا معه إلى المكان الذي يمّمه ، أي : مقام التوحيد والعرفان الذاتيّ والاندكاك في الأنوار الإلهيّة الجماليّة والجلاليّة .

وهناك حيث لا بون بين الإمام والمأموم من حيث درجات العلوم والمعرفة والإدراك ، ولا فرق بينهما ، ولا يمكن أن يكون بينهما فرق . ولا يبقى للإمام إلّا عنوان الإمامة والاقتداء إذ إنّه هو القائد الذي اقتاد ضالّته فأوصلها إلى حيث وصل من الأمن والأمان .

على هذا ، فالمعصومون الأربعة عشر اعتباراً من النبيّ الأكرم ومروراً بفاطمة الزهراء وعليّ المرتضى ، وانتهاءً بالأئمّة الأحد عشر من أولادهما الذين لهم عنوان الولاية والسبق والتقدّم في القيادة لن ينفصلوا عن هذا العنوان والوسام والمنصب والامتياز . ولكنّهم في كلّ لحظة يوصلون الآلاف من النفوس التي لم تسلك الطريق إلى منزلها . ويبلغون بهم المكان الذي ذهبوا إليه وقرّوا فيه . ويقودون الجميع إلى الله وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى . (٣٢٨)

في ضوء ما تقدّم ، لا تبقى شبهة ولا شكّ في أنّ جميع الأنبياء المرسلين والأئمّة الطاهرين كانوا مختلفين بلا أدنى تأمّل . وقد جاء ذكر كلّ نبيّ في القرآن الكريم بنحو خاصّ وصفة مخصوصة . وصنّف الشيخ العارف الجليل محيي الدين بن عربي كتاب

«فصوص الحكم» على أساس هذا الاختلاف . ودوّن كلّ فصّ من فصوصه بذكر نبيّ خاصّ يتّصف بسجيّة خاصّة .

وقد خرجت الحوزة العلميّة في قمّ من جمودها نوعاً ما فصارت في عصرنا هذا لا تكتفي بالعقائد السطحيّة في المعارف الدينيّة ببركة جهود أُستاذنا الأعظم العلّامة آية الله السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ أعلى الله مقامه وبفضل تدريس الحكمة والفلسفة الإلهيّة . بَيدَ أنّ حوزة خراسان تعاني من تسرّب العقائد الشيخيّة والميرزائيّة إليها في قالب ولاية أهل البيت إلى درجة أنّ باب العرفان الإلهيّ قد أُغلق تماماً سواء من جهة الشهود أم من جهة البرهان . واندفع جملة أهل العلم متعلّقين بظواهر الأخبار التي تُشبه مذاهب الحشويّة والظاهريّة كثيراً بدون مراجعة أسانيدها والتأمّل والإمعان في محتواها ، وساقوا معهم جماعة إلى جحيم الضلالة .

ولو توفّرنا على إدراك الحقيقة نوعاً ما ، وعرفنا الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين كما كانوا ، لما مُنيت معارفنا الدينيّة بهذا الجمود والركود .

نقل لي المرحوم صديقي البارّ الكريم سماحة آية الله السيّد صدر الدين الجزائريّ أعلى الله مقامه أنّه كان ذات يومٍ في بيت المرحوم آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ رحمه الله بالشام ، واتّفق حضور المرحوم ثقة المحدّثين الشيخ عبّاس القمّيّ رحمه الله هناك . فجرى حوار بين المرحومين القمّيّ والأمين . فقال المرحوم القمّيّ مخاطباً المرحوم الأمين : لِمَ ذكرتَ في كتاب «أعيان الشيعة» بيعة الإمام زين العابدين عليه السلام ليزيد بن معاوية عليه وعلى أبيه اللعنة والهاوية ؟!

فقال : إنّ «أعيان الشيعة» كتاب تأريخ وسيرة . ولمّا ثبت بالأدلّة القاطعة أنّ مسلم بن عقبة حين هاجم المدينة بجيشه الجرّار ، وقتل ونهب وأباح الدماء والنفوس والفروج والأموال ثلاثة أيّام بأمر يزيد ، وارتكب من الجرائم ما يعجز القلم عن وصفها ، فقد بايع الإمام السجّاد عليه السلام ، من وحي المصالح الضروريّة اللازمة ، والتقيّة حفظاً لنفسه ونفوس أهل بيته من بني هاشم ، فكيف لا أكتب ذلك ولا أذكره في التأريخ ؟! ومثل هذه البيعة كبيعة أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر بعد ستّة أشهر من وفاة الرسول الأكرم واستشهاد الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليهما .

قال المرحوم القمّيّ : لا يصلح ذكر هذه الأُمور وإن كانت ثابتة ، لأنّها تؤدّي إلى ضعف عقائد الناس . وينبغي دائماً أن تُذكر الوقائع التي لا تتنافى مع عقيدة الناس .

قال المرحوم الأمين : أنا لا أدري أيّ الوقائع فيها مصلحة ، وأيّها ليس فيها مصلحة . عليك أن تذكّرني بالأُمور التي ليس فيها مصلحة ، فلا أكتبها !

ومن الطبيعيّ أنّ رأى المرحوم القمّيّ هذا غير سديد . ذلك أنّه ظنّ الإمام السجّاد أُسوةً للناس بدون بيعة يزيد ، وزعم أنّ الناس لو علموا بأنّه بايع ، لرجعوا عن الإيمان

والاعتقاد بالتشيّع ، أو ضعف إيمانهم واعتقادهم . وبالنتيجة فإنّ الإمام هو الذي لا ينبغي له أن يبايع يزيد .

إنّ مفاسد هذا اللون من التفكير بيّنة . أوّلاً : لأنّ الإمام الحقيقيّ هو الذي يبايع ، ويدرك مصالح البيعة ، وعمله صحيح ، وخلافه ، أي : عدم البيعة ، غير صحيح .

ثانيا : لو ابتُلينا هذا اليوم بحاكم جائر كيزيد ، وقال لنا : بايعوا وإلّا ... وإذا اعتبرنا البيعة ــ حتّى مع هذا الفرض ــ حراماً وخطأً ، فقد أهدرنا دمنا ودماء أهلينا وناس آخرين سدىً . وأمّا إذا علمنا أنّ أئمّتنا وقدوتنا قد بايعوا في مثل تلك الظروف ، فإنّنا سنبايع فوراً بدون أن نفكّر بالنتيجة السقيمة وما تستتبعه البيعة من محذورات . أفليست التقيّة من أُصول الشيعة الثابتة ؟! لِمَ نُظْهِرُ للناس خلاف ذلك فنورّط أُولئك المساكين في عُسرٍ وحرجٍ للحفاظ على شرفهم وكرامتهم ووجدانهم ؟ حتّى إذا بايع أحد في مثل هذه الحالة ، فإنّه يعدّ نفسه آثماً خجولاً ، ويرى تلك البيعة مخالفة لسُنّة إمامه ونهجه . وإذا لم يبايع فإنّه يعرّض نفسه وأتباعه لسيف زنجيّ ثمل جائر سفّاك ، ويفقد حياته جنوناً وحماقةً .

بيان الحقيقة هو بيان الحقيقة نفسها ، لا بيان حقيقة خياليّة ، وإلّا فإنّ جميع المفاسد تقع على عاتق من كتم الحقيقة .

كانت في المرحوم المحدّث القمّيّ ــ مع جميع ما اتّصف به من الجهاد العلميّ والعناء وحبّ أهل البيت عليهم السلام ــ مثلبة تتمثّل في بتره للأخبار ، إذ يذكر مثلاً شيئاً من الخبر كمثال ، ويتغاضى عن الباقي الذي ربّما تكون فيه قرائن مفيدة لحدود هذا المعنى المستفاد .

وهذا غير صائب ، إذ لعلّ صدر الخبر قرينة على ذيله ، وذيله قرينة على صدره . فما على المؤلّف إلّا أن ينقل الخبر بحذافيره ، ثمّ يعلّق عليه في الهامش أو الشرح إن أشكل عليه في بعض المواضع !

ونلحظ في كتاب «منتهى الآمال» أنّ المحدّث القمّيّ ذكر مقتل محمّد بن عبد الله بن الحسن المسمّى بالنفس الزكيّة ، ومقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المسمّى بقتيل باخمرى ، وتحدّث عن سيرتهما التي أوردناها في صفحات متقدّمة من هذا الكتاب ، دون أن يشير إلى مثالبهما ، واكتفى بالحميد من ترجمتهما . (٣٢٩)

وهكذا فعل العلّامة الأمينيّ في «الغدير» عند ذكر عبد الله المحض وولديه : محمّد وإبراهيم ، فقد تحيّز في كلامه عنهم نوعاً ما ، ورغب عن بيان طبيعة الواقعة . (٣٣٠)

أجل ، التفاوت واضح بين أدعية الإمام السجّاد عليه السلام بخاصّة أدعية «الصحيفة الكاملة» ، وأدعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النبرة والمضمون . فأدعية «الصحيفة» نبعت من قلبٍ متحرّق ذائب ، وروح عاشقة مجذوبة ومدهوشة . وأدعية

«الصحيفة العلويّة» التي أعدّها الميرزا عبد الله بن صالح السماهيجيّ ، و«الصحيفة الثانويّة» التي أعدّها المحدّث القريب من عصرنا الميرزا حسين النوريّ ، تمتاز بمضامين جليلة عظيمة تبعث على الهيبة . وهذا لا يعني أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كان عاجزاً عن الإتيان بمثلها ، بل إنّ وضعه كان يتطلّب مثل تلك الأدعية ، لا مثل هذه الأدعية التي تطلّبها وضع أمير المؤمنين عليه السلام .

ولعلّه صلوات الله عليه قد أنشأ نظير تلك الأدعية في المدينة أيّام رسول الله وفاطمة الزهراء سلام الله عليهما عندما كان في حائط بني النجّار (بستان بني النجّار) ، ولكن لم ينقلها لنا أحد .

ولا تنحصر أدعيته العجيبة بدعاء كُميل ، ودعاء الصباح ، بل إنّ جميع أدعيته تكشف عن مقام جلال الحقّ تعالى وعظمته وانتشار رحمته الواسعة ، وعن إشراق نور التوحيد على عوالم الإمكان بأسرها .

إنّ زواج عمر بن الخطّاب بأُمّ كلثوم بنت الصدّيقة الكبرى سلام الله عليها من الحوادث التأريخيّة المسلّم بها . فلماذا يريد بعض الشيعة أن ينكر ذلك في بعض الكتب ؟! في حين نحن إذا ذكرنا شفاعة هذا الزواج مع مقدّماته التأريخيّة في كتبنا ، فإنّ ظلامة أمير المؤمنين وأهل البيت تستبين لنا أكثر فأكثر . ولو أوردنا هذه القصّة مع مقدّماتها التأريخيّة ، فإنّ ذلك يمثّل وثيقةً تدين عمر بن الخطّاب ، إذ غصب تلك المخدّرة بمكر ، وأولدها زيداً ورقيّة . (٣٣١ـ٣٣٢ـ٣٣٣ـ٣٣٤ـ٣٣٥ـ٣٣٦ـ٣٣٧ـ٣٣٨ـ٣٣٩)

إنّ زواج سُكينة ابنة الحسين من مصعب بن الزبير من المسلّمات التأريخيّة ، فلماذا نرفضه بسبب انحراف مصعب ؟ في حين أنّ وضع مصعب ربّما لم يكن سيّئاً يومئذٍ حسب قرائن تأريخيّة ، ولعلّ هناك قضايا جانبيّة لا نستطيع أن نحلّلها الآن بنحو صائب .
، ولعلّ هناك قضايا جانبيّة لا نستطيع أن نحلّلها الآن بنحو صائب .

قال أبو الفرج الإصفهانيّ : تزوّجت سكينة ابنة الحسين عليهما السلام غير زوج . أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ ، وهو ابن عمّها وأبو عذرتها . ومصعب بن الزبير ، وعبد الله بن عثمان الحزاميّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها . (٣٤٠)

قالت الدكتورة بنت الشاطئ : نقل السيّد توفيق الفكيكيّ عن السيّد عبد الرزّاق الموسويّ في كتاب له عن السيّدة سُكينة ما نصّه :

وهناك من المؤرّخين من يحكى تزويج السيّدة سكينة من ابن عمّها عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المقتول في الطفّ مبارزةً . وأمّا غيره من الأزواج ، فعلى ذمّة التأريخ .

وأضاف السيّد توفيق : وهناك من الأدلّة التأريخيّة المجمع على صحّتها ما يؤيّد أنّ سكينة تزوّجت بعد ابن عمّها عبد الله بن الحسن بن عليّ بمصعب بن الزبير ، زوّجه إيّاها أخوها الإمام عليّ بن الحسين السجّاد . (٣٤١)

وذكر ابن إسحاق في سيرته المطبوعة بتحقيق الدكتور سُهيل زكّار ، ص ٢٥١ و٢٥٢ ، خِطبة معاوية ابنة السيّدة زينب عليها السلام ، ثمّ زواج عبد الملك بن مروان منها ، وطلاقها ، وزواج عليّ بن عبد الله بن عبّاس منها . قال : كانت زينب ابنة عليّ بن أبي طالب تحت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له عليّ بن عبد الله بن جعفر ، وأُمّ أبيها ، فتزوّج أُمّ أبيها عبد الملك بن مروان وطلّقها فتزوّجها عليّ بن عبد الله بن عبّاس .

روى يونس عن ثابت بن دينار ، عن أبي جعفر قال : خطب معاوية ابن أبي سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة عليّ وأمّها فاطمة ؛ وقال له معاوية : أقضي عنك دينَك ، فوعده . فقال عبد الله : إنّ علَيّ أميراً لستُ أستطيع أن أزوّجها حتّى أستأمره . فقال له معاوية : فاستأمره ! وأتى حسين بن عليّ وقال : إنّ معاوية خطب إليّ ابنتي ووعدني قضاء دَيني . وإنّما أنت والد ، أنت خالها فما ترى ؟ قال له : أحبّ أن تجعل أمرها بيدي . قال : هو بيدك ! فدخل حسين بن عليّ على الجارية ، فقال : إنّ أباكِ قد جعل أمركِ بيدي فاجعلي أمركِ بيدي . فقالت : هو بيدك ! فخرج حسين ، فقال : اللهمّ أقدر لها خير من تعلم ! فلقي شابّاً منهم ، فقال : يا فلان اجعل أمرك بيدي ! فقال : هو بيدك .

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة : إنّني خطبت إلى أبي جعفر ابنته فاشترط رضا حسين ، فأدعه إليك حتّى يسلّم ! فجمع مروان الناس وجاء بالدفّ والسّكّر ، ودعا حسيناً فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أنّه خطب إلى عبد الله بن جعفر ، واشترط رضاك ، فسلّم له ! فحمد الله حسين وأثنى عليه ، ثمّ قال : أشهدكم أنّي قد

زوّجتها فلاناً ــ يعني الشابّ الذي لقيه ــ فقال مروان : أبيتم يا بني هاشم إلّا غدراً . فقال له حسين : نشدتك بالله هل تعلم أنّ الحسن بن عليّ خطب ابنة عثمان بن عفّان ، فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن ، وحضر الحسن لذلك ، فجئت أنتَ فخطبت ثمّ زوّجتها غيره ؟! فقال : نعم ! قال الحسين : فمن الغادر نحن أم أنتم ؟ ثمّ أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البُغَيْبغة . فباعها من معاوية بألفي ألف ، وأعطى الشابّ الذي زُوّج أرضاً له أُخرى قوّمت ألفي ألف . وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف .

كان الأئمّة عليهم السلام يريدون أمراً أحياناً ، ويقدّر الله غيره . سئل أمير المؤمنين عليه السلام : بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟!

فَقَالَ : بِفَسْخ العَزَائِمِ وَنَقْضِ الهِمَمِ . لَمّا هَمَمْتُ فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَمّي . وَعَزَمْتُ فَخَالَفَ القَضَاءُ وَالقَدَرُ عَزْمِي . عَلِمْتُ أَنّ المُدَبّرَ غَيْرِي !

ورُوي في «نهج البلاغة» : عَرَفْتُ اللَهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ العَزَائِمِ وَحَلّ العُقُودِ . (٣٤٢)

وَكَانَ عَلَيْهِ السّلَامُ يُسَلّمُ عَلَى النّسَاءِ وَيَكْرَهُ السّلَامَ عَلَى الشّابّةِ مِنْهُنّ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السّلَامُ : أَتَخَوّفُ أَنْ يُعْجِبَنِي صَوْتُهَا فَيَدْخُلَ عَلَيّ أَكْثَرُ مِمّا طَلَبْتُ مِنَ الأَجْرِ . (٣٤٣)

قال الشيخ المفيد : روى عبد الله بن ميمون القدّاح عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال : اصْطَرَعَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السّلَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيهاً (٣٤٤) حَسَنُ ! خُذْ حُسَيْناً !

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السّلَامُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَتَسْتَنْهِضُ الكَبِيرَ عَلَى الصّغِيرِ ؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هَذَا جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ يَقُولُ لِلحُسَيْنِ : إِيهاً حُسَيْنُ خُذِ الحَسَنَ . (٣٤٥)

وكان سيّد الشهداء عليه السلام شديد الحبّ لسُكينة وأُمّها الرباب . وكانت الرباب ابنة امرئ القيس . وتتضمّن قصّة زواجها منه شرحاً لطيفاً . (٣٤٦)

قال أبو الفرج : حدّثني عوف بن خارجة المُرّيّ قال : والله إنّي لعند عمر بن الخطّاب في خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلح أمعر (٣٤٧) يتخطّى رقابَ الناس حتّى قام بين يدي عمر فحيّاه بتحيّة الخلافة . فقال له عمر : فمن أنتَ ؟ قال : أنا امرؤ نصرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ ! (٣٤٨) قال : فعرفه عمر .

فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهليّة يوم فلج .

قال عمر : فما تريد ؟! قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر فقبله . ثمّ دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة . فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه .

قال عوف : فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصلّ للّهِ جلّ وعزّ ركعة قطّ أُمّر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض عليّ بن أبي طالب عليه السلام من المجلس ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام حتّى أدركه . فأخذ بثيابه ، فقال له : يا عَمّ ! أَنَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمّ رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلّمَ وَصِهْرُهُ ، وَهَذَانِ ابْنَايَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ مِن ابْنَتِهِ وَقَدْ رَغِبْنَا فِي صِهْرِكَ فَأَنْكِحْنَا !

فَقَالَ : قَدْ أَنْكَحْتُكَ يَا عَلِيّ المَحْيَاةَ : ابْنَةَ امْرِئ القَيْسِ ! وَأَنْكَحْتُكَ يَا حَسَنُ سَلْمَى : ابْنَةَ امْرِئ القَيْسِ ! وَأَنْكَحْتُكَ يَا حُسَيْنُ الرّبَابَ : ابْنَةَ امْرِئ القَيْسِ ! (٣٤٩)

نرى من الضروريّ هنا أن نذكّر أنّ بعض السفهاء يظنّون أنّ وقائع عاشوراء كانت هيّنةً عاديّة على سيّد الشهداء عليه السلام . وأنّ المعاناة والمشقّة والعطش والجرح والقتل والأسر كلّها أُمور سهلة يسيرة ، إذ إنّ الإمام عليه السلام ذا الروح الملكوتيّة لا يؤثّر عليه العطش والجوع والجرح والشمس والسيف البتّار . فهو يواجه هذه الأشياء كلّها بوجوده النورانيّ والتجرّديّ وكأنّها حلواء لذيذة الطعم . ثمّ يتعجّبون من عليّ الأكبر كيف قال لأبيه : العطش قتلني ، وثقل الحديد أجهدني ؟!

ويجيبون أنّ أباه روّاه بوضع لسانه أو خاتمه في فيه . والمراد من ثقل الحديد ليس ثقل الدرع ، بل هو كناية عن عظمة الجيش المتدرّع بالحديد الحامل للسيوف إذ يحول دون حملته . (٣٥٠)

وهذا فهم غير سديد . فقد كان سيّد الشهداء عليه السلام بشراً له جسم طبيعيّ . وكان يُدرك العطش جيّداً ، ويشعر بالجرح جيّداً ، ويحسّ بعويل النساء وصيحات الأطفال : العطش العطش . بل كان أكثر منّا في ذلك بكثير لأنّه كان إنساناً كاملاً . ويستلزم الكمال في الإنسانيّة ظهور المحبّة والمودّة للمخلوقات الإلهيّة ، وإدراك اللوازم البدنيّة والطبيعيّة التي تعدّ شرطاً لمقام جمع الجمع بنحو أعمق في نفسه .

أجل ، إنّ عشقه للّه ، وتفانيه في القرآن والسنّة النبويّة ، ومنهاج الولاية العلويّة ، وبصيرته وعمق وعيه لانحراف التأريخ والتفسير والحديث وغصب الحكّام الغرباء عن الدين ومعارفه ، الذين وصل بهم الدور إلى يزيد الفاسق الفاجر ، كلّ ذلك قد ضيّق عليه الدنيا فلم يجد دواءً مفيداً لتنبيه الناس إلّا الشهادة والجراح والأسر . ولذا سنّ هذا المنهاج بعشق ، وتحرّك للقضاء على الحكومة الأمويّة المتفرعنة ، تلك الحركة التي لا تتوقّف ولا رجعة فيها ، وإن كانت واقعة الطفّ قد حدثت في منتصف الطريق فَسَلَامٌ عَلَيْهِ ثُمّ سَلَامٌ عَلَيْهِ ثُمّ سَلَامٌ عَلَيْهِ . وَاللّعْنُ عَلَى عَدُوّهِ ، ثُمّ اللّعْنُ عَلَى عَدُوّهِ ، ثُمّ اللّعْنُ عَلَى عَدُوّهِ .

أَرأيتم كيف أثّر عليه استشهاد فِلْذَتَي كَبدِهِ : عليّ الأكبر وطفله الرضيع ، فسوّد الدنيا في عينيه ؟ بَيدَ أنّه تلقّى ذلك بعشق لأنّه كان لِلّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَهِ وَإِلى اللَهِ .

الطفل الرضيع أُمّه الرباب [٣٥١] ابنة امرئ القيس بن عديّ ، وأُمّها هند الهنود . قال السيّد ابن طاووس رحمه الله : ولمّا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته ، عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى : هَلْ مِنْ ذَابّ يَذُبّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟! هَلْ مِنْ مُوَحّدٍ يَخَافُ اللَهُ فِينَا ؟! هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللَهَ بِإغاثَتِنَا ؟! هَلْ مِنْ مُعينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَهِ فِي إعانَتِنَا ؟!

فارتفعت أصوات النساء بالعويل . فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب : نَاوِلِينِي وَلَدِيَ الصّغِيرَ حَتّى أُوَدّعَهُ . فَأَخَذَهُ وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ لِيُقَبّلَهُ ، فَرَمَاهُ حَرْمَلَةُ بْنُ كَاهِلِ الأَسَدِيّ لَعَنَهُ اللَهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَذَبَحَهُ .

در كمان بنهاد تيرى حرمله
او فتاد اندر ملايك غلغله
رست چون تير از كمان شوم او
پر زنان بنشست بر حلقوم او
چون دريد آن حلق ، تير جانگداز
سر ز باروى يد الله كرد باز
تا كمان زه خورده چرخ پير را
كس نديده دو نشان يك تير را
شه كشيد آن تير و گفت اى داورم
داورى خواه از گروه كافرم
نيست اين نو باوه پيغمبرت
از فصيل ناقه‌اى كم در برت [٣٥٢]

وما أجمل قول الشاعر وهو يصوّر هذا المنظر !

وَمُنْعَطِفٍ أَهْوَى لِتَقْبِيلِ طِفْلِهِ
فَقَبّلَ مِنْهُ قَبْلَهُ السّهْمُ مَنْحَرا

فقال عليه السلام لزينب : خُذِيهِ ، ثُمّ تَلَقّى الدّمَ بِكَفّيْهِ فَلَمّا امْتَلَأَتَا رَمَى بِالدّمِ نَحْوَ السّمَاءِ ، ثُمّ قَالَ : هَوّنَ عَلَيّ مَا نَزَلَ بِي أَنّهُ بِعَيْنِ اللَهِ !

وفي «الاحتجاج» : أنّه لمّا بقي فرداً ليس معه أحد إلّا ابنه عليّ بن الحسين ، وابن آخر في الرضاع اسمه عبد الله ، أخذ الطفل ليودّعه ، فإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبة الصبيّ فقتله . فنزل عن فرسه وحفر للصبيّ بجفن سيفه ورمّله بدمه ودفنه . [٣٥٣]

هذا الطفل الرضيع الذبيح وسكينة من أُمّ واحدة ، وهي الرباب ابنة امرئ القيس ، المارّ ذكرها . وكان سيّد الشهداء عليه السلام شديد الحبّ لسكينة والرباب ، وهما أيضاً كانتا تحبّانه إلى درجة أنّ ابن الأثير ذكر في أحوال الرباب زوجة الحسين عليه السلام

أنّها بقيت بعده سنة لم يظلّها سقف بيت حتّى بليت وماتت كَمَداً . وقيل : إنّها أقامت على قبره سنةً وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه .

أمّا حبّ الحسين عليه السلام لسكينة فقد بلغ مبلغاً أنّه خاطبها بقوله : لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً !

لاحظوا مدى مقام مودّته في عالم الكثرات على أساس محبّة عالم الوحدة كم كان رفيعاً عالياً صحيحاً ، إذ إنّ قطرات من دموع ابنته العزيزة تحرق قلبه حسرةً . هذه كلّها نكات وحِكَم .

ذكر المرحوم المحدّث القمّيّ والمرحوم آية الله الشعرانيّ أنّه رُوي في بعض المقاتل أنّ الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعى التفت إلى الخيمة ونادى : يَا سُكَيْنَةُ ! يَا فَاطِمَةُ ! يَا زَيْنَبُ ! يَا أُمّ كُلْثُومَ ! عَلَيْكُنّ مِنّي السّلَامُ ! [٣٥٤] فنادته سكينةُ : يَا أَبَه ! استَسْلَمْتَ لِلمَوْتِ ؟! فَقَالَ : كَيْفَ لَا يَستَسْلِمُ لِلمَوْتِ مَن لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ ؟!

... فَأَقْبَلَتْ سُكَيْنَةُ وَهِيَ صَارِخَةٌ وَكَانَ يُحِبّهَا حُبّاً شَدِيداً . فَضَمّها إلى صدره ومسح دموعها وقال :

سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سُكَيْنَةُ فَاعْلَمِي
مِنْكِ البُكَاءُ إذَا الحِمَامُ دَهَانِي
لَا تُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكِ حَسْرَةً
مَادَامَ مِنّي الرّوحُ فِي جُثْمَانِي
فَإذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِالّذِي
تَبْكِينَهُ يَا خَيْرَةَ النّسْوَانِ [٣٥٥]

أجل ، لم أجد في المقاتل أنّ اسم الطفل الرضيع ، الذي استُشهد وأُمّه الرباب ، عليّ أو عليّ الأصغر . وذكر البعض أنّ اسمه عبد الله . بَيدَ أنّ الثابت عندي هو أنّ هذا الطفل اختار الشهادة بإرادته واختياره ولبّى نداء أبيه . وهذا سرّ من أسرار عالم الخلقة ، إذ تمليك الأطفال إدراكاً واختياراً وقوّة معنويّة للجذب والتنفير . فلهذا ضحّى هذا الطفل الرضيع بنفسه على منهاج أبيه .

وَالسّلَامُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ صَارَ عَطْشَاناً وَيَوْمَ ذُبِحَ فِي يَدَيْ أَبِيهِ قَبْلَ أَنْ يُقَبّلَهُ وَيُوَدّعَهُ .

وَأَمّا استشهاد عليّ الأكبر روح سيّد الشهداء عليهما السلام ، فالثابت أنّه كان أكبر ولد الإمام عليه السلام ، وكان له من العمر خمس وعشرون سنةً وله زوجة وولد . [٣٥٦] وكان أشبه الناس بجدّه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً .

في «إرشاد» المفيد : أُمّه ليلى ابنة أبي مُرّة بن عُروة بن مسعود الثقفيّ من بني ثقيف . جدّه عروة بن مسعود هو أحد السادة الأربعة في الإسلام ، وأحد رجلين عظيمين في قوله تعالى حكاية عن كفّار قريش : وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . (٣٥٧)

وهو الذي أرسلته قريش إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم الحديبيّة فعقد معه الصّلح وهو كافر . ثمّ أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع المصطفى من الطائف ، واستأذن النبيّ صلّى الله عليه وآله في الرجوع لأهله . فرجع ودعا قومه إلى الإسلام . فرماه واحد منهم بسهمٍ وهو يؤذّن للصلاة فمات . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا بلغه ذلك : مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه .

(كذا في «شرح الشمائل المحمّديّة» في شرح قوله صلّى الله عليه وآله : ورأيتُ عيسى ابن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيتُ به شبهاً عروة بن مسعود) .

روى الجَزَريّ في «أُسد الغابة» عن ابن عبّاس أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أربعة سادة في الإسلام : بِشر بن هلال العبديّ ، وعديّ بن حاتم الطائيّ ، وسُراقة بن مالك المُدلَجيّ ، وعُروة بن مسعود الثقفيّ .

وقال في «الملهوف» : مِنْ أصبَحِ النّاسِ وَجْهاً وَأَحْسَنِهِمْ خُلْقاً ، فَاسْتَأْذَنَ أَبَاهُ فِي القِتَالِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، ثُمّ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ آيسٍ مِنْهُ وَأَرْخَى عَلَيْهِ السّلَامُ عَيْنَهُ وَبَكَى .

وروى محمّد بن أبي طالب في مقتله إنّهُ عَلَيْهِ السّلَامُ رَفَعَ شَيْبَتَهُ نَحْوَ السّمَاءِ وَقَالَ : اللّهُمّ اشْهَدْ عَلَى هَؤلَاءِ القَوْمِ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النّاسِ خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَنْطِقاً بِرَسُولِكَ . كُنّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيّكَ نَظَرْنَا إِلَى وَجْهِهِ .

اللّهُمّ امْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ ، وَفَرّقْهُمْ تَفْرِيقاً ، وَمَزّقْهُمْ تَمْزِيقاً ، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَداً ، وَلَا تُرْضِ الوُلَاةَ عَنْهُمْ أَبَداً ! فَإِنّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمّ عَدَوْا عَلَيْنَا يُقَاتِلُوننَا .

ثمّ صاح بعمر بن سعد : مَا لَكَ ؟ قَطَعَ اللّهُ رَحِمَكَ ، (٣٥٨) وَلَا بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِي أَمْرِكَ ، وَسَلّطَ عَلَيْكَ مَنْ يَذْبَحُكَ بَعْدِي عَلَى فِرَاشِكَ كَمَا قَطَعْتَ رَحِمِي وَلَمْ تَحْفَظْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . ثُمّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَتَلَا : «إِنّ اللّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَ هِيمَ وَءَالَ عِمْرَ نَ عَلَى الْعَلَمِينَ * ذُرّيّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . (٣٥٩)

وعن «أمالي» الصدوق ، و«روضة الواعظين» لابن فتّال : وبرز من بعده (أي : بعد عبد الله بن مسلم بن عقيل) عليّ بن الحسين عليه السلام . فلمّا برز إليهم دمعت عين الحسين عليه السلام فقال : اللّهُمّ كُنْ أَنْتَ الشّهِيدَ عَلَيْهِمْ فَقَد بَرَزَ إِلَيْهِمْ ابْنُ رَسُولِكَ وَأَشْبَهُ النّاسِ وَجْهاً وَسَمْتاً بِهِ !

وقال محمّد بن أبي طالب : رفع الحسين عليه السلام سبّابته نحو السماء (وفي نسخة : قبض على لحيته) كما قال الشاعر :

شه عشّاق ، خلّاق محاسن
به كف بگرفت آن نيكو محاسن
به آه و ناله گفت : أى داور من
سوى ميدان كين شد أكبر من
به خَلق و خُلق آن رفتار و كردار
بُد اين نورسته همچون شاه مختار [٣٦٠]

وأخذ عليّ الأكبر عليه السلام يرتجز ويقول :

أَنَا عَلِيّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِي
نَحْنُ وَبَيْتِ اللَهِ أَوْلَى بِالنّبِي
مِنْ شَبَثٍ وَشَمِرٍ [٣٦١] ذَاكَ الدّنِي
أَضْرِبُكُمْ بِالسّيْفِ حَتّى يَنْثَنِي
ضَرْبَ غُلَامٍ هَاشِمِيّ عَلَوِي
وَلَا أَزَالُ اليَوْمَ أَحْمِي عَنْ أَبِي
تَاللَهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدّعِي

وشدّ على الناس مراراً ــ وقال في «روضة الصفا» : ــ اثنتي عشرة مرّة ــ وقتل منهم جمعاً كثيراً حتّى ضجّ الناس من كثرة مَن قُتِلَ منهم . وروي أنّه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً . وفي «المناقب» : أنّه قتل سبعين مبارزاً . ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال :

يَا أَبَة ! العَطَشُ قَدْ قَتَلَنِي وَثِقْلُ الحَدِيدِ أَجْهَدَنِي ، فَهَلْ إِلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ سَبِيل أَتَقَوّى بِهَا عَلَى الأَعْدَاءِ ؟ [٣٦٢]

فَبَكَى الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السّلَامُ وَقَالَ : وَاغَوْثَاهُ ! يَا بُنَيّ قَاتِلْ قَلِيلاً ! فَمَا أَسْرَعَ مَا تَلْقَى جَدّكَ مُحَمّداً صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ الأَوْفَى شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً ! [٣٦٣]

فرجع إلى القتال وهو يقول :

الحَرْبُ قَدْ بَانَتْ لَهَا الحَقَائِقُ
وَ ظَهَرَتْ مِنْ بَعْدِهَا مَصَادِقُ
وَاللَهِ رَبّ العَرْشِ لَا نُفَارِقُ
جُمُوعَكُمْ أَوْ تُغْمَدَ البَوَارِقُ

فلم يزل يقاتل حتّى قتل إتمام المائتين ، وكان أهل الكوفة يتّقون قتله . فبصر به مُرّة بن مُنقِذ بن النّعمان العَبْديّ الليْثيّ فقال : عَلَيّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه ! فمرّ يشدّ على الناس بسيفه فاعترضه مُرّة بن منقذ فطعنه فصُرع .

في «الإرشاد» ، و«تاريخ الطبريّ» : اعترضه مُرّة ، وطعنه ، فصرعه . واحتواه الناس فَقَطّعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ إرباً إرباً .

وقال أبو الفرج : وجعل يكرّ كرّة بعد كرّة حتّى رُميَ بسهمٍ فوقع في حلقه فخرقه . وأقبل ينقلب في دمه ، ثمّ نادى : يَا أَبَتَاهُ عَلَيْكَ السّلَامُ ! هذا جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول : عَجّل القدومَ إلينا . وَشَهِقَ شَهْقَةً فَارَقَ الدّنْيَا .

وفي بعض المقاتل : ثمّ ضربه منقذ بن مُرّة العبديّ لعنه الله على مفرق رأسه ضربةً صرعته وضربه الناس بأسيافهم .

ثمّ اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداء فَقَطّعُوهُ بِسيُوفِهِمْ إرْباً إرْباً . فَلَمّا بَلَغَتِ الرّوحُ التَرَاقِي قَالَ رَافِعاً صَوْتَهُ : يَا أَبَتَاهُ ! هَذَا جَدّي رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ الأَوْفَى شَرْبَةً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً وَهُوَ يَقُولُ : العَجَلَ ! فَإنّ لَكَ كَأْساً مَذْخُورَةً حَتّى تَشْرَبَهَا السّاعَةَ !

سوی لشکر گه دشمن شدی تفت
ندانم که کرا برد و کجا رفت
همی دانم که جسم جان جانان
مقطّع گشت چون آیات قرآن
چو رفت از دست شاه عشق دلبند
دوان شد از پی گم گشته فرزند
صف دشمن دریدی از چپ وراست
نوای الحذر از نینوا خاست (٣٦٤)
عُقابی دید ناگه پر شکسته
علی افتاده زین از هم گسسته
سری بی افسر و فرقی دریده
به جانان بسته جان ، از خود بریده
فرود آمد ز زین آن با جلالت
چو پیغمبر ز معراج رسالت
بگفت با آن چکیده جان عشقش
پس از تو خاك بر دنیا و عیشش (٣٦٥)

قال حميد بن مسلم : سماع أُذني يومئذٍ من الحسين عليه السلام يقول : قَتَلَ اللَهُ قَوْماً قَتَلُوكَ يَا بُنَيّ ! مَا أَجْرَأَهُمو عَلَى الرّحْمَنِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرّسُولِ . وَانْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ بِالدّمُوعِ ثُمّ قَالَ : عَلَى الدّنْيَا بَعْدَكَ العَفَا ! (٣٦٦)

چو رفت از دست شاه عشق پیوند
روان شد از پی گم گشته فرزند
توانائی شدش از تن ، ز سر هوش
گرفت آن پیکر خونین در آغوش (٣٦٧)
چو آوردند تمثال پیمبر
برون از خیمه آمد دخت حیدر
روان شد سوی نعش برگزیده
به دنبالش زنان داغدیده
چنان زد صیحه لیلای (٣٦٨) جگر خون
که عقل ما سِوی گردید مجنون (٣٦٩)

* * *

سر نهادش بر سر زانوی ناز
گفت کای بالیده سرو سرفراز
ای درخشان اختر برج شرف
چون شدی سهم حوادث را هدف
ای به طرف دیده خالی جای تو
خیز تا بینم قد رعنای تو (٣٧٠)
بیش از این بابا دلم را خون مکن
زاده لیلی مرا مجنون مکن
ای نگارین آهوی مشگین من
با تو روشن چشم عالم بین من
رفتی و بردی ز چشم باب تاب
أکبرا بی تو جهان بادا خراب
تو سفر کردی و آسودی ز غم
من در این وادی گرفتار الم (٣٧١)

* * *

يَا كَوْكَباً مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ
وَ كَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ الأَسْحَارِ

عَجِلَ الخُسُوفُ إلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ
فَغَشَاهُ قَبْلَ مَظَنّةِ الإبْدَارِ [٣٧٢]
إنّ الكَوَاكِبَ فِي مَحَلّ عُلُوّهَا
لَتُرَى صِغَاراً وَهِيَ غَيْرُ صِغَارِ
أَبْكِيهِ ثُمّ أَقُولُ مُعْتَذِراً لَهُ
رَفَقْتَ حِينَ تَرَكْتَ أَلْأَمَ دَارِ
فَإذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوّلُ مَنْطِقِي
وَإذَا سَكَتّ فَأَنْتَ فِي مِزْمَارِي [٣٧٣]

قال المحدّث القمّيّ نقلاً عن الطبريّ ، وأبي الفرج ، وابن طاووس ، عن الشيخ المفيد رحمه الله :

وَخَرَجَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السّلَامُ مُسْرِعَةٌ تُنَادِي : يَا أُخَيّاهْ وَابْنَ أُخَيّاهْ ! وَجَاءَتْ حَتّى أَكَبّتْ عَلَيْهِ . فَأَخَذَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السّلَامُ بِرَأْسِهَا فَرَدّهَا إلَى الفُسْطَاطِ وَأَمَرَ فِتْيَانَهُ فَقَالَ : احْمِلُوا أَخَاكُمْ (وفي ط و ح) فَحَمَلُوهُ مِنْ مَصْرَعِهِ حَتّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَي الفُسْطَاطِ الّذِي كَانُوا يُقَاتِلُونَ أَمَامَهُ .

أنشد جدّ آية الله الشعرانيّ رحمهما الله في ذلك قائلاً :

چو آفتاب برآمد ز خيمه خورشيدى
كه آفتاب نمى‌ديد هيچگه رويش
ز داغ سرو قدى موكَنان ومويه كُنان
بسان فاخته هر سو خروش كوكويش [٣٧٤]

قال الطريحيّ : روي أنّه لمّا قُتل عليّ بن الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء ، أقبل عليه الحسين عليه السلام وعليه جبّة دكناء وعمامة مورّدة وقد أرخى لها غرزتين ، فقال مخاطباً له :

أَمّا أَنْتَ يَا بُنَيّ فَقَدِ استَرَحْتَ مِنْ كَرْبِ الدّنْيَا وَغَمّهَا وَمَا أَسْرَعَ اللّحُوقَ بِكَ !

وقال المرحوم المحدّث القمّيّ رحمه الله بعد بحثٍ دار حول عليّ الأكبر عليه السلام في أنّه أوّل شهيد من أهل بيت سيّد الشهداء عليه السلام ذاكراً الدليل ممّا اختاره الطبريّ ، والجزريّ ، والإصفهانيّ ، والدينوريّ ، والشيخ المفيد ، والسيّد ابن طاووس ، وغيرهم : ويؤيّد ذلك الزيارة المشتملة على أسامي الشهداء :

السّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوّلَ قَتِيلٍ مِنْ نَسْلِ خَيْرِ سَلِيلٍ . [٣٧٥]

وقال أيضاً : واختلفوا أيضاً في سنّه الشريف اختلافاً عظيماً ... فيكون هو الأكبر ، وهذا هو الأصحّ والأشهر .

قال فحل الفقهاء الشيخ الأجلّ محمّد بن إدريس الحلّيّ في «السرائر» في خاتمة كتاب الحجّ : فإذا كانت الزيارة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام يزار ولده عليّ الأكبر ، وأُمّه ليلى ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّ ، وهو أوّل قتيل في الوقعة يوم الطفّ من آل أبي طالب عليه السلام .

وولد عليّ بن الحسين هذا في إمارة عثمان . وقد روى عن جدّه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام . وقد مدحه الشعراء . وروي عن أبي عبيدة وخلف الأحمر أنّ هذه الأبيات قيلت في عليّ بن الحسين الأكبر المقتول بكربلاء قدّس الله روحه :

لَمْ تَرَ عَيْنٌ نَظَرَتْ مِثْلَهُ
مِنْ مُحْتَفٍ يَمْشِي وَلَا نَاعِلِ
يُغْلِي بِنَيّ (٣٧٦) اللّحْمِ حَتّى إذَا
أُنْضِجَ لَمْ يَغْلِ عَلَى الآكِلِ
كَانَ إذَا شَبّتْ لَهُ نَارُهُ
يُوقِدُهَا بِالشّرَفِ الكَامِلِ
كَيْمَا يَرَاهَا بَائِسٌ مُرْمِلٌ
أَوْ فَرْدُ حَيّ لَيْسَ بِالآهِلِ
أَعْنِي ابْنَ لَيْلَى ذَا السّدَى وَالنّدَى
أَعْنِي ابْنَ بِنْتِ الحَسَبِ الفَاضِلِ
لَا يُؤْثِرُ الدّنْيَا عَلَى دِينِهِ
وَلَا يَبِيعُ الحَقّ بِالبَاطِلِ

إلى أن قال المحدّث القمّيّ :

ويؤيّد ذلك مضمون الأبيات الواردة في مدحه عليه السلام ، وما رواه أبو الفرج عن المغيرة قال : قال معاوية : مَنْ أَحَقّ النّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ ؟

قَالُوا : أَنْتَ !

قَالَ : لَا ! أَوْلَى النّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ عَلِيّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنُ عَلِيّ عَلَيْهِمُ السّلَامُ ، جَدّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَفِيهِ شَجَاعَةُ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسَخَاءُ بَنِي أُمَيّةَ ، وَزَهْوَ ثَقِيفٍ .

هذا الكلام ، وتلك الأبيات المذكورة في علوّ الصفات ، وقول معاوية الجدير بالثناء : إنّه أولى الناس بخلافة رسول الله ، كلّ ذلك يدلّ على أنّه لم يكن ابن ثماني عشرة سنةً ، لأنّ صبيّاً مثله لا يقال فيه هذا الكلام .

ذكر أبو جعفر الطبريّ في منتخب «ذيل المُذَيّل» في تأريخ الصحابة والتابعين :

أنّ أُمّ عليّ هي آمنة ابنة أبي مُرّة بن عروة بن مسعود ، وأُمّها ابنة أبي سفيان .

وقال حسّان بن ثابت في مدح عليّ الأكبر :

طَافَتْ بِنَا شَمْسُ النّهَارِ وَمَنْ رَأَى
مِنَ النّاسِ شَمْساً بِالعِشَاءِ تَطُوفُ ؟
أَبُو أُمّهَا أَوْفَى قُرَيْشٍ بِذِمّةٍ
وَأَعْمَامُهَا إمّا سَأَلْتَ ثَقِيفُ

ومنهم من ينسب هذين البيتين إلى عمر بن أبي ربيعة ، ويروي «شمس العشاء» مكان «شمس النهار» . (٣٧٧)

أبو سفيان

أُمّ ليلى

معاوية

ليلى

يزيد

عليّ الأكبر عليه السلام

وعلى هذا فمعاوية عليه الهاوية خال ليلى أُمّ عليّ الأكبر عليه السلام ، ويزيد عليه اللعنة بما لا مزيد ابن خال ليلى ، وابن خال أُمّ عليّ الأكبر عليه السلام .

من هنا كان معاوية يراه أهلاً للخلافة لانتسابه الثلاثيّ . أمّا سخاء بني أُميّة الذي عدّه من فضائلهم فهو كذب محض . فالسخاء كلّه سخاء بني هاشم . والأموال التي كان يبذّرها معاوية من بيت مال المسلمين بلا حساب من أجل حكومته وإمارته الشيطانيّة ، لا ينبغي أن نحسبها سخاءً .

وجملة القول : استبان ممّا جاء في هذا البحث أنّ عليّ الأكبر عليه السلام لم يكن ذلك القويّ الذي لا تؤثّر فيه ضربات الأسلحة من سيف ورمح وغيرهما . كما لم يكن مضطرّاً في تحرّكه واستشهاده ، فيأخذ سيفه ويقتل به الكفّار تلقائيّاً . وهو نفسه قال : أَبَه ! العطش قتلني وثقل الحديد أجهدني . ولم يكن عند أبيه ماء فيُعطيه . ولم يرد أن يعمل خلاف سنّة الجهاد ، والقتل في سبيل الله ، والتضحية في سبيل الدين ، فيقوم بمعجزة أو كرامة ، وإلّا فإنّه كان قادراً على ذلك بسهولة ، وحينئذٍ لم تكن كربلاء بهذا الشكل الذي نعهده .

عندما قال رسول الله للحسين عليهما الصلاة والسلام : وَإِنّ لَكَ فِي الجِنَانِ لَدَرَجَاتٍ لَنْ تَنَالَهَا إلّا بِالشّهَادَةِ ! (٣٧٨) فهذا يعني أنّ عليك أن تذهب في سفرك خطوة خطوة بإرادتك واختيارك متحمّلاً المشاقّ والمصائب ، وصابراً في سبيل الله ، ومضحّياً بنفسك وبابنك عليّ الأكبر ، بتلك الكيفيّة المعهودة ، حتّى تبلغ مقصودك !

وهذا السيّد الأمير الحرّ الذي هو مثال النبيّ يجب أن يكون رفيقك في هذا الطريق بنحوٍ يتحقّق فيه هُو الهُويّة الحقيقيّة من نفسيكما الروحانيّتين لجميع أهل العالم ، وتُروى

جذور شجرة الإسلام التي يبست ، وتنقرض حكومة بني أُميّة : معاوية ويزيد وبني مروان ، ولا يبقى لهم أثر . ويتّضح لكافّة أهل هذا العالم وذلك العالم الملكوتيّ أنّ الحقّ غير الباطل .

كان عليّ الأكبر أمل قلب أبيه . فرع من شجرة ، ووشيجة من ساق . وهو كأبيه في أُسلوب تفكيره ومرامه ومقصده . وينطبق عليه ما قيل : كَأَنّهُ هُوَ ، بَلْ إنّهُ هُوَ .

لذا عاد إلى ميدان القتال ، وقاتل بجسمه الجريح ولَبانه الذاوي وفمه الجافّ وكبده الحرّان في شدّة حرارة الصيف ، إذ كان يوم عاشوراء الخامس والعشرين من السرطان على أساس المحاسبة النجوميّة . أجل ، قاتل قتالاً أدهش الصديق والعدوّ ، وهو يقول : أَحْمِي عَنْ أَبِي . لهذا له في يوم القيامة مقام لا يناله الشهداء والصدّيقون .

نقل المحدّث القمّيّ عن كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد فقال : ولمّا كان في آخر الليل أمر الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء . ثمّ أمر بالرحيل ، فارتحل من قصر بني مقاتل . فقال عقبة بن سمعان : سرنا معه ساعة ، فخفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه خفقة ، ثمّ انتبه وهو يقول : إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العَالَمِينَ . ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً . فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام على فرس فقال : لِمَ حَمِدتَ اللَهَ واسترجعتَ ؟! فقال : يَا بُنَيّ ! إنّي خَفَقْتُ خَفْقَةً فَعَنّ ــ أي : ظَهَرَ ــ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ : القَوْمُ يَسْيرُونَ وَالمَنَايَا تَسيرُ إلَيْهِمْ ، فَعَلِمْتُ أَنّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إلَيْنَا !

فقال له ابنه : يَا أَبَهَ ! لَا أَرَاكَ اللَهُ سُوءاً ! أَلَسْنَا عَلَى الحَقّ ؟ !

قال : بَلَى وَالّذِي إلَيْهِ مَرْجِعُ العِبَادِ !

قال : فَإنّنَا إذاً لَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقّينَ !

فقال له الحسين عليه السلام : جَزَاكَ اللَهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرَ مَا جَزَى وَلَداً عَنْ وَالِدِهِ ! (٣٧٩)

عندما نلحظ بالشهود والوجدان ، والفكر والبرهان ، والرواية والدراية أنّ كلّاً من الأئمّة عليهم السلام قد اختار طريقه وطواه بإرادته المحضة ، وأنّ بين ذراريهم عدداً من المنحرفين كعبد الله بن جعفر ، وجعفر بن حسن الكذّاب ، وموسى بن محمّد المبرقع وأمثالهم ، فَلِمَ نَغضّ الطرف ونقول : إنّ أولاد النبيّ وبني فاطمة جميعهم في الجنّة بلا استثناء ، وإنّ بني أُميّة كلّهم في جهنّم بلا استثناء ؟ ألا يعني هذا نسبة الظلم إلى الله تعالى ؟

وحينما نجد أنّ أفراداً من بني أُميّة كانوا أقوياء في ولائهم لمولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام ، ومخالفتهم للغاصبين : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان، ومعاوية ونظائرهم ، وأنّهم لم يبايعوا قطّ ، بل تحمّلوا السجن ، والتعذيب ، والمعاناة ، والقتل في

سبيل ذلك الولاء ، فلماذا نقول : هم في جهنّم لأنّهم من عِرقٍ أُمويّ ؟ هلمّوا فانظروا ولاحظوا !

الأوّل : خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القرشيّ الأمويّ ، عُرف بنجيب بني أُميّة . كان من صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله ، ومن السابقين الأوّلين ، وأحد المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام . هاجر إلى الحبشة مع جعفر ، وعاد معه .

حضر غزوة الطائف ، وفتح مكّة ، وغزوة حنين . وولّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله على جميع صدقات اليمن . وهو الذي عقد أُمّ حبيبة ابنة أبي سفيان للنبيّ صلّى الله عليه وآله في الحبشة وكالةً . ولمّا توفّي النبيّ لم يبايع أبا بكر حتّى بايع عليّ عليه السلام بالإكراه فبايع هو أيضاً كرهاً . وهو من الاثني عشر الذين اعترضوا على أبي بكر وأنكروا عليه خلافته يوم الجمعة حينما كان على المنبر . وهذه القصّة موجودة في كتابَي «الاحتجاج» و«الخصال» . (٣٨٠)

الثاني : محمّد بن أبي حُذَيفة بن عُتْبَة بن رَبيعة بن عبد شمس ، ابن خال معاوية بن أبي سفيان ، إلّا أنّه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وانصاره وشيعته . وقد حبسه معاوية مدّة من الزمن . وحواره معه بعد خروجه من السجن مشهور . وذكره المحدّث القمّيّ . وفي آخره قال لمعاوية : وَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أُحِبّ عَلِيّاً لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَأُبْغِضُكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ !

قال ابن أبي الحديد : إنّ محمّد بن أبي حُذيفة أُصيب لمّا فتح عمرو ابن العاص مصر ، فبعث به إلى معاوية ، فحبسه معاوية في سجن له . فمكث فيه كثير ، فهرب فذهب في طلبه رجل من خثعم يقال له : عبيد الله ابن عمرو بن ظلام ، وكان عثمانيّاً فوجده في غار ، فأخذه وضرب عنقه . (٣٨١)

الثالث : محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . كان يقال له : محمّد الديباج . وهو أخو عبد الله المحض ، وإبراهيم الغمر ، والحسن المثلّث لأُمّهم . ذلك أنّ الحسن المثنّى عندما مات فإنّ زوجته فاطمة ابنة الحسين عليه السلام أقامت العزاء على قبره سنة كاملة تحت خيمة قائمة ليلها صائمة نهارها . وطلب عبد الله بن عمرو بن عثمان يدها وألحّ على ذلك فرفضت رفضاً شديداً . ثمّ استجابت فتزوّجته ، وأولدها محمّداً . وهذا الزواج مذكور فى كتب التأريخ مفصّلاً .

ولم يكن محمّد الديباج من الموالين لأهل البيت عليهم السلام فحسب ، بل تحمّل في سبيلهم صنوف العذاب والضرب بالسياط والسجن إلى أن فاضت روحه إلى بارئها على هذا الطريق .

وكان شديد الحبّ لأخيه من أُمّه عبد الله حتّى كان عبد الله يقول : ليس في الدنيا أبغض إليّ من والد محمّد : عبد الله بن عمرو ، وليس فيها أحبّ إليّ من ولده محمّد .

هذه الأمثلة والنماذج الثلاثة تكفي هنا . وفي التأريخ شواهد كثيرة غيرها يطول الكلام بذكرها . وإذا قال أحد : جاء في زيارة عاشوراء المعروفة : اللَهُمّ الْعَنْ بَنِي أُميّةَ قَاطِبَةً ! فجوابه : أنّ هذا الدعاء مسوق للغلبة . أي : أغلب بني أُميّة من شيعة معاوية ويزيد ومروان هم هكذا . وتجري هنا القاعدة المعروفة : مَا مِنْ عَامّ إلّا وَقَدْ خُصّ . (٣٨٢)

أجل ، ونحن نريد أن نختم هذا المبحث ، نرى من المناسب أن ننقل روايةً ذكرها المرحوم المحدّث القمّيّ في كتاب «نفثة المصدور» . وتستبين فيها شدّة مشكلات الحرب وتحمّل العطش وحديد الدرع الحارّ في الشمس المحرقة على جراح الجسم ، ومقايسة محمّد ابن الحنفيّة بالحسنين عليهم السلام ، وتحمّله بالنسبة إلى عليّ الأكبر . وأورد المحدّث هذه الرواية تحت عنوان : فصلٌ ، فقال : في «بحار الأنوار» : روي في بعض مؤلّفات الأصحاب عن ابن عبّاس قال : لمّا كنّا في حرب صفّين دعا عليّ عليه السلام ابنه محمّد ابن الحنفيّة وقال له :

يا بُنَيّ ! شدّ على عسكر معاوية ! فحمل على الميمنة حتّى كشفهم . ثمّ رجع إلى أبيه مجروحاً فقال : يَا أَبَتَاه ! العَطَش ! العَطَش ! فسقاه جرعةً من الماء ، ثمّ صبّ الباقي بين درعه وجلده . قال ابن عبّاس : فوالله لقد رأيتُ علق الدم يخرج من حلق درعه . فأمهله ساعةً ، ثمّ قال له : يا بُنَيّ ! شدّ على الميسرة ! فحمل على ميسرة عسكر معاوية ، فكشفهم . ثمّ رجع وبه جراحات ، وهو يقول : المَاءَ ! المَاءَ ! يَا أَبَاهْ .

فسقاه جرعةً من الماء فصبّ باقيه بين درعه وجلده ، ثمّ قال : يا بُنيّ ! شدّ على القلب ! فحمل عليهم وقتل منهم فرساناً . ثمّ رجع إلى أبيه وهو يبكي وقد أثقلته الجراح . فقام إليه أبوه وقبّل ما بين عينيه ، وقال له : فداك أبوك ! فقد سررتني واللهِ يا بُنيّ بجهادك هذا بين يديّ ! فما يبكيك ؟! أفرحاً أم جزعاً ؟!

فقال : يا أبه ! كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرّات فسلّمني الله ؟! وها أنا مجروح كما ترى ! وكلّما رجعتُ إليك لتُمهلني عن الحرب ساعةً ، ما أمهلتني ! وهذان أخواي الحسن والحسين ما تأمرهما بشيءٍ من الحرب . فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقبّل وجهه ، وقال له : يا بُنيّ ! أنتَ ابني ، وهذان ابنا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أفلا أصونهما عن القتل ؟! فقال : بلى يا أبتاه ! جعلني الله فداك وفداهما من كلّ سوء ــ انتهى .

قال المرحوم المحدّث القمّيّ : إذا كان الحسين عليه السلام حاضراً في صفّين وشاهداً ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام بابنه محمّد لمّا رجع من قتال الأعداء قائلاً : العَطَش العَطَش ، من سقيه الماء وصبّ باقيه بين درعه وجلده ليسكن عنه حرارة الجراحات من

الحديد المحمى ، فكيف يكون حاله عليه السلام يوم عاشوراء إذا شهد ابنه عليّ بن الحسين راجعاً من قتال الأعداء وقد أصابته جراحات كثيرة وهو يقول : يَا أَبَهْ العَطَشُ قَدْ قَتَلَنِي وَثِقْلُ الحَدِيدِ أَجْهَدَنِي ، وشكا إلى أبيه العطش وشدّة وقع الحديد المحمى من درعه على جراحاته ، ولم يكن لأبيه عليه السلام ماء يبرّد كبده ويسكّن حرارة جراحاته ؟!

فبكى عليه السلام وقال : وَاغَوْثَاهُ ! يَا بُنَيّ قَاتِلْ قَلِيلاً فَمَا أَسْرَعَ مَا تَلْقَى جَدّكَ مُحَمّداً صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ الأَوْفَى شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً !

إلى أن قال المحدّث : وكان قد رُبّي في حجر عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام ، وأُدّب بأدبهما كما يشهد لذلك ما في الزيارة المعتبرة المنقولة في «الكافي» و«التهذيب» ، و«مَن لايحضره الفقيه» في السلام عليه : السّلَامُ عَلَيْكَ يَابْنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ .

إلى أن قال : كما في بعض المقاتل المعتبرة أنّه عليه السلام رفع شيبته نحو السماء وكان لسان حاله : أصابتني مصيبة فجيعة وداهية عظيمة ، فإنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله ؛ لأنّ الأخذ باللحية من علامة هجوم الحزن وكثرة الاغتمام ، كما أشار بذلك شيخنا رئيس المحدّثين أبو جعفر بن بابويه القمّيّ ! (٣٨٣)

أجل ، يستشفّ من كلام المرحوم المحدّث أنّ عليّ الأكبر قد تربّى في حِجر ذينك الإمامين العظيمين وتأدّب بآدابهما ، فلهذا هو بمنزلة الابن لهما معاً . والدليل هو السلام عليه بابن الحَسَنِ والحُسَيْنِ .

نقول هنا : لو كانت تربية الإمامين وآدابهما واحدةً تماماً بلا تفاوت ، فلا معنى لهذا الشرح والتفصيل ! وإذا كان الحزن عديم الأثر في الإمام ، وهو أمر صوريّ ، فماذا يعني رفع الشيبة واللجوء إلى الله تعالى والاشتكاء إليه من قوم معاندين ؟! لا ! لا ! ليس كذلك ، وكم نبتعد عن الحقيقة والواقع إذا نظرنا إلى الإمام على أنّه قويّ الجسم ، وأنّه مَلَكٌ ليست له جوارح بشريّة ، وأنّ الحرب ، والجرح ، والأسر ، والنهب أُمورٌ شبيهة بدمى الأطفال ولعبة خيال الظلّ ! إنّ سيّد الشهداء عليه السلام ــ مع جميع الإمكانات والتعيّنات البشريّة ، وكافّة القوى والجوارح المدركة للملذّات المادّيّة والطبيعيّة ، ومع وجود النفس الواسعة المحبّة للرئاسة الغريزيّة بعيدة عن رضا الحقّ ــ قد عبر هذه المنازل والمراحل كلّها ، وأودعها في ملفّ النسيان ، وضحّى بها جميعاً فداءً للمحبوب ، وضرب عن العالَم صفحاً بسبب عشقه الإلهيّ ، وتحرّك فارس الميدان وحده عجلاً إلى الله سبحانه ، وطلّق كلّ شيء في الحياة ، وأنزل حاجته في مقام العزّة الربوبيّة بلباس بالٍ ممزّق ، وجسمٍ قد أثخنته الجراح ، صلّى الله عليك يا أبا عبد الله !

كم نراه مناسباً هنا ، ونحن ننوي إنهاء هذا الجزء من «معرفة الإمام» ، أن ننقل كلاماً لآية الله الكبير الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء من كتابه «جنّة المأوى» . قال :

التّضحيَةُ فِي ضَاحِيَةِ الطّفّ

إنّ التضحية والفداء اللذين تسامى وتعالى بهما إمام الشهداء وأبو الأئمّة يوم الطفّ من أيّة ناحيةٍ نظرتَ إليهما ، ومن كلّ وجهةٍ اتّجهتَ لهما متأمّلاً فيهما ، أعطياك دروساً وعِبراً ، وأسراراً وحكماً تخضع لها الألباب وتسجد في محراب عظمتها العقول . واقعة الطفّ وشهادة سيّد الشهداء وأصحابه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرات والعظات البليغة فهي :

كَالبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَفَتّ وَجَدْتَهُ
يُهْدِي إلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِباً

أو :

كَالشّمْسِ فِي كَبِدِ السّمَاءِ وَنُورُهَا
يَغْشَى البِلَادَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا

أو :

كَالبَحْرِ يَمْنَحُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً
غُرَراً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزينتها وزخارفها التي يتكالب عليها البشر ، ويتهاوى على مذبحها كلّ يوم ضحايا الأنام ، هذه الدنيا التي اتّخذها كلّ واحدٍ من الناس ربّاً وصار عبداً لها ولمن في يده شيء منها ، فلعبت بهم ولعبوا بها ، هذه الدنيا وشهواتها التي أشار جلّت عظمته إلى جمهرتها بقوله تعالى :

زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبّ الشّهَوَ تِ مِنَ النّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَالْفِضّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوّمَةِ . (٣٨٤) كانت كلّ هذه النفائس الدنيويّة قد تَوفّرَ للحسين عليه السلام أكملها وأجملها من المال ، والبنين والنساء ، والخيل المسوّمة ، مضافاً إلى ما كان له من العزّ والكرامة وكلّ مؤهّلات الشرف والتقدير التي استحقّها بحسبه ونسبه وبيته ومواهبه . وقد كان في ذلك العصر لايوازيه ولا يدانيه أحد في دنيا المفاخر والمآثر . الكلّ يعترف ويعرف ما له من عظيم القدر ورفيع المنزلة . فسلّم المجد والصعود إلى السماء بيمينه ، ومفاتيح خزائن الدنيا في قبضة شماله . ومع ذلك كلّه فحين جدّ الجدّ وحقّت الحقيقة بذل كلّ ذلك وضحّى به في ضاحية يوم الطفّ ، وفي سبيل المبدأ كان أهون شيء عليه تلك النفائس ، وما اكتفى حتّى بذل نفسه وجسده ورأسه وأوصاله وأولاده وكلّ حبيب له وعزيز عليه في سبيل حبيبه الأعلى ومعشوقه الأوّل . أفليس هو الجدير والحريّ بأن يقول :

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ اخْتَبِرْنِي
فَاخْتِيَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَا
يُحْشَرُ العَاشِقُونَ تَحْتَ لِوَائِي

وَجَمِيعُ المِلَاحِ تَحْتَ لِوَاكَا
وَاقْتِبَاسُ الأَنْوَارِ مِنْ ظَاهِرِي غَيْـ
ـرُ عَجِيبٍ وَبَاطِنِي مَأْوَاكَا [٣٨٥]

وجملة القول أنّنا نريد أن نُنهي هذا الجزء الذي يدور حول «الصحيفة الكاملة» لسيّد العابدين وإمام الساجدين عليّ بن الحسين عليه أفضل الصلوات والتحيّات ، وقد استعرضها وضمائمها . فمن المناسب أن نذكر القصيدة العصماء التي أنشدها الشاعر الكبير أبو فراس همّام بن غالب المعروف بالفرزدق بحضور هشام بن عبد الملك بن مروان في مدح ذلك الإمام العظيم بضعة رسول الله لنرتوي بحمد الله ومنّه من منهل عشق ذلك السيّد العزيز ومودّته وولايته بنحو أكمل وأتمّ :

روى العلّامة المجلسيّ رضوان الله تعالى عليه في «بحار الأنوار» عن «مناقب ابن شهرآشوب» الذي روى عن «الحلية» ، و«الأغاني» ، وغيرهما : [٣٨٦] حجّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاستلام من الزحام . فنُصب له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحةً ، بين عينيه سجّادة كأنّها رُكبة عنز . فجعل يطوف ، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتّى يستلمه هيبةً له . فقال شاميّ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟!

فقال : لَا أَعْرِفُهُ ، لئلّا يرغب فيه أهل الشام .

فقال الفرزدق (و كان من شعراء بني أُميّة ومادحيهم) وكان حاضراً : لكنّي أنا أعرفه . فقال الشاميّ : مَن هو يا أبا فراس ؟! فأنشأ قصيدة ذكر بعضها في «الأغاني» ، و«الحلية» و«الحماسة» ، والقصيدة بتمامها هذه :

يَا سَائِلِي : أَيْنَ حَلّ الجُودُ وَالكَرَمُ
عِنْدِي بَيَانٌ إِذَا طُلّابُهُ قَدِمُوا
هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ
وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلّ وَالحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَهِ كُلّهِمُ
هَذَا التّقِيّ النّقِيّ الطّاهِرُ العَلَمُ
هَذَا الذي أَحْمَدُ المُخْتَارُ وَالِدُهُ
صَلّى عَلَيْهِ إِلَهِي مَا جَرَى القَلَمُ
لَوْ يَعْلَمُ الرّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ
لَخَرّ يَلْثِمُ مِنْهُ مَا وَطَى القَدَمُ
هَذَا عَلِيّ رَسُولُ اللَهِ وَالِدُهُ

أَمْسَتْ بِنُورِ هُدَاهُ تَهْتَدِي الأُمَمُ
هَذَا الّذِي عَمّهُ الطّيّارُ جَعْفَرٌ
وَالمَقْتُولُ حَمْزَةُ لَيْثٌ حُبّهُ قَسَمُ
هَذَا ابْنُ سَيّدَةِ النّسْوَانِ فَاطِمَةٍ
وَابْنُ الوَصِيّ الّذِي في سَيْفِهِ نِقَمُ
إذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
إلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الكَرَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ
رُكْنُ الحَطِيمِ إذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وَلَيْسَ قُولُكَ : مَنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ
العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أنْكَرْتَ وَالعَجَمُ
يُنْمَى إلَى ذَرْوَةِ العِزّ الّتِي قَصُرَتْ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الإسْلَامِ وَالعَجَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلّمُ إلّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْجَابُ نُورُ الدّجَى عَنْ نُورِ غُرّتِهِ
كَالشّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إشْرَاقِهَا الظّلَمُ
بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ
مِنْ كَفّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
مَا قَالَ : لَا ، قَطّ إلّا فِي تَشَهّدِهِ
لَوْلَا التّشَهّدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ (٣٨٧)
مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَهِ نَبْعَتُهُ
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالخِيمُ وَالشّيَمُ
حَمّالُ أثْقَالِ أَقْوَامٍ إذَا فُدِحُوا
حُلْوُ الشّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
إنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ
وَإنْ تَكَلّمَ يَوْماً زَانَهُ الكَلِمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
بِجَدّهِ أنبِيَاءُ اللَهِ قَدْ خُتِمُوا
اللهُ فَضّلَهُ قِدْماً وَشَرّفَهُ
جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ القَلَمُ

مَنْ جَدّهُ دَانَ فَضْلُ الأنْبِيَاءِ لَهُ
وَفَضْلُ أُمّتِهِ دَانَتْ لَهَا الأُمَمُ
عَمّ البَرِيّةَ بِالإحْسَانِ وَانْفَشَعَتْ
عَنْهَا العِمَايَةُ وَالإمْلَاقُ وَالظّلَمُ
كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمّ نَفْعُهُمَا
يُسْتَوْكَفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ
سَهْلُ الخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
يَزِينُهُ خَصْلَتَانِ : الحِلْمُ وَالكَرَمُ
لَا يُخْلِفُ الوَعْدَ مَيْمُوناً نَقِيبَتُهُ
رَحْبُ الفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يُعْتَرَمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ
كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ
يُسْتَدْفَعُ السّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبّهِمُ
وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ وَالنّعَمُ
مُقَدّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَهِ ذِكْرُهُمْ
فِي كُلّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ
إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كَانُوا أئمّتَهُمْ
أوْ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ قِيلَ : هُمُ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ
وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغُيُوثُ إذَا مَا أزْمَةٌ أزَمَتْ
وَالأُسْدُ أُسْدُ الشّرَى وَالبَأْسُ مُحْتَدِمُ
يَأبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلّ الذّمّ سَاحَتَهُمْ
خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنّدَى هُضُمُ
لَا يَقْبِضُ العُسْرُ بَسْطاً مِنْ أكُفّهِمُ
سِيّانِ ذَلِكَ إنْ أثْرَوْا وَإنْ عَدِمُوا
أيّ القَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رَقَابِهِمُ
لِأَوّلِيّةِ هَذَا أوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ اللَهَ يَعْرِفْ أوّلِيّةَ ذَا
فَالدّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الأُمَمُ
بُيُوتُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا

فِي النّائِبَاتِ وَعِنْدَ الحُكْمِ إِنْ حَكَمُوا
فَجَدّهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أُرُومَتِهَا
مُحَمّدٌ وَعَلِيّ بَعْدَهُ عَلَمُ
بَدرٌ له شَاهِدٌ وَالشّعْبُ مِنْ أُحُدٍ
والخَنْدَقَانِ وَيَومُ الفَتْحِ قَدْ عَلِمُوا
وَخَيْبَرٌ وَحُنَيْنٌ يَشْهَدَانِ لَهُ
وَفِي قُرَيْضَةَ يَوْمٌ صَيْلَمٌ قَتَمُ
مَوَاطِنٌ قَدْ عَلَتْ فِي كُلّ نائِبَةٍ
عَلى الصّحَابَةِ لَمْ أَكْتُمْ كَمَا كَتَمُوا (٣٨٨ـ٣٨٩)

فغضب هشام ومنع جائزته وقال : أَلَا قُلْتَ فِينَا مِثْلَهَا ؟!

قال : هَاتِ جَدّاً كَجَدّهِ ، وَأَبَا كَأَبِيهِ ، وَأُمّا كَأُمّهِ حَتّى أَقُولَ فِيكُمْ مِثْلَهَا ! فحبسوه بعُسفَان بين مكّة والمدينة : فبلغ ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام ، فبعث إليه باثني عشر ألف درهم ، وقال : أَعْذِرْنَا يَا أَبَا فِرَاسٍ ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوَصَلْنَاكَ بِهِ !

فردّها وقال : يَابْنَ رَسُولِ اللّهِ ! مَا قُلْتُ الّذِي قُلْتُ إِلّا غَضَباً لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ ! وَمَا كُنْتُ لِأَرْزَأَ عَلَيْهِ شَيْئاً .

فردّها إليه وقال : بِحَقّي عَلَيْكَ لَمّا قَبِلْتَهَا فَقَدْ رَأَى اللّهُ مَكَانَكَ وَعَلِمَ نِيّتَكَ ! فقبلها .

فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس ، فكان ممّا هجاه به قوله :

أَيَحْبِسُنِي بَيْنَ المَدِينَةِ وَالّتِي
إِلَيْهَا قُلُوبُ النّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَلّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيّدٍ
وَعَيْناً لَهُ حَوْلَاءَ بَادٍ عُيُوبُهَا (٣٩٠)

فأُخبر هشام بذلك فأطلقه . وفي رواية أبي بكر العلّاف أنّه أخرجه إلى البصرة . (٣٩١)

وروى الكشّيّ بسنده عن عبيد الله بن محمّد بن عائشة ، عن أبيه مثله . (٣٩٢)

ثمّ روى العلّامة المجلسيّ مثله عن «الاختصاص» للشيخ المفيد بسنده بعد شرح بعض المفردات الغريبة التي ذكرنا بعضها في هامش متقدّم . (٣٩٣)

وروى عنه أيضاً بسند آخر عن فرعان ، وكان من رواة الفرزدق ، قال : حججتُ سنةً مع عبد الملك بن مروان ، فنظر إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فأراد أن يصغّر منه ، فقال : مَن هُوَ ؟ فقال الفرزدق : فقلتُ على البديهة القصيدة المعروفة :

هَذَا ابنُ خَيْرِ عِبَادِ اللّهِ كُلّهِمُ
هَذَا التّقِيّ النّقِيّ الطّاهِرُ العَلَمُ

حتّى أتمّها ، وكان عبد الملك يصله في كلّ سنة بألف دينار . فحرمه تلك السنة . فشكا ذلك إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام ، وسأله أن يكلّمه .

فقال : أَنَا أَصِلُكَ مِنْ مَالِي بِمِثْلِ الّذِي كَانَ يَصِلُكَ بِهِ عَبْدُ المَلكِ وَصَنّ عَنْ كَلَامِهِ .

فقال : وَاللَهِ يَابْنَ رَسُولِ اللَهِ ! لَا رَزَأْتُكَ شَيْئاً ، وَثَوَابُ اللَهِ عَزّ وَجَلّ فِي الآجِلِ أَحَبّ إِلَيّ مِنْ ثَوَابِ الدّنْيَا فِي العَاجِلِ !

فاتّصل ذلك بمعاوية بن عبد الله بن جعفر الطيّار ، وكان أحد سمحاء بني هاشم لفضل عنصره وأحد أُدبائها وظرفائها ، فقال له : يا أبا فراس ! كم تقدّر الذي بقي من عمرك ؟! قال : قدر عشرين سنةً . قال : فَهَذِهِ عِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ أَعْطِيتُكَهَا مِنْ مَالِي ، وَاعْفُ أَبَا مُحَمّدٍ ! أَعَزّهُ اللَهُ عَنِ المَسْأَلَةِ فِي أَمْرِكَ .

فقال : لَقَدْ لَقِيتُ أَبَا مُحَمّدٍ وَبَذَلَ مَا لَهُ فَأَعْلَمْتُهُ أَنّي أَخّرْتُ ثَوَابَ ذَلِكَ لِأَجْرِ الآخِرَةِ . (٣٩٤)

وذكر كَرَم البستانيّ في «ديوان الفرزدق» المطبوع ، سبعة وعشرين بيتاً من هذه القصيدة ، مع تفصيلٍ حول حجّ هشام في أيّام أبيه عبد الملك ابن مروان . (٣٩٥)

ونقل الميرزا عبّاس قُلي خان سِپهر في «ناسخ التواريخ» هذه القصّة وشعر الفرزدق عن كتاب «الفصول المهمّة» ، و«وفيّات الأعيان» لأحمد بن خلّكان ، و«مرآة الجنان» لأبي محمّد عبد الله بن أسعد اليافعيّ . وذكر تسعةً وعشرين بيتاً ، ثمّ قال : يرى أبو الفرج الإصفهانيّ أنّ بيتين من هذه القصيدة لا يمكن أن يكونا في مدح الإمام عليّ بن الحسين ، وهما قوله :

فِي كَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ
مِنْ كَفّ أَرْوَعَ فِي عِرنِينِهِ شَمَمُ

وقوله :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلّمُ إِلّا حِينَ يَبْتَسِمُ

لأنّهما ليسا من الشعر الذي يمكن أن يُمدَح بهما مثل عليّ بن الحسين عليهما السلام مع فضله الذي لا يدانيه فيه أحد . ثمّ قال : أمّا أبو الفرج ، فقد ذكر البيت الثاني في الأشعار التي نقلها في الجزء التاسع عشر من «الأغاني» ذيل ترجمة الفرزدق . على أيّة حال ، البيت الأوّل لا يناسب شأن الإمام عليه السلام أبداً . ولعلّه للشاعر حزين في وصف عبد الله بن عبد الملك . والثاني أيضاً له في وصفه . وأوردهما الفرزدق على سبيل التضمين ، ولعلّه لم يذكرهما ، وذكرهما الرواة والناقلون حين وجدوا وزنهما كوزن قصيدته ، فألحقوهما بها سهواً ، والله أعلم .

أجل ، قال المرحوم سبهر ضمن ترجمة الفرزدق وشرح قصيدته : ذكرها المرحوم المجلسيّ في «بحار الأنوار» ، والمرحوم القاضي نور الله في «مجالس المؤمنين» ، والمرحوم عليّ بن عيسى الإربليّ في «كشف الغمّة» ، وأبو الفرج الإصفهانيّ في الجزءين الرابع عشر والتاسع عشر من «الأغاني» ، وسبط ابن الجوزيّ في «تذكرة خواصّ الأُمّة» ، والسيّد هاشم البحرانيّ في «مدينة المعاجز» ، وذكرها أيضاً الراونديّ في كتاب «الخرايج والجرايح» باختلاف يسير . وفي «فصل الخطاب» لشيخ الحرمين أبي عبد الله القرطبيّ معلومات حول الفرزدق وإنشائه .

ثمّ قال : لا شكّ ولا شبهة عند أهل التأريخ في إنشاء الفرزدق هذه القصيدة في مدح عليّ بن الحسين عليهما السلام بمحضر هشام بن عبد الملك ــ [٣٩٦] انتهى ملخّصاً .

وقد ذكر المرحوم المجلسيّ ــ كما نقلنا عنه قريباً ــ واحداً وأربعين بيتاً . [٣٩٧]

وأورد ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ١٠ ، ص ٢٠ ، مطالب حول الفرزدق . كما ذكر المحدّث القمّيّ ترجمته وميميّته في «الكنى والألقاب» ج ٣ ، ص ١٧ فما بعدها ، وفي «هديّة الأحباب» ص . ٢١١ وسرد المامقانيّ في «تنقيح المقال» ج ٢ ، ص ٤ ، باب الكنى ، اسم الفرزدق ، ترجمته ، وذكر أنّ اسمه همّام بن غالب بن صعصعة وكنيته أبو فراس .

وذكرتُ في «نور ملكوت القرآن» ج ٣ ، موضوعاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يدور حوله .

وساق آية الله السيّد حسن الصدر الحديث عنه وعن قصيدته في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ١٨٦ و . ١٨٧

ونقل المستشار عبد الحليم الجنديّ في هامش ص ١٣٩ ، من كتاب «الإمام جعفر الصادق» حجّ هشام ، وأورد أحد عشر بيتاً من هذه القصيدة ، ثمّ ذكر غضب هشام ، وأمره بحبس الفرزدق ، وعطاء الإمام إيّاه .

وفي كتاب «العيون والمحاسن» الذي أنشأه الشيخ المفيد ، وحرّره الشريف المرتضى ، ج ١ ، ص ١٨ و١٩ ، طبعة النجف الأشرف ، ستّة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

للّه الحمد وله المنّة إذ تمّ هذا الجزء ، وهو الجزء الخامس عشر من كتاب «معرفة الإمام» من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ضُحى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من هجرة سيّد المرسلين من مكّة المكرّمة إلى أرض يثرب في مدينة مشهد المقدّسة على شاهدها أفضل الصلاة والسلام في ظلّ العنايات الخاصّة والتوجّهات الكاملة لإمام العصر الحجّة بن الحسن العسكريّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعل أرواحنا لتراب مقدمه الفداء وقد بقيت للظهر ساعتان .

والحمد للّه ربّ العالمين ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين .

كتبه بيمناه الداثرة الراجي غفران ربّه الغنيّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ غفر الله له ولذويه ، وجعل مستقبل أمره خيراً من ماضيه .

تعليقات:

١) الآيات ١ إلى ٤ ، من السورة ٦٨ : القلم .

٢) ورواها الخطيب البغداديّ في كتاب «تقييد العلم» ص ٩١ ، في باب ذكر الرواية عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، في الفصل الثاني من القسم الثالث : كُتُب الصحابة بسنده عن شرحبيل أبي سعد أنّه قال : دعا الحسن بن عليّ بنيه وبني أخيه فقال : يابنيّ وبَنِي أخي ! إنّكم صِغار قومٍ يوشِك أن تكونوا كِبارَ آخرين . فَتَعَلّمُوا العلم ! فمن لم يستطع منكم أن يرويه فليكتبه وليضعه في بيته .

وأيضاً بسنده الآخر عن الحافظ أبي نُعَيم ... إلى أن يصل إلى شرحبيل بن سعد ، قال : جمع الحسين بن عليّ بنيه وبني أخيه فقال : يا بنيّ ! إنّكم اليومَ صِغار قوم أوشك أن تكونوا كبار قوم ، فعليكم بالعلم ، فمن لم يحفظ منكم فليكتبه . كذا قال : جمع الحسين بن عليّ . والصواب الحسن كما ذكرناه أوّلاً ، والله أعلم ــ انتهى قول الخطيب . أقول : لا نستبعد أن يكون هذا الموضوع قد تكرّر مرّتين من قبل ذينك الإمامين الهمامين . أجل ، لمّا فرغ الخطيب من الرواية الأُولى ، قال يوسف العشّ ــ الذي حقّق الكتاب وعلّق عليه ــ في الهامش : مثله باللفظ من يونس في «سنن الدارميّ» ج ١ ، ص ١٢٦ ؛ و«تاريخ بغداد» ج ٦ ، ص . ٣٩٩ وبسند آخر مع اختلاف باللفظ في «جامع بيان العلم» ج ١ ، ص ٨٢ ، ودون سندٍ في «كنز العمّال» ج ٥ ، ص ٢٢٩ ، عن (ق) في المدخل (كر) ، ومثله بالاختصار في «علل الحديث» ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، إلى أن قال : وهذا الخبر منسوب إلى عليّ بن أبي طالب الذي قال ما فيه لفتيان من قريش : («ربيع الأبرار» للزمخشريّ ، ج ١ ، ص ١٢) .

٣) ذكر المستشار عبد الحليم الجنديّ هذا الحديث إلى هنا في كتابه : «الإمام جعفر الصادق» ص ٢٠٠ ، نقلاً عن الشيخ الصدوق في «الأمالي» .

٤) في «بحار الأنوار» ج ٢ ، ص ١٦ ، كتاب العلم ، الطبعة الحديثة ، مطبعة حيدري ، عن «أمالي الشيخ» بإسناد المجاشعيّ ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء .

٥) معادن الجواهر» للسيّد محسن الأمين العامليّ ، ج ١ ، ص ٩ إلى . ١١

٦) قال يوسف العشّ في الهامش : مثله بلفظ متقارب من الحضرميّ في «المحدّث الفاصل» ج ٤ ، ص . ١٣ وعن الجمّانيّ نفسه بسند آخر في «المحدّث الفاصل» ج ٤ ، ص . ١٣

٧) ذكر الخطيب مثلها عن داود في «تاريخ بغداد» ج ٨ ، ص . ٣٥٧ وفيه عن ابن معين : ليس داود بشيءٍ ، ما كتبتُ عنه .

وفي «تقييد العلم» للحافظ المؤرّخ أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ صاحب «تاريخ بغداد» المولود سنة ٣٩٢ والمتوفّى سنة ٤٦٣ ه ، الطبعة الأُولى ، دار إحياء السّنّة النبويّة ، ص ٨٩ و٩٠ في فصل كتبالصحابة ، ٣ ــ ذكر الرواية عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في ذلك (الكتابة) .

٨) قال آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٦٧ بعد نقل كلام ابن شهرآشوب : وذكر الشيخ أبو جعفر الطوسيّ شيخ الشيعة ، والشيخ أبو العبّاس النجاشيّ في كتابيهما ، في «فهرست أسماء المصنّفين من الشيعة» مصنّفاً لأبي عبد الله سلمان الفارسيّ ، ومصنّفاً لأبي ذرّ الغفاريّ ، وأوصلا إسنادهما إلى رواية كتاب سلمان ، وكتاب أبي ذرّ . وكتاب سلمان : كتاب «حديث الجاثليق» ، وكتاب أبي ذرّ كتاب كالخطبة ، يشرح فيه الأُمور بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله . وحكى السيّد الخونساريّ في كتاب «روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات» عن كتاب «الزّينة» لأبي حاتم في الجزء الثالث منه : إنّ لفظ الشيعة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان لقب أربعة من الصحابة : سلمان الفارسيّ ، وأبي ذرّ الغفاريّ ، والمقداد بن الأسود الكنديّ ، وعمّار بن ياسر . وقد ذكر في «كشف الظنون» كتاب «الزّينة» لأبي حاتم سهل بن محمّد السجستانيّ المتوفّى سنة . ٢٠٥

٩) وفي العصر ذاته كان سعيد بن المسيّب أوّل فقهاء المدينة السبعة يخاف أن يُكْتَبَ عنه العلم . جاءه رجل فسأله عن شيءٍ فأملاه عليه . ثمّ سأله عن رأيه فأجابه . وكانوا من كثرة إفتائه يسمّونه : سعيد بن المسيّب الجريء . فكتب الرجل . فقال جلساء سعيد : أتكتب يا أبا محمّد ؟ فقال سعيد للرجل : ناولنيها . فناوله الصحيفة فخرقها .

١٠) الإمام جعفر الصادق» ص ٢٠١ و٢٠٢ ، الجمهوريّة المصريّة العربيّة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ، القاهرة ، سنة ١٣٩٧ ه .

١١) قال المؤلّف المحترم في كتابه الآخر «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٢٨٣ ، مضافاً إلى ما ذُكر : قال عمر بن محمّد : وأخبرني موسى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه أنّه كتب هذا الكتاب عن عبيد الله بن عليّ بن أبي رافع . وكانوا يعظّمونه ويعلّمونه . تابعيّ جليل (عليّ بن رافع) .

١٢) وفي المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ ، مضافاً إلى ما ذكر : توفّي بعد المائة .

١٣) في المصدر السابق ، ص ٢٨١ ، مضافاً إلى ما ذُكر : ونصّ ابن قتيبة على تشيّع الأصبغ في كتاب «المعارف» . ونسبه ابن حجر في «التقريب» إلى الرفض ، قال : متروك رُمي بالرفض . من الثالثة . توفّي بعد المائة .

١٤) يضيف في المصدر المتقدّم ، ص ٢٨٣ : ميثم (بكسر الميم) من أعاظم الشهداء في التشيّع . وكثيراً ما يقول صاحب كتاب «بشارة المصطفى» : وجدتُ في كتاب ميثم التمّار كذا .

١٥) وفيه أيضاً: ذكر الشيخ سند الرواية في «الفهرست» عنه معنعناً .

١٦) ذكر في المصدر السابق ، ص ٢٨٤ : وذكر النجاشيّ إسناده إلى عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرّة الثقفيّ عن أبيه ، عن جدّه يعلى بن مرّة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

١٧) وذكره في المصدر المتقدّم ، ص ٢٨٣وأضاف : بقى إلى أيّام المختار ، وكان معه . له ترجمة في رجال السيّد بحر العلوم .

١٨) وأضاف في ص ٢٨٢ منه : مات بعد أمير المؤمنين عليه السلام .

١٩) ذكره في المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ، وأضاف : الهمْدانيّ (بسكون الميم) ، الحواتيّ (بضمّ المهملة ، وبالمثنّاة فوق) . قال ابن حجر في «التقريب» بعد ذكره : صاحب عليّ ، كذّبه الشعبيّ في روايته ، ورمي بالرفض ، وفي حديثه ضعف . وليس له عند النسائيّ سوى حديثين .

انظر : «الشيعة وفنون الإسلام» تأليف المرجع الدينيّ الأكبر آية الله السيّد حسن الصدر ، ص ٦٧ إلى ٦٩ ، مطبعة العرفان ، سنة ١٣٣١ ه .

٢٠) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٢٨١ إلى . ٢٨٤

٢١) وذكره المرحوم السيّد حسن الصدر بهذا اللفظ في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٢٩٨ ، عندترجمة سعيد بن المسيّب وقال : قلتُ : والقاسم بن محمّد بن أبي بكر ... كان تزوّج ابنة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهم السلام . أقول : إنّ ما تفيده كتب التأريخ هو أنّ الإمام زين العابدين كان ابن خالة القاسم بن محمّد . لأنّ والديهما عديلان حيث تزوّج أبو عبد الله الحسين ابنة يزدجرد ملك إيران فأولدها الإمام زين العابدين ، وتزوّج محمّد بن أبي بكر أختها فأولدها القاسم . فهما ابنا خالة . وتزوّج الإمام السجاد عليه السلام أُمّ عبد الله ابنة الحسن بن عليّ بن أبي طالب فأولدها الباقر عليه السلام . وتزوّج القاسم ابنة عمّه عبد الرحمن بن أبي بكر فأولدها أُمّ فروة . وتزوّج الإمام الباقر عليه السلام أُمّ فروة فأولدها الإمام الناطق بالحقّ جعفر الصادق . وكلام الصادق عليه السلام : وَلّدَنِي أَبُو بَكْرٍ مَرّتَيْنِ يدلّ عليه ، لأنّ والدته الماجدة أُمّ فروة هي ابنة القاسم بن محمّد بن أبي بكر وأُمّها أسماء ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ، لهذا فهو

منسوب إليه من جهة الأب والأُمّ . فهذه هي ترجمة القاسم ، وأُمّ فروة ، والإمام زين العابدين ، والإمامين الصادِقين عليهم السلام من جهة النسب .

قال صاحب «تنقيح المقال» ج ٢ ، ص ٢٣ ، في ترجمة القاسم : ظَاهِرٌ كَوْنُهُ إمَامِيّاً لِمَا رَوَاهُ فِيمَحْكِيّ «قُرْبِ الإسْنَادِ» عَنِ ابنِ عِيسَى ، عَنِ البِزَنْطِيّ قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ الرّضَا عَلَيْهِ السّلَامُ القَاسِمُ بْنُ مُحَمّدٍ خَالُ أَبِيهِ ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيّبِ ، فَقَالَ : كَانَا عَلَى هَذَا الأَمْرِ ــ إلى أن قال : في رواية أُخرى عن الصادق عليه السلام أنّه قال : وَكَانَتْ أُمّي مِمّنْ آمَنَتْ وَاتّقَتْ وَأَحْسَنَتْ وَاللَهُ يُحِبّ المُحْسِنِينَ . قال الصادق عليه السلام : وقالت أُمّي : قال أبي : يَا أُمّ فَرْوَةَ ! إنّي لَأَدْعُو اللَهَ لُمُذْنِبِي شِيعَتِنَا فِي اليَوْمِ وَاللّيْلَةِ أَلْفَ مَرّةٍ ، لِأَنّا فِيمَا يَنُوبُنَا مِنَ الرّزَايَا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمْ مِنَ الثّوَابِ، وَهُمْ يَصْبِرُونَ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ . والسند وإن لم يكن بتلك المكانة من الصحّة والنقاء ، إلّا أنّا نبّهنا غير مرّة على أنّ مثل هذه الأخبار التي رواها المشايخ الثلاثة في الكتب الأربعة يفيد ظنّاً أزيد من الظنّ الحاصل من قول علماء الرجال .

وفي قوله عليه السلام : «قالت أُمّي : قال أبي» إشارة إلى ما هو المعلوم من الخارج من كون القاسم بن محمّد هذا جدّ مولانا الصادق عليه السلام لأُمّه ، وابن خالة مولانا السجّاد عليه السلام ، وأُمّه وأُمّ القاسم ابنتا يزدجرد بن شهريار آخر الأكاسرة ملوك العجم . وتزويج الحسين عليه السلام باحداهما ، ومحمّد بن أبي بكر بالأُخرى مشهور وفي الكتب مسطور . إلى أن قال صاحب «التنقيح» : وكان يقول مالك بن أنس : إنّهُ مِنْ فُقَهَاءِ هَذِهِ الأُمّةِ ، مات في سنة إحدى ومائة وله اثنتان وسبعون سنة .

هَذِهِ الأُمّةِ ، مات في سنة إحدى ومائة وله اثنتان وسبعون سنة .

٢٢) وقال في «تنقيح المقال» ج ٣ ، ص ٧٣ ، في ترجمة أُمّ فروة : ابنة القاسم بن محمّد بن أبي بكر . هي أُمّ مولانا الصادق عليه السلام وأُمّها أسماء ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر . ولهذا كان الصادق عليه السلام يقول : وَلَّدَنِي أَبُو بَكْرٍ مَرّتَيْنِ ... إلى آخره .

وفي «أعيان الشيعة» ج ٤٣ ، ص ٩ ، ١٠ ، في ترجمته تحت الرقم ٩٤٦٧ ، الطبعة الثانية : توفّي سنة ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٨ أو ١١٢ بقديد ، منزل بين مكّة والمدينة ، فقال : كَفّنُونِي فِي ثِيَابِي الّتِي كُنْتُ أُصَلّي فِيهَا : قَمِيصِي وَإِزَارِي وَرِدَائِي ! وَالحَيّ أَحْوَجُ إِلَى الجَدِيدِ مِنَ المَيّتِ . وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين ، وقد ذهب بصره . هو جدّ الصادق عليه السلام لأُمّه أُمّ فروة ابنة القاسم . وفي ذلك يقول الشريف الرضيّ :

وَحُزْنَا عَتِيقاً وَهُوَ غَايَةُ فَخْرِكُمْ
بِمَوْلِدِ بِنْتِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمّدٍ

قيل : إنّه كان متزوّجاً ابنة الإمام زين العابدين عليه السلام . وهو ابن خالته . أُمّاهما ابنتا يزدجرد بن شهريار آخر الأكاسرة ملوك الفُرس . وقال ابن سعد في طبقاته : أُمّه أُمّ ولد يقال لها سورة . ووالدة أُمّ فروة هي أسماء . وقيل : قريبة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر . وهو معنى قول الصادق عليه السلام : إنّ أَبَا بَكْرٍ وَلّدَنِي مَرّتَيْنِ .

أقوال العلماء فيه(ما قاله علماء الشيعة)

روى الحميريّ في «قرب الإسناد» في آخر الجزء الثالث بسنده أنّه ذُكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمّد خال أبيه ، وسعيد بن المسيّب ، فقال : كَانَا عَلَى هَذَا الأَمْرِ ــ أي التشيّع ــ وقال : خطب أبي إلى القاسم بن محمّد يعني أبا جعفر عليه السلام ، فقال القاسم لأبي جعفر : إنّما كان ينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتّى يزوّجك ــ انتهى . وكانت أُمّ الصادق عليه السلام أُمّ فروة ابنة القاسم بن محمّد كما مرّ . وعلى هذا يلزم أن يكون القاسم جدّ أبيه (جدّ والد الإمام الرضا عليه السلام لأُمّه) لا خاله . ولعلّه وقع لفظ الخال موضع الجدّ سهواً أو أنّه سقط اسم قبل القاسم ، وهو ولده . وهذا هو الأظهر . ولعلّه استعمل الخال في مطلق قرابة الأُمّ توسّعاً .

ولكن في «كشف الغمّة» عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذيّ أنّ الباقر عليه السلام أُمّه أُمّ عبد الله ابنة الحسن بن عليّ وأُمّها أُمّ فروة ابنة القاسم بن محمّد بن أبي بكر . وهذا ما لا يجتمع مع كون أُمّ فروة هي أُمّ الصادق عليه السلام كما لا يخفى . والذي خطب إلى القاسم هو أبو جعفر الباقر عليه السلام ، وهو أبو جدّ الرضا عليه السلام . وكثيراً ما يطلق الأب على الجدّ ــ انتهى موضع الحاجة من كلام المرحوم السيّد محسن الأمين رحمه الله .

وأنا أقول : في كلام الجنابذيّ إشكال آخر أيضاً . وهو أنّ والدة الإمام الباقر عليه السلام هي أُمّ عبد الله ابنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام . ولا يمكن أن تكون أُمّه أُمّ فروة ابنة القاسم هي زوجة الإمام الحسن عليه السلام لأنّ القاسم في طبقة الإمام السجّاد ، لا في طبقة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام . وكانت وفاة الإمام المجتبى في سنة ٥٠ ه ، ووفاة الإمام السجّاد في سنة ٩٥ ه . أي : أنّ الفاصل الزمنيّ بينهما خمس وأربعون سنة .

وأمّا ما قاله المرحوم السيّد حسن الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ، وكتاب «الشيعة وفنون الإسلام» جازماً كما رأينا ، وما قاله المرحوم السيّد محسن الأمين في «أعيان الشيعة» بقوله : (قِيلَ) : إنّه كَان متزوّجاً ابنة الإمام زين العابدين عليه السلام ، فلا يرتبط بنسب الإمام الصادق عليه السلام على فرض صحّته ، بل هو زواج تحقّق عرضاً . فهل كان هذا الزواج قبل زواج أسماء ابنة عبد الرحمن من القاسم ؟ وهل كان بعد وفاة زوجة الإمام السجّاد أُمّ الإمام الباقر ــ على مرض وفاتها ــ أو بعد وفاة أسماء ؟ على جميع التقادير لا إشكال في إمكان القضيّة ثبوتاً ، ولكن كيفيّة تحقّقها وأصله إثباتاً يحتاجان إلى تتبّع أكثر بعد إمكان الثبوت .

وفي «أعيان الشيعة» ج ٤٣ ، ص ٩ ، الطبعة الثانية ، قول الصادق عليه السلام : إنّ أَبَا بَكْرٍ ولّدَنِي مَرّتَيْنِ ؛ وفي «تنقيح المقال» ج ٣ ، ص ٧٣ ، في ترجمة أُمّ فروة . وقال ابن حجر العسقلانيّ في «تهذيب التهذيب» ج ٢ ، ص ١٠٣ ، في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام :أُمّه أُمّ فروة ابنة القاسم بن محمّد بن أبي بكر وأُمّها أسماء ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلذلك كان يقول : ولّدني أبو بكر مرّتين .

٢٣) الشيعة وفنون الإسلام» ص ٧٩ و . ٨٠

٢٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص . ٢٩٨

٢٥) معالم العلماء» في «فهرست كتب الشيعة وأسماء مصنّفيهم من القدماء والمتأخّرين» تأليف محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندرانيّ المتوفّى سنة ٥٨٨ ه ، ص ١٣١ ، رقم ٨٨٦ ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف ، سنة ١٣٨٠ ه .

٢٦) معالم العلماء» ص ١٢٥ ، رقم ٨٤٧ ، ذكر في ترجمة المتوكّل بن عمير بن المتوكّل ما نصّه : روى عن يحيى بن زيد بن عليّ «دعاء الصحيفة» ويلقّب ب «زبور آل محمّد» . أقول : إنّ تداول لفظ إنجيل أهل البيت وزبور آل محمّد بالنسبة إلى «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» بلغ مبلغاً أنّه أصبح عَلَماً لها ، ويلحظ في كتب العلماء والأعلام كثيراً . فقد صرّح به الميرداماد في شرحه لها ، ص ٥٨ على ما حكاه ابن شهرآشوب ، وأورده المحقّق الفيض في شرحه المطبوع مع «نور الأنوار» للجزائريّ ،

ص ٢٤٩ أيضاً . وقال آية الله الميرزا محمّد عليّ المدرّس الجهاردهيّ الجيلانيّ في ديباجة شرحه الفارسيّ للصحيفة ، ص ٣ ما تعريبه : اعلم أنّ صدور «الصحيفة» عن إمام الساجدين عليه الصلاة والسلام من الواضحات اللائحات التي لا غبار عليها . ولا قَدْح في سندها ، حتّى أنّ الغزّاليّ قال : تلك «الصحيفة» زبور آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٢٧) الصحيفة السجّاديّة الكاملة» ، الدعاء السابع والأربعون : دعاء يوم عرفة ، الفقرات ٥٦ إلى . ٦٥

٢٨) جاء في «رياض السالكين» في طبعة سنة ١٣٣٤ : ص ٣١ ، وفي طبعة جماعة المدرّسين : ج ١ ، ص ٢١٠ إلى ٢١٢ : هو زين العابدين وسيّد الزاهدين وقدوة المقتدين وإمام المؤمنين ، أبو الحسن ، وأبو محمّد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام . أُمّه شاه زنان ابنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى . وقيل : كان اسمها شهربانويه . وفيه يقول أبو الأسود الدئليّ :

وَإنّ غُلاماً بَيْنَ كِسْرَى وَهَاشِمٍ
لَأَكْرَمُ مَنْ نِيطَتْ عَلَيْهِ التّمائِمُ

ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام بسنتين ، فبقي مع جدّه سنتين ، ومع عمّه الحسن عليه السلام اثنتي عشرة سنة ، ومع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنةً ، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنةً . وتوفّي بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة ، وله يومئذٍ سبع وخمسون سنة . ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمّه الحسن عليه السلام ، في القبّة التي فيها العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه . وكان يقال له : ذو الثّفِنَاتِ ، جمع ثَفِنَة (بكسر الفاء) . وهي من الإنسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، لأنّ طول السجود أثّر في ثفناته . قال الزهريّ : ما رأيتُ هاشميّاً أفضل من عليّ بن الحسين .١ وعن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت الريح تُميله بمنزلة السنبلة .٢ وكان إذا توضّأ للصلاة يصفرّ لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : تدرون بين يدي من أُريد أن أقوم ؟! ٣

٢٩) وقال ابن عائشة : سمعتُ أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين عليهما السلام .٤ ولمّا مات عليه السلام وجرّدوه للغسل جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره فقالوا : ما هذا ؟ قيل : كان يحمل جربان الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً .٥ وكان يقول : إنّ صَدَقَةَ السّرّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرّبّ .٦ وعن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه قال : حجّ عليّ بن الحسين عليه السلام ماشياً ، فسار من المدينة إلى مكّة عشرين يوماً وليلة .٧ وعن زرارة بن أعين قال : سمع سائل في

جوف الليل وهو يقول : أين الزاهدون في الدنيا ، الراغبون في الآخرة ؟ فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه : ذاك عليّ بن الحسين .٨ وعن طاووس : إنّي لفي الحجر ليلة ، إذ دخل عليّ بن الحسين فقلت : رجل صالح من أهل بيت النبوّة لأسمعنّ دعاءه ، فسمعته يقول : عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ ، مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ . قال : فما دعوتُ بهنّ في كربٍ إلّا فرّج عنّي . ٩

وحكى الزمخشريّ في «ربيع الأبرار» قال : لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة أهل المدينة ، ضمّ عليّ بن الحسين إلى نفسه أربعمائة منافية بحشمهنّ ، يعولهنّ إلى أن تقوّض جيش مسلم ، فقالت امرأةٌ منهنّ : مَا عِشْتُ وَاللَهِ بَيْنَ أَبَوَيّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الشّرِيفِ .١٠ وكان عليه السلام كثير البرّ بأمّه ، فقيل له : إنّك أبرّ الناس بأُمّك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ؟ فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها ، فأكون قد عققتها .١١ وقيل له : كيف أصبحتَ ؟ فقال : أصبحنا خائفين برسول الله ، وأصبح جميع أهل الإسلام آمنين . ١٢

—

١) «تذكرة الخواصّ» لابن الجوزيّ ، ص ٣٣١ ؛ و«الإرشاد» للمفيد ، ص . ٢٥٧

٢ و٣) «الإرشاد» للمفيد ، ص . ٢٥٦

٤) «البداية والنهاية» ج ٩ ، ص . ١٥٤

٥) «المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ٤ ، ص . ١٥٣

٦) «المناقب» ج ٤ ، ص . ١٥٤

٧ إلى٩) «الإرشاد» ، ص . ٢٥٦

١٠) «ربيع الأبرار» ؛ و«كشف الغمّة» ج ٢ ، ص . ١٠٧

١١) «مكارم الأخلاق» ص . ٢٢١

١٢) «كشف الغمّة» ج ٢ ، ص . ١٠٧

٣٠) كما جاء في الفقرة ٢٥ من الدعاء الثاني : الصلاة على محمّد وآل محمّد ، والفقرة ٢٤ من الدعاء السادس : دعاؤه عند الصباح والمساء ، والفقرة ٦ من الدعاء الثالث والعشرين : دعاؤه بالعافية ، والفقرة ٤ من الدعاء الرابع والعشرين : دعاؤه لأبويه ، والفقرة ١ من الدعاء السادس والعشرين : دعاؤه لجيرانه وأوليائه ، والفقرة ٥ من الدعاء الرابع والثلاثين : دعاؤه إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة أو ذنبٍ ، والفقرات ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ من الدعاء الثامن والأربعين : دعاؤه في يوم الأضحى والجمعة .

٣١) الصحيفة السجّاديّة الكاملة» الدعاء ٤٧ ، الفقرتان ٧٢ و . ٧٣

٣٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة» الدعاء ٤٧ ، الفقرة . ٨٦

٣٣) الصحيفة السجّاديّة» ص ٣٧ و٣٨ ، مقدّمة آية الله المرعشيّ ، طبعة سنة ١٣٦٩ ه ، ترجمة العالم الشهير السيّد صدر الدين البلاغيّ ، من منشورات دار الكتب الإسلاميّة للشيخ محمّد الآخونديّ . وفيما يأتي بقيّة كلام المرحوم السيّد المرعشيّ : ثمّ سألني ــ الجوهريّ الطنطاويّ ــ : هل شرحها أحد من علماء الإسلام . فكتبت إليه أسماء من شرحها ممّن كنتُ أعلم به ، وقدّمتُ لسماحته «رياض السالكين» للسيّد علي خان ، وكتب فيجواب وصوله : إنّي مصمّم ومشمّر الذيل على أن أكتب شرحاً على هذه الصحيفة العزيزة ــ (انتهى) .

أجل ، لمّا كانت رسالتا الطنطاويّ إلى آية الله المرعشيّ في غاية الروعة والأهمّيّة ، فمن المستحسن أن نذكرهما فيما يأتي نصّاً :

(علماً بأنّي لم أعثر على متن الرسالتَين على الرغم من الجهود التي بذلتها المؤسّسة في هذا الشأن ، فاضطررت إلى تعريب ترجمتها الفارسيّة ، لذا اقتضى التنويه ــ المترجم) .

الرسالة الأُولى :

القاهرة : ١٩ ربيع الأوّل ١٣٥٨ جمعيّة الأخوّة الإسلاميّة

مايس (آيار) ١٩٢٩ المؤلّفة من جميع الدول الإسلاميّة

قبّة الغوري ــ شارع المعزّ لدين الله

سماحة الأُستاذ العلّامة الحجّة أبو المعالي نقيب الأشراف السيّد شهاب الدين الحسينيّ المرعشيّ النجفيّ ، نسّابة آل الرسول صلّى الله عليه وآله حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني رسالتكم الكريمة قبل مدّة ، مشفوعة بكتاب «الصحيفة» من كلام إمام الإسلام الزاهد : عليّ زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد ريحانة المصطفى ، فأخذت الكتاب بيَدِ التكريم ، فوجدته فريداً مشتملاً على علوم ومعارف وحِكم لا يضمّها سواه .

وَمِنَ الشّقَاءِ أَنّا إلى الآن لَمْ نَقِفْ عَلَى هَذَا الأَثَرِ القَيّمِ الخَالِدِ مِنْ مَوَارِيثِ النّبُوّةِ وَأَهْلِ البَيْتِ .

وإنّي كلّما تأمّلتها رأيتها فَوْقَ كَلَامِ المَخْلُوقِ وَدُونَ كَلَامِ الخَالِقِ . وحقّاً ! أيّ كتاب كريم هذا ! جزاكم الله خير الجزاء على هذه الهديّة ، ووفّقكم وسدّدكم في نشر العلم والهداية ، وأنتم بذلك جديرون .

الطنطاويّ الجوهريّ

ألم يتصدّى أحد من علماء المسلمين لشرحه ؟! وهل لديكم شيئاً من تلك الشروح أم لا ؟

آمل لكم الدوام والبقاء بكرم الله .

الشابّ الفاضل الهنديّ : السيّد محمّد حسن الأعظميّ السكرتير العامّ لجمعيّة الأُخوّة يهديكم سلامه وتحيّاته .

الرسالة الثانية :

جمعيّة الأخوّة الإسلاميّة

المؤلّفة من جميع الدول الإسلاميّة

قبّة الغوري ــ شارع المعزّ لدين الله

سماحة العلّامة الأُستاذ الحجّة البارع نقيب الأشراف ونسّابة آل الرسول صلّى الله عليه وآله السيّد شهاب الدين الحسينيّ المرعشيّ النجفيّ دامت أيّامه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلت رسالتكم الكريمة مشفوعة بكتاب «رياض السالكين» في شرح صحيفة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين السبط ، تأليف العلّامة السيّد علي بن معصوم المَدَنيّ (صاحب كتاب «سلافة العصر» وغيره) من الكتب الفريدة في أبوابها ؛ وقد سلّمته إلى العالم الفاضل السيّد محمّد حسن الأعظميّ الهنديّ السكرتير العامّ لجمعيّة الأُخوّة الإسلاميّة ، فوضعه في مكتبة الجمعيّة بعنوان هديّة منكم لي ، وهديّة منّي للجمعيّة ، من أجل أن يكون الانتفاع به أعمّ وأشمل وأدوم .

وستكون جمعيّة الأُخوّة الإسلاميّة ممتنّة إذا أرسلتم لها من الكتب التي تتوفّر في بلدكم ، لأنّ هذه الجمعيّة متشكّلة من جميع المذاهب الإسلاميّة .

وأنا عازم ومستعدّ بحول الله تعالى وقوّته على تدوين شرح لهذه الصحيفة الكريمة .

وختاماً تقبّلوا تحيّاتي وسلامي .

المخلص الطنطاويّ الجوهريّ

٣٤) السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ من أعلام علماء التشيّع ومفاخر الشيعة وقلّما يوجد مثله في جامعيّته . وهو من أحفاد السيّد محمّد بن زيد الشهيد . جاءت ترجمته في كثير من الكتب . له غديريّة غرّاء مطلعها :*

سَفَرَتْ أُمَيْمَةُ لَيْلَةَ النّفْرِ

كَالبَدْرِ أَوْ أَبْهَى مِنَ البَدْرِ

وقد جاء فيها بالمُعجِز من الكلام حقّاً . وننقل فيما يأتي موجزاً لترجمته التي ذكرها العلّامة الأمينيّ في كتاب «الغدير» ج ١١ ، ص ٣٤٤ إلى ٣٥٣ : بلغت كتبه ثمانية عشر كتاباً . ولد بالمدينة المنوّرة ليلة السبت ١٥ جمادى الأُولى سنة ١٠٥٢ ه ، واشتغل بالعلم إلى أن هاجر إلى حيدر آباد الهند سنة ١٠٦٨ ه . وشرع بها في تأليف «سُلافة العصر» سنة ١٠٨١ ه . وأقام بالهند ثمان وأربعين سنة ، كما ذكره معاصره في «نسمة السحر» . وكان في حضانة والده الطاهر إلى أن توفّي أبوه سنة ١٠٨٦ ه ،** فانتقل إلى (برهان

پور) عند السلطان أُورنك زيب . وجعله رئيساً على ألف وثلاثمائة فارس ، وأعطاه لقب (خان) . ولمّا ذهب السلطان إلى بلد «أحمد نكر» جعله حارساً لأُورنك آباد ، فأقام فيه مدّة . ثمّ جعله والياً على لاهور وتوابعه . ثمّ ولي ديوان «برهان پور» واشغل هناك منصّة الزعامة مدّة سنين . وكان بعسكر ملك الهند سنة ١١١٤ ، ثمّ استعفى وحجّ وزار مشهد الرضا عليه السلام . وورد إصفهان في عهد السلطان حسين سنة ١١١٧ ، وأقام بها سنين ، ثمّ عاد إلى شيراز ، وحطّ بها عصا السير زعيماً مدرّساً مفيداً . وتوفّي بها في ذي القعدة الحرام سنة ١١٢٠ ، ودفن بحرم السيّد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليه عند جدّه غياث الدين المنصور صاحب المدرسة المنصوريّة . وله قصيدة ذات عشرين بيتاً في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي موجودة في ديوانه المخطوط ، ومطلعها :

أمير المؤمنين فدتك نفسي
لنا من شأنك العجب العجاب

وعندما رجع من حجّ بيت الله الحرام وقدم النجف مع الحجّاج . نظم قصيدة عصماء في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، وأبياتها الأُولى في مدح النجف الأشرف ، ومجموع أبياتها سبعة وثلاثون بيتاً ، ومطلعها :

يا صاحِ هذا المشهد الأقدس
قرّتْ به الأعينُ والأنفسُ

وجاءت هذه القصائد كلّها في كتاب «الغدير» .

* ــ نقل العلّامة الأمينيّ (٤٢) بيتاً منها وقال في الهامش : أخذناها من ديوانه المخطوط . تناهز (٦١) بيتاً .

** ــ ذكر الشيخ النوريّ في «المستدرك» سنة ١٠٦٦ ، وفيه تصحيف .

٣٥) كذا ، والصواب : مَدَارِهُ . والمداره : جمع المدره : السيّد وزعيم القوم .

٣٦) رياض السالكين» ص ٥ ، الطبعة الحجريّة الرحليّة ، سنة ١٣٣٤ ، و : ج ١ ، ص ٥١ ، طبعة جماعة المدرّسين بقم .

٣٧) الإخباتُ إلى الله : الاطمئنان إليه تعالى والتخشّع أمامه .

٣٨) سفينة البحار» ج ٢ ، ص ١٦ ، مادّة صحف .

٣٩) معالم العلماء» ص ٢ و٣ ، الطبعة الثانية ، النجف الأشرف .

٤٠) سبق المرحوم الصدر آية الله السيّد علي خان الشيرازيّ في «رياض السالكين» ، إذ ذكر جميع مطالب ابن شهرآشوب في الردّ على الغزّاليّ . الطبعة الحجريّة الرحليّة ، سنة ١٣٣٤ ، ص ١٣ ، وفي الطبعة الحديثة من القطع الوزيريّ : ج ١ ، ص . ١٠٠

٤١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص . ٢٨٤

٤٢) جاءت هذه الحكاية عن الشيخ بهاء الدين العامليّ حسب خطّ المجلسيّ الأوّل كما نقل المجلسيّ الثاني في الجزء ١١٠ من «بحار الأنوار» ، كتاب «الإجازات» ، الرقم ٤١ ، إجازة العلّامة محمّد تقي المجلسيّ . واستوعبت من الكتاب ص ٥١ إلى . ٦١ قال في ص ٦٠ : والعمدة في ذلك أنّي كنت في أوائل البلوغ أو قبله طالباً للقرب إلى الله بالتضرّع والابتهال فرأيتُ في الرؤيا صاحب الزمان وخليفة الرحمن صلوات الله عليه وسألته مسائل أشكلت علَيّ . ثمّ قلتُ : يابن رسول الله ما يتيسّر لي ملازمتكم دائماً أُريد أن تعطيني كتاباً أعمل عليه ،* فأعطاني صحيفة عتيقة . فلمّا انتبهتُ وجدتُ تلك الصحيفة في كتب وقف المرحوم المبرور آغا غدير ، فأخذتها وقرأتها على الشيخ بهاء الدين محمّد ، وكتبت صحيفتي من تلك الصحيفة وقابلتها مراراً مع النسخة التي كتبها الشيخ شمس الدين محمّد صاحب الكرامات جدّ أبي شيخنا بهاء الدين محمّد ، وقال : كتبتُ تلك الصحيفة من نسخة بخطّ الشهيد رضي الله عنه . وقال : كتبتها من نسخة بخطّ السديديّ رحمه الله . وقال : كتبتها من نسخة بخطّ عليّ بن السكون ، وقابلتها مع النسخة التي كانت بخطّ عميد الرؤساء ، ومع النسخة التي كانت بخطّ ابن إدريس . وببركة مناولة صاحب الزمان صلوات الله عليه انتشرت نسخة «الصحيفة» في جميع بلاد الإسلام ، سيّما إصفهان ، فإنّه شذّ بيت لا تكون «الصحيفة» فيه متعدّدة . وهذا الانتشار صار برهان صحّة هذه الرؤيا . والحمد للّه ربّ العالمين على هذه النعمة الجليلة .

* ــ قال الشيخ محمّد باقر البهبوديّ في الهامش : راجع نسخة الأصل ، وقد كان كتب بخطّ يده قدّس سرّه ما يلي ، ثمّ ضرب عليه . فقال صلوات الله عليه : بعثتُ إليك ذلك الكتاب [ما أخذتَه ؟ فقلتُ : لا] وهو عند مولانا محمّد تاج فرح . وخذ منه ! فودّعته وذهبتُ لآخذ ممّن أعطاه ، وكأنّه كان معروفاً عندي . فلمّا وصلتُ إليه ، قال ذلك الرجل : بعثك صاحب الأمر ؟ فقلتُ : نعم . فأعطاني كتاباً فأخذته ورجعت لأُلازمه ، فانتبهتُ من النوم ، ولم يكن معي . شرعتُ في التضرّع والبكاء فذهبتُ عند الشيخ بهاء الدين محمّد رحمه الله . رأيته مشتغلاً بدرس «الصحيفة» . فلمّا أتمّ القراءة ، عرضتُ عليه الواقعة ، وكنتُ أبكي ، فقال : هذه واقعة لا يكون مثلها واقعة ، وإعطاء الكتاب عبارة عن إيتاء العلوم الربّانيّة الحقيقيّة ، لك البشرى أبد الآباد . ثمّ ضرب عليها ولخّص رؤياه فقال : فأعطاني صحيفة عتيقة ... إلى آخره . فتدبّر .

٤٣) كان الملّا محمّد تقي المجلسيّ متّهماً بالتصوّف . (منه) هذا الهامش للمرحوم الشارح المدرّسيّ .

٤٤) نقل المرحوم الأُستاذ السيّد محمّد مشكاة تفصيل هذه المكاشفة عن العلّامة المجلسيّ الأوّل في كتاب «مشيخة الفقيه» وذلك في ص ٢٢ إلى ٢٥ من مقدّمته على «الصحيفة» التي ترجمها الباحث الجليل السيّد صدر الدين البلاغيّ إلى الفارسيّة وطبعتها

دار الكتب الإسلاميّة سنة ١٣٦٩ ه ، وقال : إنّ المولى محمّد تقي المجلسيّ يروي «الصحيفة» مناولةً عن صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه . مطالبه كحكاية المدرّسيّ الجهاردهيالتي ذكرناها في المتن ، وهي تفي بالغرض في عدد من المواضع بتغيير يسير في اللفظ . وهي كالآتي : ١ ــ كان في بالي أنّ الإمام عليه السلام يريد من مولانا محمّد هو الشيخ محمّد المدرّس . ٢ ــ قال الشيخ في تعبير رؤياي : أُبشّرك بالعلوم الإلهيّة والمعارف اليقينيّة ، لكنّ قلبي لم يهدأ من هذا الكلام . ٣ ــ لمّا سلّمتُ على حسن تاجا قال : يا فلان ! إنّ الكتب الوقفيّة التي عندي كلّ مَن يأخذها من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف وأنت تعمل بها . تعال وانظر إلى هذه الكتب ، وخذ كلّ ما تحتاج إليه ! ٤ ــ قلتُ : هذا الكتاب يكفيني . وجئت عند الشيخ محمّد المدرّس وشرعتُ في المقابلة مع النسخة التي كتبها جدّ أبيه من نسخة الشهيد . وكانت النسخة التي أعطانيها الصاحب عليه السلام أيضاً مكتوبة من خطّ الشهيد رحمه الله ــ (انتهى) .

وقال السيّد محمّد مشكاة : واتّفق لي أيضاً قضيّة غريبة في أمر «الصحيفة» أعرضتُ عن ذكرها مخافة الإطالة .

٤٥) شرح الصحيفة السجّاديّة» لآية الله المدرّسيّ الجهاردهيّ ، ص ١ إلى ٣ ، منشورات المكتبة المرتضويّة .

٤٦) طالعتُ هذه النسخة بدقّة في الليلة الثامنة من جمادى الأُولى سنة ١٤١٣ . ويرى بعض المطّلعين أنّ حواشيها بخطّ المرحوم الفيض نفسه ، بل إنّه كتب بخطّه ما جاء في ظهر الصفحة الأُولى منها . بَيدَ أنّي توصّلتُ في تلك الليلة إلى النتيجتين الآتيتين : ١ ــ أنّ الحواشي من إنشاء المرحوم الفيض ، لأنّي طبّقتها مع شرحه المطبوع سنة ١٣١٧ ه منضمّاً إليه «نور الأنوار» للسيّد نعمة الله الجزائريّ فوجدتهما شيئاً واحداً تماماً . ٢ ــ كانت ولادة المحقّق الفيض في ٤ صفر ١٠٠٧ ه ، ووفاته في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٠٩١ ه . ولمّا كان تأريخ الفراغ من كتابة هذه «الصحيفة» هو ١٥ ربيع الثاني ١٠٩١ ه ، فإنّ وفاة المرحوم الفيض كانت بعد الفراغ من الكتابة بأُسبوع . بَيدَ أنّه لمّا كان تأريخ خاتمة الشرح سنة ١٠٥٤ بعبارة «تمّ شرح الدعاء» كما يظهر من مخطوطتي ، ومن النسخة المطبوعة ، وعبارة صاحب «الذريعة» في «شرح الصحيفة» ، على هذا فإنّ ما بين كتابة النسخة ، وتأريخ الفراغ منها سبعة وثلاثون سنة ، وعلى هذا الأساس لايمكن أن يكون الشرح بخطّ المرحوم الفيض نفسه لأسباب معينة (ذكرتُ هناك ثلاثة أسباب) ويتحصّل ممّا ذكرناه أنّ الحواشي هي للمرحوم الفيض نفسه لا محالة ، وأنّها كُتبت في عهده قطعاً لكنّها ليست بخطّه .

٤٧) وفيما يأتي ألفاظه نفسها : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد للّه وسلامٌ على عباده الذين اصطفى . وأمّا بعد ، فيقول الفقير إلى الله الغنيّ محمّد بن مظفّر المدعو بتقي

الصوفيّ الزيابادي القزوينيّ أوزعه الله شكر نعمته : لمّا وُفّقتُ بقراءة «الصحيفة الكاملة» لسيّد العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين على شيخي وأُستاذي ومن إليه في العلوم الشرعيّة استنادي شيخ المحقّقين ووارث علوم الأنبياء والمرسلين حجّة الإسلام والمسلمين بهاء الملّة والحقّ والدين . محمّد بن حسين بن عبد الصمد الحارثّي العامليّ أدام الله بركته على المسلمين وأخذتُ الإجازة مَنه ، اطّلعتُ على بعض الأدعية المنسوبة إليه عليه السلام ممّا أُلحق بالصحيفة المذكورة أو لم يلحق . فالتمس منّي بعض الأحبّاء من المؤمنين أن أجمعها في مجموع يكون سهل المأخذ . فاستخرتُ الله تعالى وأوردتُ في هذا المجموع من أدعيته عليه السلام ما تيسّر لي إيراده حسب ضيق الوقت وكثرة الشغل وتوزّع البال ممّا كان أودعه أئمّة الدعاء في كتبهم ك «الكافي» لثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ ، و«من لا يحضره الفقية» لرئيس المحدّثين محمّد بن بابويه القمّيّ رحمه الله ، و«التهذيب» و«المصباح» لشيخ الطائفة محمّد بن حسن الطوسيّ رحمه الله ، و«مهج الدعوات» للسيّد الأيّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس رضي الله عنه سائلاً من الله المغفرة لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات .

ويبدو أنّ مخطوطة تماثل مخطوطتي وصلت إلى المرحوم آية الله المرعشيّ . ونصّ رحمه الله في ص ٣٥ و٣٦ من مستدركاته على مقدّمة الأُستاذ السيّد محمّد مشكاة التي كتبها على شرح البلاغيّ قائلاً : ومن منن الله تعالى علَيّ أن وجدت كتاباً باسم «ملحقات الصحيفة» للشيخ الثقة محمّد بن مظفّر المدعو بتقي الزيابادي القزوينيّ ، نزيل سمنان والمدفون بها من أجلّة تلاميذ شيخنا البهائيّ . وقد ذكر في أوّله : إنّي بعدما قرأتُ «الصحيفة الكاملة» على شيخي ، أي : البهائيّ ، وأجاز لي ، اطّلعتُ على بعض الأدعية المنسوبة إليه عليه السلام ممّا أُلحق ب «الصحيفة» ... وفرغ من تأليفه سنة . ١٠٢٣ والنسخة المرويّة عندي .

٤٨) الصحيفة الثالثة السجّاديّة» ص ٥ إلى ٨ ، منشورات «مكتبة الثقلين القرآن والعترة» .

٤٩) وفي ضوء مخطوطتي المزيّنة بملحقات الملّا محمّد تقي الزيابادي ، وهي «الصحيفة الثانية» طبعاً ، لابدّ أن نعدّ صحيفة الشيخ الحرفوشيّ الثالثة ، و صحيفة الشيخ الحرّ العامليّ الرابعة ، وهكذا .

٥٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ١٥ ، ص ١٩ و٢٠ ، الرقم . ٩٦ قال المرحوم صاحب «الذريعة» في آخر الترجمة : طبعت بإيران ، ونسخة الأصل مع الحواشي في خزانة المير حامد حسين بالهند . وطبعت في بومباي سنة ١٣١١ ه وسقطت الحواشي في الطبع .

٥١) الذريعة» ج ١٥ ، ص ٢٠ ، الرقم . ٩٧

وجاء في رسالة «زهر الرياض في ترجمة صاحب الرياض» لآية الله المرعشيّ رحمه الله ، المطبوعة في مقدّمة الجزء الأوّل من كتاب «رياض العلماء» : «الأفندي» لفظة تركيّة جغتائيّة أو مغوليّة . ومعناها الشخص الشخيص والرجل العظيم الشأن . ووجه اشتهار المؤلّف بها أنّه كان جليل القدر ورفيع المنزلة عند السلطان العثمانيّ بحيث كان له كرسي مخصوص به في مجلسه في إسلامبول . وصارت مرتبته عند الملك بمثابة استدعى المترجم عزل شريف مكّة فأجابه السلطان وعزله . وكان يخاطبه الملك تعظيماً وتكريماً له بالأفندي . ومن ثمّ اشتهر بهذا اللقب .

وقال : إنّه اختلفت كلمة المؤرّخين في تعيين مدّة سياحته ورحلاته في الأقطار . فمنهم من عيّنه ثلاثين سنة ، ومنهم من عيّنه عشرين سنة ، ومنهم من عيّنه نصف عمره . ومن الأصقاع التي وردها قطعاً بلاد مصر ، والحجاز ، واليمن ، والعراق ، ولبنان ، وسوريا ، وإيران ، والأفغان ، وتركستان ، والهند ، والسّند ، وحضرموت ، وأُندنوسيا ، وتركيا ، وجورجيه ، وأرمينيّة ، وطاشقند ، وكشمير ، وغيرها . واجتمع في تلك البلدان بعلمائها على اختلاف مذاهبهم وتشتّت آرائهم فأفاد واستفاد . وقال : «الصحيفة الثانية العلويّة» من مصنّفاته . وقال : توفّى سنة ١١٣٠ ه على ما في تعاليق الإجازة الكبيرة للجزائريّ ، وفي «تذكرة القبور» للعلّامة المعاصر المهدويّ الإصفهانيّ ، في تخت فولاد إصفهان . وحدّثني من أثق به أنّ قبره في حوالي مقبرة الفاضل الهنديّ . وقال : وممّا يدلّ على تبحّره وإحاطته ما كتبه أُستاذه العلّامة المجلسيّ في آخر «البحار» كتاباً قال ما محصّله : هذا كتاب كتبه إلينا بعض الأفاضل من تلاميذنا . ومضمونه : الأنسب أن تذكروا هذا الحديث في باب فلان من «البحار» ، وذاك الحديث في باب فلان ، وهكذا . ورأيت نسخة من بعض مجلّدات «البحار» يظهر منها أنّه كان تأليفه تحت نظر هذا المولى الجليل والحبر النبيل . وقال : يظهر من الإجازة الكبيرة للعلّامة السيّد عبد الله الجزائريّ أنّ أصل كتاب «البحار» والمجلّدات التي كانت بخطّ العلّامة المجلسيّ رآها عندالمولى الأفندي زمن نزوله ضيفاً بداره بتستر .

٥٢) الصحيفة الثالثة» ص ٨ إلى ١٧ ، طبعة مكتبة الثقلين ، قم ، سنة . ١٤٠٠

٥٣) الذريعة» ج ١٥ ، ص ٢٠ ، رقم . ٩٨

٥٤) جاء في «معجم دهخدا» (معجم فارسيّ لمصنّفه دِهْخُدا) ج ٢٦ ، مادّة س ه ا : السّهَى : كوكب صغير معروف في بنات نعش ويتّصل بالكوكب الثاني من الكواكب الثلاثة لبنات نعش . وجاء في («غياث» : معجم فارسيّ) (انندراج : معجم فارسيّ) : كوكب ضئيل في غاية الخفاء في بنات نعش الصغرى . وجاء في («منتهى الإرب» :

معجم عربيّ فارسيّ) : كوكب في منتهى الصغر قريب من الكوكب الثاني من كوكبي الدبّ الأكبر ، يُمْتَحَنُ به البصر .

وذكر دهخدا في معجمه اللغويّ أيضاً ، ج ٣٢ ، ص ١٨٦ و١٨٧ : الفرقدان [فَ قَ] كوكبان مضيئان في صورة الدبّ الأصغر ، يقال لهما بالفارسيّة (دو برادران) [الأَخَوان] (بخطّ المؤلّف) . ويضرب بهما المثل في المساواة وعدم المفارقة ، ويُسمّى أحدهما : أنور الفرقدين ، والآخر : أخفى الفرقدين . (بخطّ المؤلّف) . وهما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش . («صبح الأعشى» للقلقشندي ، ج ٢ ، ص ١٦٤) .

٥٥) على سبيل المثال ، الدعاء ٢٥ الذي ذكره نقلاً عن كتاب «السعادات» ، والدعاء ٢٧ الذي أورده عن خطّ بعض الفضلاء ، وأدعيته الشعريّة التي ذكرها في ص ١٤٣ فما بعدها . وأدانها المرحوم الأمين في صحيفته الخامسة من حيث عربيّتها .

٥٦) الصحيفة الرابعة» للمحدّث النوريّ ، ص ٢ و٣ ، وأيضاً : ص ١٤٥ و . ١٤٦

٥٧) الذريعة» ج ١٥ ، ص ٢٠ ، رقم . ٩٩

٥٨) قال المرحوم آية الله الأمين في الهامش : هو كتاب في الرجال والتراجم سمّاه «رياض العلماء وحياض الفضلاء» ذكر فيه أحوال علمائنا من زمن الغيبة الصغرى إلى زمانه وهو سنة تسع عشرة بعد الألف ومائة في عشرة مجلّدات لم تخرج إلى البياض . وهو كتاب نفيس على ما يظهر . استعان به أكثر من صنّف بعده في هذا الباب . وله غيره مصنّفات كثيرة وتعليقات ولكنّها تلفت . وجرى بينه وبين شريف مكّة المكرّمة منافرة بالحجاز فذهب إلى القسطنطينيّة وتقرّب إلى السلطان حتّى توصّل إلى عزل الشريف ونصب غيره . ومن يومئذٍ عرف بالأفندي . أقول : ها هي خمسة أجزاء منه قد طبعت بحمد الله والمنّة بجهود محمودة بذلها سماحة حجّة الإسلام السيّد أحمد الحسينيّ أدام الله معاليه ، وما زالت أجزاؤه الخمسة الأُخرى مفقودة ، ولا ندري هل هي موجودة أم لا ؟ وإذا كانت موجودة ، ففي أيّ زاوية من زوايا العالم أو أيّ مكتبة من مكتباته ؟ بَيدَ أنّ هذا الكتاب يترجم لعلماء الخاصّة والعامّة . فأجزاؤه الخمسة الأُولى تحوم حول علماء الخاصّة . والثانية تدور حول علماء العامّة . ويؤسفنا ضياع أجزاء من كلّ منهما ، إذ ضاع جزءان من الأجزاء التي تتناول علماء الخاصّة ، وثلاثة أجزاء من التي تتحدّث عن علماء العامّة . والمطبوع منه حاليّاً خمسة ، ثلاثة منه حول الخاصّة واثنان حول العامّة . وممّا يتميّز به هذا الكتاب عن سائر كتب التراجم هو أنّ مؤلّفه لم يعتمد على المصادر الرجاليّة وكتب التراجم فحسب ، بل أمضى نصف عمره في التنقّل بين أمصار كثيرة ، ومواجهة العلماء والأعيان ، والتنقيب في كتب مختلفة . ومن هنا تجده يستخرج ملاحظات دقيقة من موضوعات علميّة متباينة لا علاقة لها بكتب التراجم أبداً ، ويدوّن مشاهداته في نقطة من النقاط النائية لتكون شاهد صدق وتأييداً لنيّاته وأهدافه ، ويتحدّث

عن عالم أو شخصيّة ربّما لم تكن شخصيّة علميّة لتتكشف خفايا وغوامض ومجاهيل من زوايا التأريخ عند البحث فيها .

٥٩) الآية ٢١ ، من السورة ٥٧ : الحديد ؛ والآية ٤ ، من السورة ٦٢ : الجمعة .

٦٠) الصحيفة الخامسة السجّاديّة» ، من أدعية الإمام السجّاد عليه السلام للعلّامة المحقّق المغفور له السيّد محسن الأمين العامليّ (١٢٨٢ ــ ١٣٧١) ص ٢ إلى ٨ ، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة . إصفهان ــ إيران .

٦١) يريد المرحوم الأمين هنا أن يستند إلى قاعدة التسامح في المستحبّات ، في جواز قراءة الأدعية الضعيفة السند . وفي هذا الاستناد إشكال . وتوضيح ذلك : نقل صاحب «وسائل الشيعة» تسع روايات في هذا الباب . أوّلها : مَنْ بَلَغَهُ شَيء من الثواب على شيء من الخير فعمل به كان له أجر ذلك ، وإن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يَقُلْهُ ــ الحديث .

وعمل العلماء الأعلام بهذه الروايات ، لأنّ أصل صدورها من المعصوم ثابت مقطوع به . بعضها صحيحة ، وبعضها موثّقة ، وبعضها ضعيفة . ولمّا كان صدورها ثابتاً فلا نمتري فيها . بَيدَ أنّ الإشكال يرد على دلالتها ، كم تتّسع ؟ وكم مساحة شمولها ؟ هل تشمل كلّ عمل مستحب رواه راوٍ ضعيف مجهول لا يوثق به حتّى لو كان يزيد بن معاوية ، ومن ثمّ يسوقنا إلى ما يريد بوضعه رواية على أساس التسامح في أدلّة السنن ، وتؤدّي هذه الرواية إلى انتشار البدع ، وقلب السّنن الإسلاميّة ، كما يلاحظ هذا اليوم ، إذ نقلوا رواية ضعيفة عن المعلّى بن خُنيس من أجل أن يضفوا طابعاً رسميّاً على عيد النوروز فظنّوا استحباب الغسل والدعاء فيه . وبلغ هذا التسامح مبلغاً انهارت فيه الأعمدة العظيمة للسنن المحقّقة . أو أنّ مصبّ هذه الروايات ودلالتها وشمولها موضع آخر . ومفاد هذه الروايات مفاد بحث أُصوليّ يتكافأ فيه الانقياد مع الطاعة كما يتكافأ التجرّؤ مع المعصية . لذلك إذا أُثيب أحدٌ على عمل من وحي الحجج الشرعيّة ، وهو عمل حسب ما يقتضيه ، ثمّ تبيّن خلافه فأجره محفوظ لعامله ولا يحرمه الله ثوابه . وورد في ألفاظ الروايةلفظ مَن بَلَغَهُ . ويصدق البلوغ إذا تحقّق الوصول التعبّديّ كالوصول الخارجيّ في عالم الاعتبار وتُؤتَى الحجّيّة بالعمل . كالبلوغ في قوله تعالى : يا أيّها الرّسولُ بلّغ ما أُنزِلَ إلَيْكَ مِن ربّك . وقوله تعالى : هَذا بَلَغٌ لِلنّاس . ويشمل فقط الحالات التي يتمّ فيها الموضوع من حيث الاعتبار ، إلّا أنّ سهواً قد حصل في السند ولم يطابق الواقع اتّفاقاً . إذن ، لا تشمل أدلّة التسامح الروايات المرسلة والمقطوعة والضعيفة السند بخاصّة في الأدعية التي تمثّل أهمّ أركان ربط المخلوق بالخالق . وفي الموضوع تفصيل ليس موضعه هنا وستجده إن شاء الله تعالى في كتاب «النيروز بدِعَةٌ وضلالةٌ» بحول الله وقوّته ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

٦٢) الصحيفة الخامسة» ص ١٢ و . ١٣

٦٣) وقد تقدّم بيان فسادُ هذا الرأي .

٦٤) الصحيفة الخامسة» ص ١٨ و . ١٩

٦٥) الذريعة» ج ١٥ ، ص ٢١ ، رقم . ١٠٠

٦٦) الصحيفة الكاملة السجّاديّة» مع ترجمة السيّد صدر الدين البلاغيّ ، من منشورات دار الكتب الإسلاميّة ، سنة ١٣٦٩ ه .

٦٧) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٤٣ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة . وفيما يأتي نصّ عبارة العلّامة محمّد تقي المجلسيّ الأوّل : .... إنّي أروي «الصحيفة الكاملة» عن مولانا ومولى الأنام سيّد الساجدين عليّ بن الحسين زين العابدين مناولة عن صاحب الزمان وخليفة الرحمن الحجّة بن الحسن عليهم السلام بين النوم واليقظة ، ورأيتُ كأنّي في الجامع العتيق بإصبهان ، والمهديّ صلوات الله عليه قائم وسألت عنه مسائل أشكلت علَيّ فأجاب عنها . ثمّ سألتُ عنه عليه السلام كتاباً أعمل عليه ، فأحالني بذلك الكتاب إلى رجل صالح ، فلمّا أخذتُ منه كان «الصحيفة» . وببركة هذه الرؤيا انتشرت «الصحيفة» في الآفاق بعدما كان مطموس الأثر في هذه البلاد .

٦٨) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٤٥ إلى . ٤٧

٦٩) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص . ٥٠ ونقل المرحوم الأُستاذ السيّد محمّد مشكاة هذا اللفظ نفسه في مقدّمته المدوّنة على الشرح الفارسيّ الذي كتبه السيّد صدر الدين البلاغيّ على «الصحيفة» . وقال : وناهيك في ذلك أنّ المولى محمّد تقي المجلسيّ أشار في بعض رواياته أنّ له إليها ألف ألف سند .

٧٠) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥١ إلى . ٦١

٧١) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٦٣ إلى . ٦٦

٧٢) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥٤ إلى . ٥٩

٧٣) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥٤ و . ٥٩

٧٤) نقل العلّامة المجلسيّ في بحاره : ج ١١٠ ، ص ٦١ ، في آخر إجازته المفصّلة في رواية «الصحيفة الكاملة» عن الشيخ بهاء الدين العامليّ أنّ والده العلّامة المجلسيّ الأوّل : المولى محمّد تقي قال : والظاهر أنّ التسمية ب «زبور آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم» و«إنجيل أهل البيت عليهم السلام» على ما ذكره الشيخ رشيد الدين محمّد بن شهرآشوب المازندرانيّ أنّه كما أنّ الزبور والإنجيل جريا من الله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم ، كذلك جرت الصحيفة من الله تعالى على لسان سيّد الساجدين عليّ بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليه . ويحتمل أن تكون منزلة من السماء على رسول الله صلّى الله عليه وآله . ولمّا كان الظهور على يده عليه السلام صارت منسوبة إليه .

٧٥) الصحيفة السجّاديّة الجامعة» ص . ٨٤٤

٧٦) الصحيفة الرابعة» ص ١٤٣ إلى . ١٤٥

٧٧) الصحيفة السجّاديّة الجامعة» ص ٥١٦ و . ٥١٧

٧٨) الوافي بالوفيّات» تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفديّ ، طبعة دار النشر فرانزشتاينر بفيسبارن ١٣٨١ ه ــ ١٩٦٢ م .

٧٩) الصحيفة السجّاديّة الجامعة» ص ١٧ إلى . ٣٠

٨٠) الصحيفة السجّاديّة الجامعة» ص ٨١٧ و. ٨١٨ وذكرنا هنا مختصر الإرشادات والمصادر وأُصولها .

٨١) الآية ٧٩ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٨٢) والدته هي المرحومة المغفور لها بتول بنت المرحوم آية الله السيّد ميرزا فخر الدين السيّديّ القمّيّ رحمه الله . ووالدتها هي المرحومة المغفور لها زهراء رحمة الله عليها عمّة والدي ، فآية الله الروحانيّ حفيد عمّة والدي التي تزوّجها المرحوم فخر العلماء والفقهاء آية الله السيّد ميرزا فخر الدين السيّديّ القمّيّ . و كان عالماً جليلاً و فقيهاً نبيلاً ، وهو نجل شيخ الإسلام السيّد الميرزا أبو القاسم القمّيّ ، إمام جمعة قم ، ابن السيّد ميرزا محمّد رضا القمّيّ ابن السيّد أبي طالب بن السيّد ميرزا أبو المحسن . و كان المرحوم السيّد أبو طالب إمام جمعة قم الصهر الثالثللمرحوم آية الله المحقّق الفقيه الأُصوليّ العظيم الميرزا أبو القاسم الجيلانيّ الشفتيّ القمّيّ العالم العلّام صاحب «قوانين الأُصول» و«جامع الشتات» و«غنائم الأيّام» وكتب أُخرى غيرها . فأبناء عمّة والدنا كانوا من نسل زهراء ، وكلّهم من أسباط صاحب «القوانين» من جهة الأب . (جاءت ترجمة الميرزا القمّيّ صاحب «القوانين» في «روضات الجنّات» ، و«قصص العلماء» ، و«كنجينه دانشوران» ، و«نجوم السماء» ، و«خاتمة مستدرك الوسائل» ، و«الروضة البهيّة» ، و«تكملة أمل الآمل» . وذكره المرحوم آغا بزرك الطهرانيّ في «أعلام الشيعة» في الجزء الأوّل من «الكرام البررة» تحت الرقم ١١٣ ، ص ٥٢ إلى ٥٤).

٨٣) لمّا كان البحث يدور حول أنواع التصرف في الإنشاء والإملاء والكتابة والكتاب ، فمن المناسب أن يحوم حول حقّ التأليف أيضاً .

٨٤) سيأتي نقد الدليل المذكور في آخر هذا البحث .

٨٥) الآية ١٩٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٨٦) الآية ١٧ ، من السورة ٣١ : لقمان .

٨٧) الآية ١٥٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٨٨) قال الزمخشريّ في «أساس البلاغة» : وحكّموه : جعلوه حَكَماً . وحكّمه في ماله فاحتكم وتحكّم . وقال ابن منظور في «لسان العرب» : وحكّموه بينهم : أمروه أن يحكم .

ويقال : حَكّمنا فلاناً فيما بيننا ، أي : أجزنا حكمه بيننا . وحكّمه في الأمر فاحتكم : جاز فيه حكمه ... ويقال : حكّمته في مالي إذا جعلتُ إليه الحكم فيه فاحتكم علَيّ في ذلك .

٨٩) الآية ١١٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٩٠ــ٩١) الآية ٢ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

٩٢) الآية ٢٣٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٩٣) الآية ٦ ، من السورة ٤ : النساء .

٩٤) الآية ١٥ ، من السورة ٣١ : لقمان .

٩٥) الآية ١٧ ، من السورة ٣١ : لقمان .

٩٦) الآية ١١٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٩٧) ذيل الآية ٣٢ ، من السورة ٢٣ : الأحزاب .

٩٨) الآية ٦ ، من السورة ٤ : النساء .

٩٩) الآية ٢٤١ ، من السورة ٢ : البقرة .

١٠٠) الآية ٢٦٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

١٠١) الآية ١٥ ، من السورة ٣١ : لقمان .

١٠٢) الآية ٦ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

١٠٣) الآية ٢٧٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

١٠٤) شرح ديوان ابن مقبل» وكتابان أو ثلاثة في الدعاء .

١٠٥) ــ تأريخها الإسلاميّ الصحيح هو التأريخ الهجريّ ، وكان يصادف آنذاك ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٠ ه .

وهذا ما نقله لي الأخ الكريم حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محسن سعيديان دامت معاليه عن مهدي الولائيّ دام توفيقه نفسه . وهذا الرجل خبير مطّلع وله من العمر الآن زهاء ثمانين سنة . ويزاول الآن عمله ذاته بسبب حاجة الآستانة الرضويّة المقدّسة إليه . يقول : كان داود بيرنيا قبيح العمل . وعدّد كثيراً من سيّئاته . أقول : كان الشاه الخائن قد نصبه محافظاً على شيراز مدّة . ونقل أهالي شيراز من وقاحته ومجالس سمره بعض الحكايات . وهو ابن مُشير الدولة : حسن بيرنيا الذي كان هو وأخوه مؤتمن الملك : حسين بيرنيا من المطّلعين الناصحين في العصر القاجاريّ وأوائل العهد البهلويّ . وكان لمؤتمن الملك حسين بيرنيا ولد يُدعى خسرو بيرنيا ، هو إنسان مؤمن ملتزم مقيم الصلاة حسن الفكر حقّاً . وتربطني به صداقة ومودّة منذ القديم . ومن العجيب أن يخرج من الأخوين المذكورينولدان مختلفان أحدهما داود ذو السوابق السيّئة ، والآخر خسرو صاحب الأعمال الحسنة ، وهو من أهل المسجد والدعاء والصيام والقرآن .

١٠٦) نظّم مهدي الولائيّ الجزء الحادي عشر منه . واستوعبت المجموعة المعهودة الواردة تحت الرقم ٤٣٥ ، وهي المجموعة ١٢٤٠٥ ، ص ٦٧١ إلى ٦٧٥ من الفهرس المذكور . ونظّم غلام علي عرفانيان الجزء الثاني عشر منه . وهذه المجموعة المرقّمة ٦٢٣ هي المجموعة ١٢٤٠٥ ، وتشمل ص ٤١١ إلى ٤١٧ من الفهرس المشار إليه .

١٠٧) لمّا كان التعرّف على أُسلوب كتابتها وزمانها ومكانها وكاتبها وسائر خصائصها مرتبطاً بالتعرّف على جميع محتوياتها إلى حدّ ما ، لهذا نذكر فيما يأتي موجزاً لها . وهي تشمل خمسة كتب . وتشغل الجزء ١١ ، ص ٦٧١ إلى ٦٧٥ ، والجزء ١٢ ، ص ٤١١ إلى ٤١٧ من فهرس مخطوطات المكتبة الرضويّة الكبرى بمشهد المقدّسة . المجموعة ١٢٤٠٥ عربي ، نسخة استثنائيّة نفيسة تشتمل على الكتب الآتية :

أ ــ «قوارع القرآن» المرتّب على ثلاثة أجزاء . يشتمل على مختارات من الآيات القرآنيّة المذيّلة بعدد من الأحاديث في فضائل كلّ آية . تأليف الشيخ الفقيه أبي عمرو محمّد بن يحيى بن الحسن ، وهو من مشايخ أهل السنّة والجماعة في الحديث ومن فقهاء الشافعيّة . ألّفه بغية المواظبة على تلاوتها من أجل دفع شرّ الشياطين . والكاتب هو أبو عبد الله أحمد ابن عمر بن أحمد الأندرابيّ . فرغ من الكتابة في ٢٧ شعبان . ٤٢٩ وقُرئ في ١٢ رمضان المبارك ٤٢٩ ه في مدرسة أبي الحسن عبد الرحمن بن محمّد الجَزَنيّ الواقعة بنيسابور .

ب ــ «جزءٌ فيه آيات الرّقْية والحِرز» المؤلّف هو مؤلّف الكتاب السابق نفسه ، وكذلك الكاتب . فرغ من كتابته لثلاث بقين من شهر شعبان سنة . ٤٢٩ وقُرئ في ١٣ رمضان سنة ٤٢٩ ه .

ج ــ «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» . وتشتمل على ٣٨ دعاء من أدعية الصحيفة المباركة السجّاديّة . وتختلف في بعض كلماتها وفقراتها عن رواية السيّد نجم الدين بهاء الشرف أبي الحسن محمّد نوعاً ما ، بخاصّة في سلسلة الرواية ؛ إذ تختلف اختلافاً تامّاً عنها من حيث عدد الرواة وأسمائهم ، ومن حيث طول متن الحديث أيضاً . الكاتب هو الحسن بن إبراهيم ابن محمّد الزاميّ في شوّال سنة ٤١٦ ه وتمّت مقابلتها مع قراءة إسماعيل بن محمّد القفّال . وأجاز روايتها للزاميّ أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن سلمة الفرهاذجرديّ النيسابوريّ الذي يرويها عن أبي بكر الكرمانيّ . ووقف أبوعبد الله أحمد بن أبي عمر الزاهد كاتب «قوارع القرآن» هذه النسخة على مدرسة الشيخ حامد بن أحمد في باب عزرة ، وخوّل توليتها إلى عمر بن محمّد الحامديّ .

د ــ كتاب «المذكّر والمؤنّث» . مختصر جامع ونافع جدّاً في بيان علامة الأسماء المؤنّثة باللغة العربيّة . وهو مرتّب على ثلاثة أبواب . الكاتب هو كاتب «الصحيفة» نفسه

، أي : الحسن بن إبراهيم بن محمّد الزاميّ كتبه في التاسع عشر من المحرّم ليلة السبت سنة . ٤١٧

ه ــ «رسالة في شهر رجب» هذا الكتاب مختصر في فضل شهر رجب وأعماله بإملاء الحاكم أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحَسْكَانيّ فيجواب حامد بن أحمد بن جعفر في خمسة عشر باباً .

١٠٨) قال في هامش ص ٤١٤ ، ج ١٢ من «الفهرست» : وهي جام التي كانت من كُوَر نيسابور قديماً وكانت تشتمل على مائة وثمانين قرية وقصبتها بوزجان . أجل ويتبيّن من هذا الكلام خطأ تسمية الزاميّ في النسخة المطبوعة من هذه الصحيفة ، إذ ينبغي أن يُذكَر بالألف واللام : الإلزاميّ . وأمّا زام وجام فهي لغة ، وإذا ذكرت الألف واللام تصبح الزاميّ ، أي : أهل جام.

١٠٩) جاء في «أقرب الموارد» : سَبَّلَهُ : جَعله في سُبُلِ اللهِ . أي : سبيل الخير . يقال : سَبّلَ ضيعته . وفي الحديث : احبس أصلها وسبّل ثمرتها . وسَبّلَ الشّيءِ : أباحه كأنّهُ جعل إليه طريقاً مطروقةً .

١١٠) الفهرست» ج ١١ ، ص . ٦٧٥

١١١) الفهرست» ج ١٢ ، ص ٤١٧ ، لأنّ المقصود هو : أنّنا لم نعرف عليّ بن إبراهيم البوزجانيّ مَنْ هُوَ ، لا أنّ واقفاً لم يُعْرَف لوقف النسخة .

١١٢) ذكر هذه المناجاة برمّتها كلّ من المحدّث النوريّ في «الصحيفة الرابعة السجّاديّة» ص ٢٩ إلى ٣٨ ، وآية الله الأمين العامليّ في «الصحيفة الخامسة» ص ٢٥٩ إلى ٢٦٧ ، عن الشيخ إبراهيم الكفعميّ في «البلد الأمين» وقالا : ونحن نوردها بتمامها تبرّكاً وتأسّياً بشيخنا الحرّ العامليّ قدّس سرّه حيث أورد الندبة الأُخرى له عليه السلام أوّلها : آه وَانَفْسَاه ، في آخر «الصحيفة الثانية» ، وهي من سنخ هذه الندبة . وذكر العلّامة سندها في إجازته لبني زهرة هكذا : «ومن ذلك الندبة لمولانا زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام رواها الحسن ابن الدربيّ ، عن نجم الدين عبد الله بن جعفر الدوريستي ، عن ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن عليّ الحسينيّ بقاشان ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين المقري النيسابوريّ ، عن الحاكم أبي القاسم عبد الله بن عبد الله الحسكانيّ ، عن أبي القاسم عليّ بن محمّد العمريّ ، عن أبي جعفر محمّد بن بابويه ، عن أبي محمّد القاسم بن محمّد الاسترابياديّ ، عن عبد الملك بن إبراهيم ، وعليّ بن محمّد بن سنان ، عن أبي يحيى بن عبد الله بن يزيد المقري ، عن سفيان بن عُيينة ، عن الزهريّ قال : سمعت مولانا زين العابدين عليه السلام يحاسب نفسه ويناجي ربّه ، وهو يقول : يَا نَفْسُ حَتّامَ إلى الحيَاةِ سُكُونُكِ ؟! إلى آخر كلامه : واجْعَلْنَا مِنْ سُكّانِ دارِ النّعِيمِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ . وقال المرحوم الأمين بعد ذلك : أقول : أورد ابن

شهرآشوب في «المناقب» شيئاً يسيراً من هذه الندبة بهذه الصفة . قال : وكفاك من زهده «الصحيفة الكاملة» والندب المرويّة عنه عليه السلام . فمنها ما روى الزهريّ : يَا نَفْسُ حَتّامَ إلى الحياة سكونُكِ ، وإلى الدنيا وعمارتها ركونُك ؟ أما اعتبرتِ بمَن مضى مِن أسْلَافِكِ وَمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ من أُلّافك ــ إلى قوله ــ : وضمّتهم تحت التُرابِ الحفائر .

١١٣) ومن الجدير ذكره أنّ كلمة حَتّام ينبغي أن تكتب بالألف . وكتبها المحدّث النوريّ في صحيفته الرابعة ، ص ٣٠ ، بالياء (حتّى م) . وذكر آية الله الأمين في صحيفته الخامسة ، ص ٢٦٠ ، حتّى متى ، وأورد حَتّام بين الهلالين بوصفها نسخة بدل . ومهما كان فإنّ حتّام ينبغي أن تكتب بالألف . وجاء في عبارة الصحيفة الأخيرة حتّام أيضاً . وقال المعلّق عليها (غلام علي عرفانيان) في الهامش : هكذا وردت في موضعين من المناجاة المذكورة صريحاً وواضحاً . وهذه هي صورتها الصحيحة ، لأنّ القاعدة الصرفيّة تقول : إذا اتّصلت إلى ، وعلى ، وحتّى بما الاستفهاميّة كتب حرفها الأخير ألفاً بعد حذف ألف (ما) . فتكون «إلامَ وعلامَ وحتّامَ» ، ومن الخطأ كتابتها هكذا «إلى م وعلى م وحتّى م» . حتّى أنّ الرضيّ اعترض في «شرح الشافية» (١٣٨ فما بعدها والقسم الأخير منه معنون بباب الخطّ) وذكر أنّ ياء (متى) لِمَ لم تكتب مثل الكلمات المذكورة عند اتّصالها بما الاستفهاميّة .

وقال الأجهوريّ بصراحة : ولأجل اتّصال الحرف الجارّ لما الاستفهاميّة بها كتب نحو حتّام وعلامَ وإلامَ بألفات («شرح منظومة الرسم» ضمن المجموعة ١٢٧٩٢ المحفوظة في مكتبة الآستانة الرضويّة ، الورقة الثانية) وقال العلّامة أثير الدين أبو حيّان الأندلسيّ بصراحة تامّة : فإن وليت ما الاستفهاميّة حتّى أو إلى أو على كُتبن بالألف («التذييل والتكميل» أيضاً نسخة المكتبة المذكورة تحت الرقم ٣٩٢٦ ، ثماني عشرة ورقة بقيت لآخر النسخة) («فهرس مخطوطات الآستانة الرضويّة المقدّسة» ج ١٢ ، ص ٤١٤) .

١١٤) هو حفيد المرحوم آية الله السيّد محمّد كاظم اليزديّ من جهة الأُمّ ، حيث إنّ والدته المسمّاة بتول هي ابنة السيّد أحمد ، الولد الثالث للمرحوم اليزديّ . وكان ولده الأوّل هو السيّد محمّد . والثاني هو السيّد عليّ . تزوّجت العلويّة بتول من السيّد جواد الطباطبائيّ اليزديّ الذي كان من أرحام المرحوم آية الله اليزديّ أيضاً . ووالدتها بيبي بيگم بنت خديجة ، وخديجة بنت زهراء ، وزهراء ابنة الشيخ مرتضى الأنصاريّ . وعلى هذا يكون الشيخ الأنصاريّ جدّ آية الله السيّد الطباطبائيّ من النساء بواسطة أربع أُمّهات ، كما أنّ المرحوم آية الله الملّا مهدي النراقيّ جدّي من النساء بواسطة أربع أُمّهات أيضاً .

وكانت بيبي بيگم أُخت آية الله المرحوم السيّد محمّد عليّ سبط ، وعلى هذا يكون (سبط) خال والدة السيّد الطباطبائيّ . والمرحوم آية الله السيّد محمّد علي سِبط هو ابن

السيّد محمّد نبي بن السيّد موسى بن السيّد إسماعيل بن السيّد حسين بن السيّد عبد الباقي ، وترجمته مذكورة في كتاب «أعيان الشيعة» . ومن جهة الأُمّ اسم والدته خديجة بنت زهراء ابنة الشيخ الأنصاريّ ، واسم صهر الشيخ الذي كان قد تزوّج زهراء هو السيّد محمّد طاهر .

الأب : السيّد محمّد نبي

السيّد محمّد علي سبط

الأُمّ : خديجة ر زهراء ر الشيخ الأنصاريّ

الأب : السيّد محمّد طاهر

١١٥) الصحيفة السجّاديّة الكاملة» المؤرّخة ٤١٦ ه ، بخطّ الأُستاذ محمّد عدنان سنقنقي ، مطبعة الشام ، دار طلّاس .

١١٦) طبعة بيام ، إصدارات المفيد ، الطبعة الأُولى .

١١٧) الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ص ١٦٢ و١٦٣ ، الطبعة الأُولى من دار طلّاس ، مطبعة الشام ، نشر ومقدّمة آية الله الفهريّ .

١١٨) جاء في الصحيفة المشهورة أربع مرّات الصلوات على محمّد وآل محمّد» ومرّة واحدة «صلّى الله عليه وآله» ، و١٣٩ مرّة الصلوات على «محمّد وآله» . («المعجم المفهرس لألفاظ الصحيفة الكاملة» تحت عنوان «آل») .

١١٩) الأوّل في دعاء يخلو من عنوان في الصحيفة المكتشفة ، وذكر بعد الدعاء الأوّل بعنوان التحميد للّه عزّ وجلّ . ص ١٠ من الصحيفة المطبوعة بدمشق : والحمد للّه الذي مَنّ علينا بمحمّدٍ نبيّه صلّى الله عليه دون الأُمم الماضية . وفي الصحيفة المشهورة صلّى الله عليه وآله . الثاني إلى الرابع في الصحيفة المطبوعة بدمشق حسب النسخة المكتشفة ، في ص ٧٤ منها : ومن دعائه في التحميد . وفيالمشهورة : دعاؤه في صلاة الليل : وصلّ على محمّد إذا ذُكر الأبرار . وصلّ على محمّد ما اختلف الليل والنهار . وصلّ عليه بعد الرضا . الخامس : في ص ٩٣ : ومن دعائه لأهل الثغور ، وفي المشهورة : دعاؤه لأهل الثغور : اللهمّ وصلّ على محمّد عبدِكَ ورسولك . السادس والسابع : في ص ٩٨ و١٠٣ : ومن دعائه لرمضان ودخول شهره ، وفي المشهورة : دعاؤه لدخول شهر رمضان : اللهمّ وصلّ على محمّدٍ في كلّ وقت . الثامن : في ص١٢٢ ، ومن دعائه في وداع شهر رمضان ، وفي المشهورة : دعاؤه لوداع شهر رمضان : اللهمّ صلّ على محمّدٍ نبيّنا كما صلّيت ، التاسع إلى الحادي عشر : في ص ١٣٤ ومن دعائه في التوبة وذكرها ، وفي المشهورة : دعاؤه بالتوبة : اللهمّ صلّى على محمّد كما هَدَيْتَنَا به ، وصلّ على محمّدٍ صلاةً تشفع لنا يوم القيامة والفاقة إليك ! وصلّ على محمّد كما أسعدتنا باتّباعه . الثاني عشر في ص ١٣٩ ومن دعائه في الحوائج ،

وفي المشهورة : دعاؤه في طلب الحوائج : وصلّ على محمّد صلاة دائمة . الثالث عشر : في ص ١٦١ ، ومن دعائه إذا أصبح ، وفي المشهورة : دعاؤه عند الصباح والمساء : اللهمّ فصلّ عليه كأتمّ ما صلّيت . الرابع عشر : في ص ٢٠٨ ، ومن دعائه إذا خصّ نفسه ، وفي المشهورة : دعاؤه في مكارم الأخلاق : وصلّ على محمّد كأفضل ما صلّيت على أحدٍ قبله .

١٢٠) صحيح البخاريّ» كتاب التفسير ، ج ٦ ، ص ١٢٠ و ١٢١ ، طبعة بولاق سنة ١٣١٢ ه .

١٢١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ» ج ٣ ، ص . ٣٨٢

١٢٢) الآية ٥٦ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

١٢٣) الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٥

١٢٤) الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٦

١٢٥ــ١٢٦ــ١٢٧) «الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٦

١٢٨ــ١٢٩ــ١٣٠) «الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٦

١٣١ــ١٣٢ــ١٣٣ــ١٣٤) «الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٧

١٣٥ــ١٣٦) «الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٧

١٣٧ــ١٣٨) «الدرّ المنثور» ج ٥ ، ص . ٢١٨

١٣٩) قال المحقّق الفيض الكاشانيّ في كتاب «بشارة الشيعة» ص ١٣٣ ، الطبعة الحجريّة ، ما مضمونه : وثبت مثله في الحديث المتّفق عليه أيضاً أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله جعله بمنزلته في التعظيم وأمر بالصلاة على جميع أهل البيت ، حتّى العامّة رووا في صحاحهم أنّه لمّا نزلت الآية : صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ، قالوا : يا رسول الله ! هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف نصلّي عليك ؟! فقال : قولوا : اللهمّ صلّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم ! رواه الثعلبيّ في تفسيره ، والبخاريّ ومسلم في صحيحيهما .

١٤٠) كتاب «بحار الأنوار» ج ٩٤ ، ص ٤٧ إلى ٧٢ ، الباب ٢٩ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة .

١٤١) الآية ٥٦ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

١٤٢) الآية ٣٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

١٤٣) الآية ٤٤ ، من السورة ١٨ : الكهف .

١٤٤) الآية ٥٦ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب . وانظر : «بحار الأنوار» ج ٩٤ ، ص . ٤٨

١٤٥) الدعاء الثاني من «الصحيفة» بترجمة آية الله الشعرانيّ ، ص . ٢١

١٤٦) الدعاء الرابع والعشرون من هذه «الصحيفة» وكان من دعائه عليه السلام لأبويه عليهما السلام ، ص ٨٦ و . ٨٧

١٤٧) قال آية الله الشيخ محمّد حسين المظفّر في ص ١٥٦ من كتاب «تاريخ الشيعة» بعد شرح مفصّل حول المذابح التي ارتكبها أحمد باشا الجزّار بحقّ الشيعة في جبل عامل : ولمّا دخل الجيش الفرنسيّ تحت قيادة نابليون بونابرت بلاد الشام ، وجد الشيعة والصفديون بسببه الراحة وتخلّصوا من ظلم الجزّار وعتوّه . ولمّا انجلى الفرنسيّون واطمأنّ الجزّار في ولايته اشتدّ على بلاد بشارة وساحل صفد ، ولم يسمع بكبير أو ذي جاه إلّا أخذه أخذ عزيز مقتدر ، واستصفى أمواله ، وتركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه ، ودامت الحال من عام ١٢٠٩ إلى ١٢١٩ عشر سنين أهلك فيها الحرث والنسل . وضغط على العلماء وتعقّبهم قتلاً وسجناً وتعذيباً ، وتشتّت من بقي منهم في أقطار الأرض ، واستصفى آثارهم العلميّة . وكان لأفران عكّا من كتب جبل عامل ما أشعلها بالوقود أُسبوعاً كاملاً . وكانت هذه الضربة الكبرى على العلم وأهله . وخلت جبال عاملة من رجال العلم بعد أن كانت زاهرة الربوع بالعلماء وأرباب الفضل والتأليف . وممّن فرّ من العلماء من ظلم الجزّار : العالم الكبير والشاعر المبدع الشيخ إبراهيم يحيى ، قطن دمشق الشام . ويليه الشيخ على الخاتونيّ الطيب الفقيه والعالم بعِدّة علوم ، هاجر في طلبها إلى إيران . وقد صودرت أمواله وضُبطت أملاكه ، وحُبس مرّتين ولم تُقبل منه فدية . ثمّ أُخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون ، وكان الشيخ المذكور ولي أمرها ، وكانت تحتوي على خمسة آلاف مجلّد من الكتب الخطّيّة النادرة ، فأمست في عكّا طُعمةً للنار .

١٤٨) معجم البلدان» ج ١ ، ص . ٥٣٤

١٤٩) يدلّ التأريخ على أنّ النّسَويّ هذا كان قد كُلّف بحلّ الخلافات في سنة ٤٤٠ أيضاً ، وكانت له جماعة (كما في «المنتظم» ٣٢٠٨٥ ــ دُعي أبو محمّد بن النّسوَيّ ... فقُتل جماعة ...) لذلك عندما تناهى إلى أسماع الناس أنّه يريد المجيء مرّة أُخرى لتسوية الخلافات سنة ٤٤١ ، اتّفق الشيعة والسنّة على منعه من التدخّل ، وعلى حلّ خلافاتهم فيما بينهم أنفسهم .

١٥٠) ذكر المحقّق البصير والفقيه الخبير المرحوم الشيخ محمّد حسين المظفّر في كتاب «تاريخ الشيعة» ص ٧٤ إلى ٧٦ : وما انتشر التشيّع في العراق دون أن يلاقي النكبات والنكايات في أكثر أدواره . فمن أيّام بني أُميّة ، وقد أشرنا فيما سبق إلى شيء من أعمالهم مع الشيعة ، إلى أيّام بني العبّاس ، غير أنّها تختلف فيها شدّة وضعفاً . ولو استنطقتَ التأريخ ، لأجابك عن بعض تلك النوازل بالتشنيع . ويكفيك أن تقرأ من تأريخ أبي الفداء ماجرى في حوادث عام . ٣٦٢ فقد قال : وفي هذه السنة احترق الكرخ ــ

وهي محلّة شيعيّة محضة ــ احتراقاً عظيماً ، وذكر سبب ذلك إلى أن قال : فركب الوزير أبو الفضل لأخذ الجُناة وأرسل حاجباً له يُسمّى صافياً في جمع لقتال العامّة بالكرخ ، وكان شديد التعصّب على الشيعة ، فألقى النار في عدّة أماكن من الكرخ فاحترق احتراقاً عظيماً ، وكان عدّة من احترق سبعة عشر ألف إنسان ، وثلاثمائة دكّان ، وكثيراً من الدور ، وثلاثة وثلاثين مسجداً ، ومن الأموال ما لا يُحصى . ولا يغنيك من ابن الأثير أن تستعرض ما جرى في عام ٤٠١ ، و٤٠٦ ، و٤٠٨ و٤٤٣ ، و٤٤٤ ، إلى كثير سواها حتّى قال عن حوادث عام ٤٤٣ : وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا . ولو قرأت من كتاب «المنتظَم في تاريخ الملوك والأُمم» لابن الجوزيّ ، ج ٨ ، ما جرى من الحوادث في عام ٤٤١ وما بعده ، لعرفتَ كيف كانت الحال التي تجري الدموع دماً ، وتفتّت الأكباد ألماً ؟ ولقرأتَ ما جرى على الشيعة من القتل والنهب ، وعلى مساجدها من الهدم ، وعلى مشاهدها من الإساءة ، وعلى علمائها من الإهانة . حتّى ذكر في حوادث عام ٤٤٨ قَتْلَ أبي عبد الله الجلّاب شيخ البزّازين بباب الطاق وصلبه على باب دكّانه بدعوى أنّه يتظاهر بالغُلوّ في الرفض ، وهَرَبَ أبي جعفر الطوسيّ ، ونهب داره (ص ١٧٢) . وذكر في حوادث عام ٤٤٩ في صفر ، أنّ دار أبي جعفر الطوسيّ متكلّم الشيعة بالكرخ كُبست . وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسيّ كان يجلس عليه للكلام ، وأُخرج إلى الكرخ مع ثلاثة مجانيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة ، فأحرق الجميع ، إلى غير ذلك من الحوادث المؤسفة . ولو استقريتَ «الحوادث الجامعة» لابن الفوطيّ على صغره ، لدلّك على عدّة حوادث وقعت في بغداد . ومنع المستعصم على ضعف سلطانه شيعة أهل البيت من قراءة مقتل الحسين عليه السلام في محلّة الكرخ ، والمختارة ، وسائر المحلّات الشيعيّة من جانبي بغداد . انظر : حوادث عام ٦٤١ و٦٤٨ و٦٥٣ ، إلى غيرها ممّا سبق ولحق . ولا تسأل عمّا صنعه العثمانيّون بالشيعة يوم اغتصبوا العراق من الصفويّة في المرّة الثانية عام ١٠٤٧ من قتل ونهب واعتداء على الأبرياء وتعذيب لهم وإحراق الكتب . ولو سألتَ التأريخ عمّا شاهده الشيعة في العراق من رجال السلطات في عهود الظلمة والظلم ، لأجابك وهو يشرق بالريق من الألم ، ويسجّل لك الحال بمداد الدم . وما ذلك العهد ببعيد ، وقد أدركنا بعض أيّامه ، وجرى بعض من تركوه من حثالتهم عالة على العراق على تلك السيرة .

١٥١) الشريف عدنان هو ابن الشريف الرضيّ ، ولي نقابة العلويّين بعد أبيه وعمّه الشريف المرتضى .

١٥٢) أبو القاسم بن المسلمة عليّ بن الحسن بن أحمد وزير القائم بأمر الله . مكث في الوزارة اثنتي عشرة سنة وشهراً . قتله البساسيريّ سنة ٤٥٠ . قال ابن كثير في تاريخه

١٢ : ٦٨ : كان كثير الأذيّة للرافضة ، ألزم الروافض بترك الأذان ب حيّ على خير العمل ، وأُمروا أن ينادي مؤذّنهم في أذان الصبح بعد حيّ على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرّتين . وأُزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة محمّد وعليّ خير البشر . وأمر رئيس الرؤساء بقتل أبي عبد الله بن الجلّاب شيخ الروافض لمّا كان تظاهر به من الرفض والغلوّ فيه ، فقتل على باب دكّانه ! وهرب أبو جعفر الطوسيّ ونُهبت داره .

١٥٣) المقصود من المحاريب هنا الأثاث والمصابيح واللوحات الذهبيّة النفيسة التي كانت قد نُصبت في مقدّم الحرم المطهّر وأمامه وصدره .

١٥٤) الكامل في التأريخ» ج ٩ ، ص ٥٦١ فما بعدها ، طبعة دار صادر ، ودار بيروت ، سنة ١٣٨٦ ه .

١٥٥) الغدير» ج ٤ ، ص ٣٠٨ إلى . ٣١٠

١٥٦) من غديريّته العصماء التي ذكرها العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٤ ، ص ٢٦٢ إلى . ٢٦٤

١٥٧) من أبيات نظمها العالم الجليل محمّد رفيع بن الحاجّ عبد الواحد الطبسيّ من قبل أمير محمّد خان أمير خراسان الشيعيّ في جواب رسالة قاسية تحمل التهديد والوعيد والإهانة كان قد بعثها إليه أمير بخارى معصوم بن دانيال سنة ١٢٠٤ ه ، وقد نقلناها من ص ٢٩ من المجموعة المكتوبة وجوابها المخطوط . قال دِهخدا في معجمه اللغويّ : ج ١٦ ، ص ٢٨٣ ، كلمة الجذر الأصمّ : [جَ ذرأ صَ م م] (مركّب وصفيّ) . وهو ليس له جذر صحيح كالعدد (١٠) وجذره ثلاثة وسُبع تقريباً . (من «كشّاف اصطلاحات فنون») : الجذر الأصمّ هو الذي لا يُنطَق بحقيقته أبداً كجذر العدد (١٠) ، ولا يمكن العثور على عدد يضرب بمثله فيكون الناتج عشرة . والأصمّ هو الذي ذهب سمعه ، لأنّه لا يجيب الباحث عنه ، فلا يلقاه إلّا بالتقريب والاقتراب منه . («التفهيم» ص ٤٢) وهكذا كلّ عدد إذا فُرِضَ له مجذور فلا ينتج جذراً سالماً إلّا وفيه كسر كالعدد (١٠) الذي إذا وُضع له جذر يكون ثلاثة ، عدداً سالماً ، وسُبُعاً . وإذا ضُرب هذا في نفسه ، ينتج تسعة ، عدداً سالماً ، وثلاث وأربعين حصّة من تسع وأربعين حصّة . ولمّا كان يبقى في تكميل العدد عشرة عدد كسريّ يعادل ستّة من تسعة وأربعين ، لهذا يصبح الجذر المذكور تقريبيّاً لا تحقيقيّاً . ولمّا كان هذا القسم من تقسيم الجذر على مجذوره ليس دالّاً وناطقاً بدلالة صريحة بل هو يدلّ بإشارة تقديريّة ، فهو أصمّ ، مع أنّ الأصمّ (بفتحتين) هو الذي ذهب سمعه ، لكن لمّا كان البكم لازماً للأصمّ بالولادة ، لهذا استُعمل الأصمّ بمعنى الأبكم مجازاً في مقابل المُنطِق بمعنى الناطق . والجذر الأصمّ المحض يقابل المُنْطِق ، وإلّا فلا وجود لجذر أصمّ سالم («غياث اللغات») . وقال في «المطلق» ص ٢٨٤ : الجذر [جَ رِمُ

طِ] (مركّب إضافيّ) هو الجذر المنطوق به ، وهو الجذر المعلومة حقيقة مقداره وإمكان النطق به كقولنا : جذر المائة عشرة . يُرجَع إلى الجذر والجذر المُنْطِق . الجذر المُنطِق [جَ رِ مُ طِ] (مركّب إضافيّ) وهو الذي إذا ضُرِبَ عدد سالم في نفسه كان الناتج عدداً سالماً آخر كما لوضربنا العدد (٣) في نفسه كان الناتج تسعة ، وضربنا العدد (٤) في نفسه كان الناتج (١٦) . فالعددان (٣) و (٤) في هذين المثالين جذران ، والعدد (٩) و(١٦) مجذوران ، وكلاهما مُنْطِق («غياث اللغات» ، و«آنندراج») الجذر المُنْطِق هو الذي يمكن النطق بحقيقته . ويُسَمّى أيضاً «المنطوق به» ، و«المطلق» ، و«المفتوح» كثلاثة ، وأربعة . («التفهيم» ص ٤٢) وهو الذي له جذر صحيح كالعدد (٩) وجذره (٣) (من «كشّاف اصطلاحات فنون») . وتعريب البيتين :

«لا يمكن تقييد الجرح بالدواء بنحو مطلق ، كما أنّ الجذر الأصمّ لا يمكن حلّه بفكر المُنطق .

قد يُجمعُ الليل والنهار في زمانٍ واحد ولكن لا يتيسّر علاج الحماقة» .

١٥٨) الفصول الفخريّة» تأليف أحمد بن عِنَبة ، ص . ١٨٩

١٥٩) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ» ج ٣ ، ص ٣٤٣ إلى ٤١٥ في مادّة صلو ؛ والصحاح هي : «صحيح البخاريّ» ، و«صحيح مُسلم» ؛ والسّنن هي : «سنن أبي داود» ، و«سنن الدارميّ» ، و«سنن النسائيّ» ، و«سنن الترمذيّ» ، و«سنن ابن ماجة» ؛ والمسانيد هي : «مُوَطّأ مالك» ، و«مسند أحمد بن حنبل» .

١٦٠) بحار الأنوار» ج ٩٤ ، ص ٤٨ ، باب الذكر والدعاء ، الحديث ٤ ؛ و«أمالي الصدوق» ص . ٤٥

١٦١) بحار الأنوار» ج ٩٤ ، ص . ٥٦

١٦٢) جاء في هامش ص ١٠٥ من هذا الكتاب : ليس إلزَاميّ ، بل زاميّ ، يعني : جامي ، ومن أهل جام . والألف واللام للتعريف . ولو كان اللقب «إلزاميّ» لكُتب بعد التعريف : الإلزاميّ .

١٦٣) قال المرحوم الميرداماد في شرح صحيفته ، ص ٤٥ : عميد الدين ، وعمود المذهب عميد الرؤساء ، من أئمّة علماء الأدب ، ومن أفاخم أصحابنا رضي الله تعالى عنهم . وقال المرحوم السيّد نعمة الله الجزائريّ في شرحه على «الصحيفة» ص ٢ : كان عليّ بن السكون من ثقات علماء الإماميّة . وقال آية الله الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ في شرحه على «الصحيفة» ص ٢ : كلاهما من كبار علماء الإماميّة . وفي الإجازة الكبيرة لصاحب «المعالم» على ما نقل في «بحار الأنوار» ، ج ١٠٩ ، ص ٢٧ : ويروي عن والده ، عن السيّد فخّار ، عن الشيخ أبي الحسين يحيى بن البطريق ، والشيخ الإمام

الضابط البارع عميد الرؤساء هبة الله ابن حامد بن أحمد بن أيّوب جميع كتبهما ورواياتهما .

١٦٤) شرح الصحيفة الفارسيّ» للميرزا محمّد علي مدرّسي جهاردهيّ ، ص ٤ و . ٥

١٦٥) شرح الصحيفة» للميرداماد ، هامش ص . ٤٥

١٦٦) شرح الجزائريّ المسمّى «نور الأنوار في شرح الصحيفة السجّاديّة» ص ٣ ، الطبعة الحجريّة . ومن الجدير بالذكر أنّ ابن السّكون توفّي سنة ٦٠٦ ه ، وعميد الرؤساء توفّي سنة ٦٠٩ ه .

١٦٧) شرح الصحيفة» للميرداماد ، هامش ص . ٤٥

١٦٨) قال المعلّق في هامش ص ٤٦ من «شرح الصحيفة» للميرداماد : ثمّ اعلم أنّ عميد الدين الذي قال السيّد داماد به ليس هو بعميد الرؤساء . قال في «الرياض» وجه ذلك : أمّا أوّلاً : فلتقدّم درجة عميد الرؤساء ، لأنّ من تلامذته السيّد فخّار بن معد الموسويّ المتقدّم على السيّد عميد الدين ابن أُخت العلّامة هذا بدرجات . وأمّا ثانياً : فلاختلاف اللقبَين كما لا يخفى . وأمّا ثالثاً : فلأنّ اسم عميد الرؤساء هو السيّد عميد الرؤساء هبة [الله] بن حامد بن أحمد بن أيّوب بن عليّ بن أيّوب اللغويّ المشهور ، وصاحب القول في المسائل ومؤلّف الكتاب في معنى الكعب . ولمزيد التوضيح راجع «رياض العلماء» ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، وج ٤ ، ص ٢٤٣ ، وج ٥ ، ص ٣٠٩ و٣٧٥ ــ انتهى .

أقول : من هنا نقف على سهو ماذكره آية الله المدرّسيّ الجهاردهيّ في شرحه الفارسيّ على «الصحيفة» ، ص ٩ ، إذ قال : هو عميد الدين ابن أخت العلّامة وشارح تهذيبه .

١٦٩) غُرّ جمع أغرّ بمعنى الأبيض من كلّ شيء . واللّهَاميم جمع لُهْمُوم بمعنى الرئيس والجواد والكريم والسخيّ .

١٧٠) شرح الصحيفة» للميرداماد ، ص . ٤٦

١٧١) رياض السالكين» في الطبعة الحجريّة ، سنة ١٣٣٤ : ص ٥ و٦ ، وفي الطبعة الحديثة لجماعة المدرّسين بقم : ج ١ ، ص ٥٣ و . ٥٤

١٧٢) شرح الصحيفة» للميرداماد ، ص ٤٦ و . ٤٧

١٧٣) شرح الصحيفة» للمحدّث الجزائريّ ، ص . ٣

١٧٤) شرح الصحيفة» للميرداماد ، ص ٤٥ ، الهامش .

١٧٥) شرح الصحيفة» للمحدّث الجزائريّ ، ص . ٣

١٧٦) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص . ٦٣

١٧٧) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٤٤ ، الرقم ٣٨ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة الحديثة : صورة رواية والدي العلّامة .

١٧٨) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٤٦ ، ضمن الرقم ٣٩ : صورة رواية الوالد العلّامة .

١٧٩) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥٦ إلى ٥٩ضمن الرقم ٤١ ، رواية أُخرى للوالد العلّامة «الصحيفة الكاملة» .

١٨٠) يستبين من «بحار الأنوار» ج ١٠٩ ، ص ٢٩ ، الطبعة الحديثة ، ضمن بيان سندالرواية أنّ عربيّ بن مسافر العباديّ كان شيخ الشيخ فخر الدين محمّد بن إدريس العجليّ.

١٨١) بحار الأنوار» ج ١٠٩ ، ص ٦٢ ، ضمن التسلسل ٤٢ : رواية بعض الأفاضل «الصحيفة الكاملة» .

١٨٢) يعني السيّد غياث الدين بن طاووس .

١٨٣) يريد الشيخ كمال الدين بن حمّاد الواسطيّ ، الذي ذُكر اسمه في سطور متقدّمة .

١٨٤) بحار الأنوار» ج ٢٥ ، ص ١٠٠ ، طبعة الكمبانيّ ، و : ج ١٠٩ ، ص ١٣ ، الطبعة الحديثة .

١٨٥) بحار الأنوار» ج ٢٥ ، ص ١٠٠ ، طبعة الكمبانيّ ، و : ج ١٠٩ ، ص ١٤ ، الطبعة الحديثة .

١٨٦) جاء في الهامش بخطّ صاحب «المعالم» : هكذا بخطّ والدي رحمه الله ، وقد تقدّم في روايات السيّد تاج الدين بن معيّة نقلاً من خطّه : «السيّد السعيد كمال الدين الرضي الحسن بن محمّد بن محمّد الآويّ» . ولا ريب أنّ كلامه في ذلك أولى بالاعتماد .

١٨٧) بحار الأنوار» ج ٢٥ ، ص ١٠٦ ، طبعة الكمبانيّ ، و : ج ١٠٩ ، ص ٤٠ ، الطبعة الحديثة .

١٨٨) هكذا اتّفقت عبارة الشيخ نجم الدين المذكور ، والظاهر أنّ المراد بنظام الشرف بهاء الشرف فيكون رواية ابن جعفر لها من وجهين : السماع والقراءة ، فالأوّل عن السيّد بهاء الشرف بغير واسطة ، والثاني بواسطة الجماعة المذكورين . (كذا في الهامش) .

١٨٩) في عبارة رواية المرحوم المجلسيّ الأوّل ، ص ١٢٦ : شقرة ، وهنا : شعرة .

١٨٩) في عبارة رواية المرحوم المجلسيّ الأوّل ، ص ١٢٦ : شقرة ، وهنا : شعرة .

١٩٠) بحار الأنوار» ج ٢٥ ، ص ١٠٨ ، طبعة الكمبانيّ ، و : ج ١٠٩ ، ص ٤٧ و٤٨ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة .

وذكر الملّا عبد الله الأفندي الإصفهانيّ في مقدّمة صحيفته الثالثة مطالب في غاية الروعة . وننقل فيما يأتي بعضها ممّا يتعلّق بكثرة النسخ المتنوّعة العديدة للصحيفة ، وطرق روايتها غير هذا الطريق المشهور . قال في ص ١١ إلى ١٣ من مقدّمته : وأمّا نحن فقد عثرنا بحمد الله تعالى وعونه ومنّه على جلّها بل كلّها في مدّة سياحتنا في الأمصار ، في الخراب والعمران وأثناء طول جولاتنا ، وسفرنا في البحار والقفار والبلدان ، بل قد اطّلعنا على عدّة نسخ من «الصحيفة الشريفة الكاملة السجّاديّة» بطرق أُخرى أيضاً غير مشهورة قد تربو على العشرة الكاملة سوى الطريقة المعروفة المشار إليها للصحيفة المتداولة الشائعة . ومن جملة ذلك عدّة روايات لها من القدماء كرواية محمّد بن الوارث عن الحسين بن اشكيب الثقة الخراسانيّ ــ من أصحاب الهاديّ والعسكريّ عليهما السلام ــ عن عمير بن هارون المتوكّل البلخيّ ، التي رأينا نسخة عتيقة منها بخطّ ابن مقلة الخطّاط المشهور الذي هو واضع خطّ النسخ في زمن الخلفاء العبّاسيّة وناقله عن الخطّ الكوفيّ ، ورواية ابن أشناس البزّاز العالم المشهور ، ورواية الشيخ الفقيه أبي الحسن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان ، عن ابن عيّاش الجوهريّ . فإنّه يروي في صحيفته عن أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن الحسن بن أيّوب بن عيّاش الجوهريّ الحافظ ببغداد في داره على الصراط بين النظرتين (القنطرتين ــ خ ل) عن أبي محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ابن أخي طاهر العلويّ ، عن أبي الحسن محمّد بن المطهّر الكاتب ، عن أبيه ، عن محمّد بن شلقان المصريّ ، عن عليّ بن النعمان الأعلم ، إلى آخره ، في سند «الصحيفة» المشهورة . ورواية ابن عيّاش الجوهريّ أيضاً ، ورواية التلعكبريّ ، ورواية الوزير أبي القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ ، ورواية الذهنيّ الكرمانيّ الزماشيريّ ، وروايات أُخر من المتأخّرين أيضاً ، كرواية الكفعميّ في أواخر البلد الأمين وغيره في غيره ، إلى غير ذلك من أمثال هذه الأكابر . ثمّ إنّه قد كان بين أكثرها وبين النسخة المتداولة المشهورة من هذه «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» اختلافات كثيرة في الديباجة وفي عدد الأدعية وفي ألفاظها وعباراتها وفي كثير من فقراتها أيضاً بالزيادة والنقصان وفي التقديم والتأخير . وكذلك قد وجدنا أيضاً في بعض مطاوي كتب أصحابنا كثيراً من الأدعية المنقولة عن «الصحيفة السجّاديّة» المشهورة ولكن من أنواع من التفاوت والاختلافات في العبارات والفقرات ، بل في تعداد الأدعية أيضاً ــ إلى آخر ما ذكره الأفندي هنا . ونقل المرحوم

السيّد محسن الأمين العامليّ في مقدمة صحيفته الخامسة ، ص ١٥ إلى ١٧ عين المطالب المذكورة عن الأفندي .

١٩١ــ١٩٢) «بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥١ إلى ٥٩ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة .

١٩٣) رياض السالكين» في الطبعة الحجريّة سنة ١٣٣٤ : ص ٥ ، وفي الطبعة الحديثة لجماعة المدرّسين بقم : ج ١ ، ص ٤٩ و . ٥٠

١٩٤) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجّاديّة» ، ص . ٣

١٩٥) رياض السالكين» ص ٦ ، الطبعة الحجريّة ١٣١٧ ، و : ج ١ ، ص ٥٨ ، طبعة جماعة المدرّسين بقم .

١٩٦) شرح الصحيفة» للميرداماد ، ص . ٤٥

١٩٧) نور الأنوار» ص . ٣

١٩٨) شرح الصحيفة السجّاديّة» للعلّامة المدرّسيّ الجهاردهيّ ، ديباجة ، ص . ٥

١٩٩) بحار الأنوار» ج ١١٠ ، ص ٥٩ ، الطبعة الحديثة .

٢٠٠) مقدّمة الأُستاذ السيّد محمّد مِشكاة على «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» القطع الجيبيّ ، ص ٢ إلى . ١٣

٢٠١) شرح وترجمة الصحيفة السجّاديّة» للسيّد أحمد الفهريّ ، ج ١ ، ص ٤ إلى ٩ ، الطبعة الأُولى ، بيام ، انتشارات مفيد ، من مقدّمة الشارح . وممّا يذكر أنّه طبع أصل «الصحيفة» المكتشفة في دمشق بخطّ الأُستاذ محمّد عدنان سنقنقي ، ومطبعة دار طلاس بالشام ، وذكر في مقدّمتها خمس مزايا من هذه المزايا الثمان . ولكنّا لمّا رغبنا أن نطّلع على جميع جوانب كلامه ، فقد أوردنا للقرّاء الكرام هذه المزايا من شرحه الفارسيّ على الصحيفة .

٢٠٢) قال في «رياض السالكين» ص ٦ ، من الطبعة الحجريّه الرحليّة سنة ١٣٣٤ ، وج ١ ، ص ٥٤ ، من طبعة جماعة المدرّسين : ثّم المراد من قوله : حدّثنا السماع من لفظ السيّد الأجلّ سواء كان إملاء من حفظه أم من كتابه ، وهو أرفع طرق التحمّل السبعة عند جمهور المحدّثين . وقد اصطلح علماء الحديث على أن يقول الراوي فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ أو شكّ هل كان معه أحد حدثني ، ومع غيره حدّثنا ، وفيما قرأ عليه أخبرني ، وفيما قرأ بحضرته أخبرنا . ولا يجوز عندهم إبدال كلّ من حدّثنا وأخبرنا بالآخر في الكتب المؤلّفة . وأمّا أنبأنا فهم يطلقونه على الإجازة والمناولة والقراءة والسماع اصطلاحاً ، وإلّا فلا فرق بين الإنباء والإخبار لغةً .

٢٠٣) ذكر السيّد علي خان المدنيّ في «رياض السالكين» طبعة رحليّة ١٣٣٤ ، ص ٦ و٧ ، وطبعة وزيريّة ، ج ١ ، ص ٥٨ إلى ٦٩ ، ترجمة رجال سند «الصحيفة» . ونُورد فيما يأتي نتيجة بحثه : السيّد نجم الدين بهاء الشرف ليس له ذكر في كتب الرجال

. الشيخ أبو عبد الله بن شهريار ، ذكره الشيخ أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن بابويه في كتاب «فهرست مشايخ الشيعة» ، وأثنى عليه بالفقه والصلاح . وهو الخازن بمشهد الغريّ على ساكنه السلام . وشهريار اسمٌ عجميّ مركّب من (شهر) و(يار) ومعناه : عظيم البلد ... وكان الشيخ أبو عبد الله المذكور صهر شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ على ابنته . وهي أُمّ ولده أبي طالب حمزة بن محمّد بن أحمد بن شهريار كما يُستفاد من كتاب «اليقين» للسيّد عليّ بن طاووس نوّر الله مرقده . والعُكبَريّ المعدّل المذكور لم أجد له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الرجال لأصحابنا . وذكره السمعانيّ في كتاب «الأنساب» فقال : حدّثنا عنه جماعة من الشيوخ ببغداد وإصبهان . مات سنة . ٤٧٢ وأبوه أبو نصر محمّد حدّث عن جماعة منهم ابنه أبو منصور . مات بعكبرى سنة . ٤٢٠ وكان صدوقاً . وعمّه أبو الحسن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبريّ المعدّل ، وكان صدوقاً متشيّعاً ، ومات سنة ٤١٩ بعكبرى ــ (انتهى كلام السمعانيّ) .

٢٠٤) وأبو المفضّل هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول بن همّام بن المطّلب بن همّام بن بحر بن مطر بن مرّة الصغرى بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان . قال النجاشيّ : كان سافر في طلب الحديث عمره . وكان في أوّل أمره ثبتاً ثمّ خلط . ورأيتُ جُلّ أصحابنا يغمزونه ويضعّفونه ، له كتب كثيرة منها : كتاب «شرف التربة» ، كتاب «مزار أمير المؤمنين عليه السلام» ، كتاب «مزار الحسين عليه السلام» ، كتاب «فضائل العبّاس» ، كتاب «الدعاء» ، كتاب «مَن روى حديث غدير خُمّ» ، كتاب «رسالة في التقيّة والإذاعة» ، كتاب «مَن روى عن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام» ، كتاب «فضائل زيد» ، كتاب «الشافي في علوم الزيديّة» ، كتاب «أخبار أبي حنيفة» ، كتاب «القلم» ، رأيتُ هذا الشيخ (الشيبانيّ) وسمعت منه كثيراً ، ثمّ توقّفت عن الرواية عنه إلّا بواسطةٍ بيني وبينه ــ (انتهى كلام النجاشيّ) .

وقال شيخ الطائفة في «الفهرست» : كثير الرواية حسن الحفظ ، غير أنّه ضعّفه جماعة من أصحابنا ، له كتاب «الولادات الطيّبة» ، وكتاب «الفرائض» ، وكتاب «المزار» ، وغير ذلك . أخبرنا بجميع رواياته عنه جماعة من أصحابنا ــ (انتهى) .

وقال ابن الغضائريّ فيه : إنّه وضّاع كثير المناكير ، رأيتُ كتبه ، وفيها الأسانيد من دون المتون ، والمتون من دون الأسانيد ، وأرى ترك ما ينفرد به ــ (انتهى) . وذكره العلّامة في «الخلاصة» مرّتين ، مرّة كما ذكره النجاشيّ ، ومرّة كما ذكره ابن الغضائريّ . وذكره ابن داود في رجاله ثلاث مرّات ، مرّة في الموثّقين ، ومرّتين في المجروحين . والله أعلم .

٢٠٥) وأمّا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فقد قال النجاشيّ بعد سرد نسبه : هو والد أبي قيراط ، وابنه يحيى بن جعفر روى الحديث ، وكان وجهاً في الطالبيّين متقدّماً ، وكان ثقةً في أصحابنا سمع وأكثر وعمّر وعلا إسناده . له كتاب «التاريخ العلويّ» ، وكتاب «الصخرة والبئر» . أخبرنا شيخنا محمّد بن محمّد قال : حدّثنا محمّد بن عمر بن محمّد الجعابيّ قال : حدّثنا جعفر بكتبه . ومات في ذي القعدة سنة ٣٠٨ ، وله نيّف وتسعون سنة . وذكر عنه أنّه قال : ولدتُ بِسُرّ مَنْ رَأَى سنة . ٢٢٤ ولا يخفى أنّ تأريخ ولادته ووفاته لا يوافق ما ذكره من أنّه مات وله نيّف وتسعون سنة . وأرّخ العلّامة في «الخلاصة» وفاته سنة ثمانين وثلاثمائة ، وهو لا يوافق ذلك أيضاً ، والظاهر أنّه سبق قلم والله أعلم .

وأمّا حول عبد الله بن عمر بن الخطّاب الزيّات ، فقد قال الفيّوميّ : خطب إلى القوم : إذا طلب أن يتزوّج منهم ، والاسم الخِطبة بالكسر فهو خاطب ، وخطّاب مبالغة ، وبه سمّي ــ (انتهى) . وهذا الرجل ليس له ذكر في رجال أصحابنا مطلقاً . قال بعضهم : لمّا كان أخبار السعيد أبي عبد الله الخازن سنة ستّ عشرة وخمسمائة ، وتحديث عبد الله بن عمر المذكور سنة خمس وستّين ومائتين ، وكانت عدّة الرواة المتخلّلة بينهما في هذا الإسناد ثلاثة مع أنّ الزمان المتوسّط بين الإخبارين يرتقي إلى مائتين وإحدى وخمسين سنة ، وكان الظاهر لقاء هؤلاء الرواة الثلاثة بعضهم بعضاً كما ينصّ عليه قوله : «حدّثنا» وكما تُشعر به العنعنة ومقدار هذا الزمن بالنسبة إلى عدّة هذا السند رحب واسع طويل ، استبان أنّ هذا السند عالٍ بالمعنى المستفيض عن المحدّثين حيث قالوا : (العالي السند) هو : القليل الواسطة مع اتّصاله ، وقد امتدحوه ورجّحوه على ما خالفه حتّى كان طَلَبُهُ سُنّةً عند أكثر السلف . وقد كانوا يشدّون الرحال إلى المشايخ إلى أقصى البلاد لأجله لأن يعلو السند ويبعد الحديث عن الخلل المتطرّق إلى كلّ راوٍ ، إذ ما من راوٍ من رجال السند إلّا والخطأ جائز عليه ، فكلّما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظانّ التجويز ، وكلّما قلّت ، قلّت .

وأمّا حول عليّ بن النعمان الأعلم النخعيّ فقد قال النجاشيّ : روى عن الرضا عليه السلام ، وأخوه داود أعلى منه . وابنه الحسن بن عليّ ، وابنه أحمد رويا الحديث . وكان عليّ ثقةً وجهاً ثبتاً صحيحاً واضح الطريقة . له كتاب يرويه جماعة ــ (انتهى) . وليس في كتب الرجال عليّ بن النعمان سواه .

٢٠٦) وأمّا حول المتوكّل بن عمير بن المتوكّل ، فقد قال النجاشيّ : المتوكّل بن ... روى عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة . أخبرنا الحسين بن عبيد الله عن ابن أخي طاهر* ، عن أبيه ، عن عمير بن المتوكّل ، عن أبيه متوكّل ، عن يحيى بن زيد بالدعاء

ـ** (انتهى) . ولا يخفى أنّ أوّل كلامه ظاهر في أنّ الراوي عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة هو المتوكّل بن عمير . ويظهر من سنده أنّه المتوكّل جدّه كما في المتن . ويمكن التوفيق بنوع عنايةٍ . ولم ينصّ أحدٌ من الأصحاب على توثيق المتوكّل المذكور غير أنّ الحسن بن داود ذكر سبطه متوكّل بن عمير في قسم الموثّقين من كتابه ، وهو لايجدي كما توهّم بعضهم .

وقال آية الله الميرزا أبوالحسن الشعرانيّ في شرح صحيفته ، ص ٥ : متوكّل بن هارون غير مذكور في كتب الرجال . وذكر الشيخ الطوسيّ والنجاشيّ رحمهما الله أنّه متوكّل بن عمير بن متوكّل . ومن الطبيعيّ أنّ نسخة الصحيفة التي كانت عندهما أوثق ممّا عندنا . ذلك أنّهما كانا ينقلان الصحيفة برواية أُخرى ليس فيها أبو المفضّل الشيبانيّ ، بل رواها التلعكبريّ عن ابن أخي طاهر ، عن محمّد بن المطهّر ، عن أبيه ، عن متوكّل بن عمير ، والاعتماد على نسختهم عند الاختلاف . وقال آية الله الشعرانيّ في ص ٤ ، حول طول زمان الرواة الثلاثة البالغ ٢٥١ سنة : ونحن وجّهناه على علوّ السند عن السيّد علي خان الشيرازيّ : بين التأريخين المذكورين في الأسناد ٢٥١ سنة ، والرواة في هذه المدّة ثلاثة : العكبريّ ، والشيبانيّ ، والشريف أبو عبد الله . توفّي العكبريّ سنة ٤٧٢ ه ، ولابدّ أنّه روى عن الشيبانيّ بعد سنة ٤٠٠ ، وكان الشيبانيّ حيّاً بعد سنة . ٤٠٠ ومات الشريف أبو عبد الله سنة . ٣٠٨ وإذا كان الشيبانيّ قد لقيه عند الموت ، وتعلّم منه الحديث ، وبلغ سنّ العقل ، فلابدّ أنّه ولد قبل سنة ٣٠٠ وتجاوز عمره المائة . ولعلّ العكبريّ نقل عن الشيبانيّ بواسطةٍ غير مذكورة في الأسناد .

* ــ هكذا في الأصل، ولكن في النسخة المطبوعة من النجاشيّ : عن محمّد بن مطهّر .

** ــ «رجال النجاشيّ» ص . ٣٠١

٢٠٧) أي : قال ابن شهريار . ومن هنا يستبين سهو فيض الإسلام في شرحه على الصحيفة ، ص ٨ ، إذ خال أنّ فاعل قال هو السيّد نجم الدين .

٢٠٨) قال آية الله المدرّسيّ الجهاردهيّ في ص ١٠ من شرحه على الصحيفة : كان الشيخ محمّد هذا فقيهاً وصالحاً . لُقّبَ بالمُفَجّع لكثرة حزنه على أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام . وكان صحيح المذهب حسن الاعتقاد ، ومن كبار مذهب الإماميّة .

٢٠٩) من الجدير ذكره أنّ ما أورده الأُستاذ الحاجّ مهدي إلهي قمشه‌اي في ص ١٦ من الترجمة الفارسيّة لشرح «الصحيفة السجّاديّة» عند ترجمة هذه الفقرات سهو . فقد قال : حدّثنا الشيخ السعيد محمّد بن أحمد بن شهريار (وهو صهر شيخ الطائفة الصدوق عليه الرحمة) أنّ أبا منصور محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العكبريّ المُعَدّل رحمه الله كان يعرض «الصحيفة» على الشيخ الصدوق قراءة عليه وأنا أسمع .أوّلاً : سنجد في الهامش

أنّ محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن لقبر أمير المؤمنين عليه السلام كان صهر شيخ الطائفة الطوسيّ لا الصدوق . ولم نر إلى الآن إطلاق الصدوق على الشيخ الطوسيّ علَماً مشهوراً يُعَرّفه .

ثانياً : الصدوق في الرواية صفة لأبي منصور محمّد العكبريّ المعدّل ــ وهو الذي روى الصحيفة عن أبي المفضّل الشيبانيّ ــ لا عَلَمٌ ــ ورواية العكبريّ كانت بسبب العرض على الشيخ الصدوق . فلاحظ وتأمّل !

٢١٠) جاء في ص ١٠ من هذا المصدر أنّ عمر الإمام محمّد الباقر عليه السلام ٥٥ سنة ، إذ كانت ولادته سنة ٥٩ في حياة جدّه الحسين عليه السلام ، ووفاته في شهر ربيع الآخر سنة ١١٤ ، وقيل غير ذلك .

٢١١) ذكر السيّد علي خان المدنيّ في ص ٨ من شرحه على الصحيفة ، الطبعة الحجريّة ، عمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام كالآتي : وُلِد بالمدينة سنة ٨٣ من الهجرة، وقُبِض بها في شوّال سنة ١٤٨ ، وله خمس وستّون . وقيل : ثمان وستّون على أنّ مولده سنة ثمانين .

٢١٢) الآية ٣٩ ، منالسورة ١٣ : الرعد .

٢١٣) الآية ٥٨ ، من السورة ٤ : النساء .

٢١٤) الآية ٦٠ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢١٥) الآيات ١ إلى ٣ ، من السورة ٩٧ : القدر .

٢١٦) الآيتان ٢٨ و٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢١٧) مقدّمة «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» بأنواعها المختلفة .

٢١٨) الآية ١٨٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢١٩) رياض السالكين» ج ١ ، ص ٢٠٠ ، طبعة جماعة المدرّسين .

٢٢٠) روضة الكافي» ص ٢٩٥ ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

٢٢١) بحار الأنوار» ج ٤٦ ، ص ٢٤٣ ، طبعة المطبعة الإسلاميّة ؛ و«مناقب ابن شهرآشوب» ج ٤ ، ص ١٨٨ ، طبعة انتشارات علّامة ، قم .

٢٢٢) الصحيفة المترجمة مع شرح آية الله الشعرانيّ» ص . ٥

٢٢٣) الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ص ٢٢٧ ، طبعة دار طلاس ، مطبعة الشام .

٢٢٤) رياض السالكين» ج ١ ، ص ١٠٠ ، طبعة جماعة المدرّسين .

٢٢٥) تأسيس الشيعة لعلومالإسلام» ص . ٢٨٥

٢٢٦) تاريخ ابن كثير» ج ٩ ، ص . ٣٣٠

٢٢٧) الإمام زيد» ص ٦ ، طبعة دار الفكر العربيّ ؛ وانظر : «مقاتل الطالبيّين » ص . ١٢٩

٢٢٨ــ٢٢٩ــ٢٣٠) «مقدّمة مسند زيد» وترجمته ، ص ٢ وما بعدها .

٢٣١) شذرات الذهب» ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ و«الإمام زيد» لأبي زُهرة ، ص ٤٢ إلى ٦٦ .

٢٣٢) شذرات الذهب» ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ و«الإمام زيد» لأبي زُهرة ، ص ٤٢ إلى ٦٦ .

٢٣٣) الإمام زيد» ص . ٢٣٣

٢٣٤) مقدّمة مسند زيد» (المجموع) ص ٤ و . ٥

٢٣٥) مقدّمة مسند زيد» ص ٤ و٥ ؛ و«الروض النضير» ج ١ ، ص . ٢٨

٢٣٦) الروض النضير» ج ١ ، ص . ٢٨

٢٣٧) الإمام زيد» لأبي زهرة ، ص . ٢٣٣

٢٣٨) الروض النضير» ج ١ ، ص ٢٥ إلى . ٤٧ وشارح «المجموع» العلّامة شرف الدين ابن الحيميّ اليمنيّ .

٢٣٩) الإمام زيد» لأبي زُهرة ، ص ٢٣٥ إلى . ٢٥٨

٢٤٠) الروض النضير» ج ١ ، ص . ٢٨

٢٤١) الروض النضير» ص . ١٢٧

٢٤٢) الروض النضير» ج ١ ، ص . ٢٨

٢٤٣) مقدّمة مسند زيد» ص . ٩

٢٤٤) مسند الإمام زيد» ص ٣٦ و . ٣٧

٢٤٥) مسند الإمام زيد» ص ١٠٣ ؛ وانظر : «السّنّة قبل التدوين» ص ٣٦٨ إلى ٣٧٣ ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠١ ه ، دار الفكر .

٢٤٦) أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٤٣ إلى ٣٦٧ ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

٢٤٧) الغدير» ج ٣ ، ص ٢٧١ و . ٢٧٢

٢٤٨) عيون أخبار الرضا» للشيخ الصدوق .

٢٤٩) المهراس ماءٌ بجبل أُحُد ، والقتيل بجنبه حمزة بن عبد المطّلب سلام الله عليهما .

٢٥٠) الجَحْجَح والجَحْجاح : السيّد المسارع في المكارم . جمع الأوّل جَحاجح ، وجمع الثاني جَحاجيح وَجَحاجحة . «أقرب الموارد» .

٢٥١) الغدير» ج ٣ ، ص ٦٩ إلى . ٧٧

٢٥٢) الغدير» ج ٣ ، ص ٢٧٤ و . ٢٧٥

٢٥٣) الغدير» ج ٣ ، ص . ٢٦٩

٢٥٤) قال في «الغدير» ج ٣ ، ص ٢٧٣ : أمّا يحيى بن عمر فهو أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسينبن عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهم أحد أئمّة الزيديّة : فَحَسْبُكَ في الإعراب عن رأي الشيعة فيه ما في «عمدة الطالب» لابن المهنّا ، ص ٢٦٣ ، من قوله : خرج بالكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمّد . وكان من أزهد الناس ، وكان مثقل الظهر بالطالبيّات يجهد نفسه في برّهنّ ــ إلى أن قال : فحاربه محمّد بن عبد الله بن طاهر ... إلى آخره .

٢٥٥) الغدير» ج ٣ ، ص ٢٧٥ و٢٧٦ ، عن «تاريخ الطبريّ» ج ١١ ، ص ٨٩ ، و«تاريخ اليعقوبيّ» ج ٣ ، ص . ٢٢١

٢٥٦) تاريخ اليعقوبيّ» ج ٣ ، ص . ٢٢١

٢٥٧) الغدير» ج ٣ ،ص . ٢٧٤

٢٥٨) الغدير» ج ٣ ، ص . ٦٤

٢٥٩) الغدير» ج ٣ ، مقتطفات من ص ٥٧ إلى . ٦٩

٢٦٠) الآية ٨٤ ، من السورة ٦ : الأنعام ؛ والآيات ٨٣ إلى ٨٦ هي : وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـهَآ إِبْرَ هِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مّن نَّشَآءُ إِنّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرّيّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَ لِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلّ مّنَ الصّلِحِينَ * وَإِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضّلْنَا عَلَى الْعَلَمِينَ .

٢٦١) الغدير» ج ٣ ، ص . ٢٩٥

٢٦٢) تاريخ الأُمم والملوك» (تاريخ الطبريّ) ج ٧ ، ص ٤٢٠ ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف بمصر .

٢٦٣) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اسمُهُ اسمي . وأمّا ما جاء في بعض الأحاديث أنّ اسم أبيه اسم أبي ، فلعلّه من وضع أصحاب محمّد النفس الزكيّة ، لأنّه كان يعرف بالمهديّ ، واسم أبيه اسم أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله .

٢٦٤) منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٥ ، طبعة (علميّة إسلاميّة) من القطع الرحليّ .

٢٦٥) اسم المنصور كاسم أخيه السفّاح : عبد الله . ولهذا يقال لهما معاً : عبد الله بن محمّد .

٢٦٦) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص ٤٦٨ إلى . ٤٩٤

٢٦٧) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص ٥٠٠ ، ٥٢٢ ، . ٥٢٣

٢٦٨) في كتاب «النزاع والتخاصم بين بني أُميّة وبني هاشم» تأليف المقريزيّ ، ص ٥٣ إلى ٥٥ ، مطالب حول ظلم المنصور لبني الحسن .

٢٦٩) كان رياح بن عثمان المرّي والي المدينة من قبل المنصور . وذكر المستشار عبد الحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ١٢٤ و١٢٥ ، رياح بن عثمان بالباء الموحّدة (رباح) وقال : وفي إمرته اقتحم الجند منازل أهل البيت فأخرجوا منها رجالهم إلى السجون ، ومرّت مواكب أهل البيت في شوارع المدينة وهم في الأصفاد ، هزلهم العذاب والأيّام الشداد ، ثمّ سيقوا إلى الكوفة ليودعوا السجن حيث حُبسوا ــ كما يقول المسعوديّ في «مروج الذهب» ــ في سرداب تحت الأرض لا يعرفون الليل من النهار حتّى مات أكثرهم ، ثمّ خرّ عليهم ليموت تحت أنقاضه الأحياء منهم ، ويدفن الذين سبقوهم إلى الموت دون أن يعني بهم أحد .

٢٧٠) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٣٧

٢٧١) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٣٩

٢٧٢) جاء في «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٧ (ما تعريبه) : كان جسم محمّد كسبيكة الفضّة ، ثمّ اسودّ وجهه وصار كالزنج من شدّة الضرب ووقع السياط وقد فُقئت إحدى عينيه وسالت على وجهه من ذلك . وقال في ص ١٩٩ : بايع المنصور محمّد النفس الزكيّة مرّتين : احداهما في المسجد الحرام ، والأُخرى في الأبواء بالمدينة . وقال أيضاً : كان محمّد يتخفّى أحياناً فيشعاب الجبال . وكان يوماً في جبل رضوى مع أُمّ ولد ولدت له رضيعاً . ولمّا رأى عبداً جاء لطلبه من قبل المنصور فرّ ومعه أُمّ ولده فسقط الطفل الرضيع من يدها في الوادي وتقطّع إرباً إرباً . ونقل أبو الفرج هذا المطلب . أقول : ذكره الطبريّ في تاريخه أيضاً .

٢٧٣) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص ٥٤٠ ، . ٥٤١

٢٧٤) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص ٥٤٠ ، . ٥٤١

٢٧٥) جاء في «أقرب الموارد» مادّة زمر : (الزّمّارَة) القصبة التي يُزَمّر فيها والساجور ومنه «أتى الحجّاج بسعيد بن المسيّب وفي عنقه زَمّارَة» وهي الساجور استعيرت للجامعة و ــ عمودٌ بين حلقتي الغُلّ . وقال في مادّة سَجَرَ : الساجور خشبة تُعلّق في عنق الكلب ، ج سواجير .

٢٧٦) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٤٣

٢٧٧) قال السيّد علي خان المدنيّ في «رياض السالكين» ص ١٨ ، طبعة سنة ١٣٣٤ ، وفي طبعة جماعة المدرّسين : ج ١ ، ص ١٣١ و١٣٢ : هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام . يكنّى أبا محمّد ويُدعى بالمحض ، لأنّ أباه الحسن بن الحسن ، وأُمّه فاطمة ابنة الحسين . وهو أوّل مَن جمع ولادة الحسنين من آل الحسن ، وأوّل من جمعها من آل الحسين الباقر عليه السلام . وكان عبد الله شيخاً من شيوخ الطالبيّين ، وربّما قال من الشعر شيئاً فمنه قوله :

بِيضٌ حرائرُ مَا هَممنَ بريبةٍ
كظِباء مكّة صَيْدِهنّ حرامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الكَلَامِ فَواسِقاً
وَيصدّهنّ عَنِ الخنا الإسلامُ

روى ثقة الإسلام في «الروضة» بإسناده عن عليّ بن جعفر قال : حدّثني معتب أو غيره قال : بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبد الله عليه السلام يقول لك أبو محمّد : أنا أشجع منك ، وأنا أسخى منك ، وأنا أعلم منك .

فقال : أمّا الشجاعة فو الله ما كان لك موقف يُعْرَفُ به جبنك من شجاعتك . وأمّا السخاء فهو الذي يأخذ الشيء من جهته فيضعه في حقّه . وأمّا العلم فقد أعتق أبوك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ألف مملوك ، فَسَمّ لنا خمسةً منهم وأنت عالم .

فعاد إليه الرسول فأعلمه ، ثمّ أعاد إليه فقال : يقول : إنّكَ رَجُلٌ صَحَفِيّ * !

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : قل له : إنّهَا وَاللَهِ صحف إبراهيم وموسى وعيسى ورثتها عن آبائي عليهم السلام .** وكان أبو جعفر المنصور يسمّي عبد الله بن الحسن أبا قُحافة تهكّماً به ، لأنّ ابنه محمّداً ادّعى الخلافة وأبوه عبد الله حيّ ، ولم يلِ الخلافة مَن أبوه حيّ قبله سوى أبي بكر بن أبي قحافة .

وكان أبو العبّاس السفّاح يكرم عبد الله بن الحسن إكراماً تامّاً . فيُحكى أنّ عبد الله قال له يوماً : لم أر مائة ألف قطّ مجتمعة !

فقال له أبو العبّاس : ستراها الآن ، ثمّ أمر له بمائة ألف درهم ، ولم يتعرّض له ولا لأحدٍ من أهل بيته بمكروهٍ مدّة خلافته حتّى مضى بسبيله .

وقام من بعده أخوه المنصور فقلب للطالبيّين ظهر المجنّ ، وخاف خروجهم عليه ، وقد بلغه ذلك عنهم فحجّ سنة ١٤٠ ، ورجع على طريق المدينة ، فقبض على عبد الله ابن الحسن وأخيه إبراهيم وسائر إخوته وأولادهم وسيّرهم معه في الحديد إلى الكوفة فحبسهم هناك .

ثمّ أمر المنصور بقتل عبد الله فقُتِل ، وهو ابن خمس وسبعين سنة . وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة .

* ــ في «أقرب الموارد» : الصّحَفِيّ الذي يروي الخطا عن الصّحَف بأشباه الحروف ، مولّدة ، و ــ من يأخذ العلم من الصحيفة لا عن أُستاذ ، وهو منسوب إليها بحذف الياء على القياس كَحَنَفيّ إلى حنيفة .

* ــ «الكافي» ج ٨ ، ص ٣٦٣ و٣٦٤ ، الحديث . ٥٥٣

٢٧٨) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٤٧

٢٧٩) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٤٨

٢٨٠) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٤٩

٢٨١) القوهيّ : ثياب بيض تُنسب إلى قوهستان ، كورة بين نيسابور وهراة .

٢٨٢) القائل هو عبد الرحمن بن أبي الموالي .

٢٨٣) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٥١

٢٨٤) أولاد معاوية بن عبد الله بن جعفر .

٢٨٥) تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص . ٥٦٠

٢٨٦ــ٢٨٧) «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٩ إلى . ٢٠٢

٢٨٨) أي : لتعلم أنّ ابنك محمّداً هذا هو الأحول الأكشف الأخضر الذي أخبر به المخبر الصادق أنّه سيخرج بغير حقّ ويقتل صاغراً . والأكْشف : الذي نبتت له شعيرات في قصاص ناصيته دائرة ولا تكاد تسترسل والعرب تتشأم به . والأخضر : ربّما يقال الأسود أيضاً . والسّدّة : باب الدار . وأشجع : أبو قبيلة سمّيت باسم أبيهم .

٢٨٩) السّلْحَة : النجو ، وهو الريح أو الغائط الذي أُخرج من البطن .

٢٩٠) حكى في الهامش عن «الوافي» فقال : كأنّه أراد به أباه عليهما السلام . أي : أنّه سمّى الباقر ، الذي كان ابن عمّ عبد الله المحض وابن خاله ، عمّاً وخالاً مجازاً . ويمكن أن يكون المراد هو السجّاد ، لأنّه كان خال عبد الله حقيقةً وابن عمّه .

٢٩١) المراد باللقاء : اللقاء في ميدان الحرب . قالت زينب عليها السلام لأهل الكوفة : خوّارون في اللّقاء .

٢٩٢) التصفيق : ضرب إحدى اليدين بالأُخرى . والهِيق : الذّكر من النعامة .

٢٩٣) في اصطلاحنا العامّيّ (ما تعريبه) : تَجْفل إذا سمعتَ طقطقةً من خلفك .

٢٩٤) أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٥٨ إلى ٣٦٦ ، طبعة مطبعة حيدري .

٢٩٥) في أعمال شهر محرّم الحرام .

٢٩٦) أي : لا وجود لأحد من أولاد فاطمة ابنة الحسين عليه السلام الآن غيرهم فينطبق عليهم هذا الحديث . فالذين يقتلون بشطّ الفرات هم هؤلاء أنفسهم .

٢٩٧) تنقيح المقال» ج ٣ ، ص . ١٤٠

٢٩٨) الآية ٦٠ ، من السورة ٣٠ : الروم : وفي الآية : وَلَايَسْتَخِفّنّكَ ... .

٢٩٩) الآية ١٩ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٣٠٠) ارْفَضّ الدّمْعُ ارفضاضاً : سال وترشّش . يقال : ارْفَضّ عرقاً . والجرح : سال قيحه . «أقرب الموارد» .

٣٠١) أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٥٦ و . ٣٥٧

ويستبين من هذه الرواية جيّداً أنّ زيداً كان ذا روح ثوريّة منذ بادئ أمره ، حتّى أنّه كان كذلك في عصر إمامة أخيه . ولمّا وقعت وفاة الإمام الباقر عليه السلام في عصر

هشام بن عبد الملك ، في ٧ ذي الحجّة الحرام سنة ١١٤ ه ، على ما روى المحدّث القمّيّ في «منتهى الآمال» ، وكان استشهاد زيد في يوم الجمعة الثالث من صفر المظفّر سنة ١٢١ ، على ما نقل الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ، فالفترة الواقعة بين استشهادهما ستّ سنين وشهران . وأراد زيد الخروج قبل هذا التأريخ ، إذ نصّ على ذلك لفظ يحيى بن متوكّل بن هارون الوارد في مقدّمة «الصحيفة السجّاديّة» قال : قد كان عمّي محمّد بن عليّ أشار على أبي بترك الخروج وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره .

٣٠٢) أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٦٦ و . ٣٦٧

٣٠٣) الآية ٧٨ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣٠٤) يبدو أنّ الصحيح هو فُضَيل الرسّان ، كما نقلنا ذلك آنفاً عن المامقانيّ ، عن الكشّيّ ، لأنّنا نستبعد من الفضيل بن يسار ــ على ما هو عليه من منزلة رفيعة ــ أن يكون في الكوفة ولا ينصر زيداً ولا يُستَشْهَد معه ، ويتعرّض لمؤاخذة الإمام حتّى يقول له : لعلّك شاكّ في قتال أهل الشام . والفُضَيل هذا هو الذي قال الإمام له ولثلاثة من أصحابه كانوا مقيمين بمكّة المكرّمة : أنتم واللهِ نور الله في ظلمات الأرض . أجل هذه الرواية المرويّة عن الفضيل بن يسار رواها صاحب «تنقيح المقال» ج ١ ، ص ٤٦٨ عن الصدوق في «العيون» عن محمّد بن الحسين (الحسن ظ) بن أحمد بن الوليد ، عن محمّد بن حسن الصفّار ، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقيّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن حسن بن ميمون ، عن عبد الله بن سنان ، عن الفضيل بن يسار . وتلك الرواية المرويّة عن فضيل الرسّان رواها في هذا الموضوع عن الكشّيّ في ترجمة الحِميريّ ، عن نصر بن صبّاح ، عن إسحاق بن محمّد البصريّ ، عن عليّ ابن إسماعيل ، عن فُضَيل الرسّان ، والتفاوت بينهما ملحوظ وإن كان مضمونهما واحداً ، ويقوى احتمال تعدّد الرواية عن راوِيَيْنِ ، بَيدَ أنّ ذلك المضمون بعيد عن الفضيلبن يسار كما ذكرنا ، والله العالم .

٣٠٥) قال في «أقرب الموارد» الديباجة : الوجه ، يقال : فلان يصون ديباجته ويبذل ديباجته ، أي : وجهه . فصون الديباجة كنايةٌ عن شرف النفس ، وبذلها كناية عن الدناءة .

٣٠٦) تحدّث المامقانيّ في «تنقيح المقال» ج ١ ، ص ٢٤٧ إلى ٢٧١ عن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام . فقال : هذا هو زيد المجاهد المعروف الذي يُنسب إليه الزيديّة أخو الباقر عليه السلام . وحيث إنّ في أذهان بعض القاصرين منه شيئاً ، يلزمنا شرح حاله حسب الوسع فنقول : قد عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله تارةً من أصحاب أبيه السجّاد عليه السلام بالعنوان المذكور ، وأُخرى من أصحاب الباقر عليه السلام مضيفاً إلى ما في العنوان قوله : أبو الحسين أخوه ، يعني : أنّه الباقر عليه السلام ، وثالثة من

أصحاب الصادق عليه السلام مضيفاً إلى ما في العنوان قوله : أبوالحسين مدنيّ تابعيّ قُتل سنة إحدى وعشرين ومائة ، وله اثنتان وأربعون سنةً ــ انتهى .

٣٠٧) وقال في «التكملة» : اتّفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله . وقد رُوي في ذلك أخبار كثيرة حتّى عقد ابن بابويه في «العيون» باباً لذلك ــ (انتهى) . وصرّح الشهيد رحمه الله في قواعده في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنّ خروجه كان بإذن الإمام عليه السلام . وقال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده : كان زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخيّاً شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام . أخبرني الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد عن جدّه ، عن الحسن (الحسين خ ل) بن يحيى ، عن الحسن بن الحسين ، عن يحيى بن مساور ، عن أبي الجارود قال : قدمتُ المدينة فجعلتُ كلّما سألتُ عن زيد بن عليّ عليه السلام ، قيل لي : ذاك حليف القرآن .

وروى هشيم قال : سألتُ خالد بن صفوان عن زيد بن عليّ عليهما السلام وكان يحدّثنا عنه ، فقلتُ : أين لقيته ؟! قال : بالرصافة* . فقلتُ : أيّ رجل كان ؟! قال : كان ما علمت يبكي من خشية الله حتّى تختلط دموعه بمخاطه . واعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة ، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمّد . فظنّوه يريد بذلك نفسه ، ولم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق أخيه الإمامة من قبله ، ووصيّته عند وفاته إلى أبي عبد الله عليه السلام (الإمام الصادق) . وكان سبب خروج أبي الحسين زيد رضي الله عنه أنّه دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد جمع له هشام أهل الشام وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتّى لا يتمكّن من الوصول إلى قربه ، فقال له زيد : إنّه ليس من عباد الله أحدٌ فوق أن يوصي بتقوى الله ، ولا من عباده أحد دون أن يوصي بتقوى الله وأنا أُوصيك بتقوى الله يا أمير المؤمنين ! فاتّقه . فقال له : أنت المؤهّل نفسك للخلافة الراجي لها ؟ ! وما أنت وذاك لا أُمّ لك ! وإنّما أنت ابن أَمَة ! فقال له زيد : إنّي لا أعلم أحداً أعظم منزلةً عند الله من نبيّه وهو ابن أمَة . فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية ، لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم !

فالنبوّة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام ؟! وبعد فما يقصر برجلٍ أبوه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهو ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يكون ابنَ أمة . فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال : لا يبيتنّ هذا في عسكري . فخرج زيد وهو يقول : إنّه لم يكره قومٌ قطّ حرّ السيوف إلّا ذَلّوا . فلمّا وصل الكوفة اجتمع إليه أهلها ، فلم يزالوا به حتّى بايعوه على الحرب . ثمّ نقضوا بيعته وأسلموه فقُتل عليه السلام وصُلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يغيّر بِيَدٍ ولا لسان ، ولمّا قُتِل بلغ ذلك أبا عبد الله

عليه السلام كلّ مبلغ وحزن له حزناً شديداً عظيماً حتّى بان عليه وفرّق من ماله على عيال مَن أُصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار . وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ، وكان سنّه يومئذٍ اثنتين وأربعين سنةً ــ انتهى ما في «الإرشاد» .

٣٠٨) وعدّه ابن داود من رجاله ورمز لما سمعتَه من فقرات رجال الشيخ رحمه الله . ثمّ قال : شهد له الصادق عليه السلام بالوفاء وترحّم عليه . وذكر في «عمدة الطالب» نحواً ممّا في «الإرشاد» إلى قوله : لا يكره قوم قطّ حَرّ السيوف إلّا ذلّوا . ثمّ قال : فحملت كلمته إلى هشام ، فقال : ألستم تزعمون أنّ أهل هذا البيت قد بادوا ؟ ولعمري ما انقرضوا من مثل هذا خلفهم . فلمّا رجع زيد إلى الكوفة ، أقبلت الشيعة تختلف إليه يبايعونه حتّى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة سوى أهل المدائن ، والبصرة ، وواسط ، والموصل ، وخراسان ، والريّ ، وجرجان ، والجزيرة ــ (انتهى) .

ويواصل المامقانيّ كلامه إلى أن يقول : فأتى رسول بسّام الصيرفيّ بكتاب فيه : أمّا بعد ؛ فإنّ زيد بن عليّ قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر ومكث الأربعاء والخميس ، وقُتل يوم الجمعة ، وقُتل معه فلان وفلان . فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب . فقرأه وبكى ، ثمّ قال : إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، عند الله أحتسب عمّي ، إنّه كان نِعْمَ العمّ ، إنّ عمّي كان رجل لدنيانا وآخرتنا ، مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استُشهدوا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وعليّ ، والحسن ، والحسين عليهم السلام .

إلى أن قال : ما رواه الكشّيّ رحمه الله في ترجمة سليمان بن خالد ، حتّى يصل السند إلى عمّار الساباطيّ قال : كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن عليّ . حين خرج قال : فقال له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية : ما تقول في زيد ، هو خير أم جعفر عليه السلام ؟! قال سليمان : قلتُ : والله ليوم من جعفر خير من زيد أيّام الدنيا . قال : فحرّك دابّته وأتى زيداً وقصّ عليه القصّة . قال : ومضيت نحوه فانتهيت إلى زيد وهو يقول : جعفر إمامنا في الحلال والحرام .

إلى أن قال : ومنها ما رواه في «الأمالي» [أمالي الصدوق] بسنده إلى ابن أبي عمير : عن حمزة بن حمران قال : دخلتُ على الصادق عليه السلام فقال : من أين أقبلتَ ؟ فقلتُ : من الكوفة . فبكى حتّى بلّت دموعه لحيته . فقلتُ له : يابن رسول الله ! ما لك أكثرتَ من البكاء ؟! فقال : ذكرتُ عمّي زيداً وما صُنع به فبكيت . فقلتُ : وما الذي ذكرتَ منه ؟! قال : مقتله ، وقد أصاب جبينه سهم فجاء ابنه يحيى فانكبّ عليه وقال له : أبشر يا أبتاه ، فإنّك ترد على رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، قال : أجل ، يا بُنيّ . ثمّ دعا بحدّاد فنزع السهم من جبينه ، فكانت نفسه معه . فجيء به

إلى ساقية تجري إلى بستان زائدة ، فحُفر له فيها ودُفن وأُجري عليه الماء ، وكان معهم غلام سنديّ . فذهب إلى يوسف بن عمر لعنه الله من الغد فأخبره بدفنهم إيّاه . فأخرجه يوسف وصلبه في الكناسة أربع سنين . ثمّ أمر به فأُحرق بالنار وذُري في الرياح . فلعن الله قاتله وخاذله ! إلى الله جلّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيّه بعد موته وبه نستعين على عدوّنا وهو خير مستعان .

٣٠٩) إلى أن قال : ودلّ غيره من الأخبار بأنّه خرج غضباً للّه وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ودعوةً إلى الرضا من آل محمّد . وروي في «كشف الغمّة» عن «دلائل» الحميريّ ، عن جابر قال : سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول : لا يخرج على هشام أحد إلّا قتله . فقلنا لزيد هذه المقالة . فقال : إنّي شهدتُ هشاماً ورسول الله صلّى الله عليه وآله يُسَبّ عنده ، فلم ينكر ذلك ولم يغيّره . فو الله لو لم يكن إلّا أنا وآخر لخرجت عليه .

إلى أن قال : بقي الإشكال من وجه آخر ، وهو أنّه إذا كان يعتقد بإمامة الصادقين . عليهما السلام ، فما هذه الفتاوى الغريبة ، بل الموافق أكثرها للعامّة ؟ قال الفاضل المجلسيّ رحمه الله : والغالب من أخباره الموافقة للعامّة فهي إمّا التقيّة من زيد أو لكذب الحسين بن علوان وعمرو بن خالد عليه ــ (انتهى) .

وقال المحقّق الوحيد البهبهانيّ رحمه الله بعد نقله : لعلّ الأظهر الأوّل لعدم تمكّن أهل البيت عليهم السلام من إظهار الحقّ إلى أن اشتغل بنو أُميّة ببني العبّاس وزيد ، وإن كان حين خروجه لا يتّقي ، لكن لعلّه ما كان يرى المصلحة أو صدرت الروايات عنه قبله ، لكن يظهر من الأخبار أنّ مثل عبد الله بن الحسن وغيره من أهل البيت ما كان مطّلعاً على حقّ حكم الله في جميع المسائل ، وليس ذلك ببعيد أيضاً . ولعلّه لأبعد في كون زيداً أيضاً كذلك . قال المامقانيّ رحمه الله : ما ذكره لا يخلو من وجه إلّا ما يظهر منه من إفتاء زيد بما لا يعلم ، فإنّ ذلك في غاية البعد . إلى آخر حديثه حول هذا الموضوع .

* ــ قال المامقانيّ في الهامش : الرصافة هذه هي رصافة هشام بن عبد الملك ، وهي غير رصافة أبي جعفر المنصور .

٣١٠) تنقيح المقال» ج ١ ، مقتطف ممّا ورد في ص ٤٦٧ إلى . ٤٧١

٣١١) الآية ٤٨ ، من السورة ٥٢ : الطور : وَاصْبِرْ ... .

٣١٢) في النسخة البدل : ويحيفونهم (بالحاء المهملة) من حيفَ بمعنى ظَلَمَ وَجَارَ .

٣١٣) الآية ٣٣ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٣١٤) الآيتان ٥٥ و٥٦ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٣١٥) الإقبال» للسيّد ابن طاووس ، ص ٥٧٨ إلى ٥٨١ ، أعمال شهر محرّم ، أعما ل يوم عاشوراء .

٣١٦) الإقبال» ص ٥٨٢ و٥٨٣ ، أعمال يوم عاشوراء .

٣١٧) قال السيّد نعمة الله الجزائريّ في شرح الصحيفة السجّاديّة : «نور الأنوار» ص ١٧ ، الطبعة الحجريّة : أرسل إليهم الدوانيقيّ فقيّدوهم وحملوهم في محامل لا وطاء لها وأوقفوهم بالمصلّى لكي يشتمهم الناس . فكفّ الناس عنهم ورقّوا لحالهم . ثمّ لمّا أُتي بهم إلى باب المسجد الباب الذي يقال له باب جبرئيل أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام وعامّة ردائه مطروحة بالأرض ، ثمّ أطلع من باب المسجد فقال : لعنكم الله يا معاشر الأنصار ــ ثلاثاً ــ ما على هذا عاهدتم رسول الله صلّى الله عليه وآله ولا بايعتموه . أما والله إن كنتُ حريصاً ولكنّني غُلِبْتُ وليس للقضاء مدفع . ثمّ إنّه دخل بيته فحُمّ عشرين ليلةً لم يزل يبكي فيها الليل والنهار حتّى خيف عليه . ولو لم يكن إلّا بكاؤه عليه السلام لكان كافياً في عدم جواز تناول أعراضهم باللعن والسبّ .

٣١٨) نقرأ في شرح الصحيفة السجّاديّة المسمّى «نور الأنوار» ص ٧ و٨ ، الطبعة الحجريّة ، حديثاً لافتاً للنظر أدلى به المحدّث السيّد نعمة الله الجزائريّ رحمه الله حول محمّد وإبراهيم . قال : محمّد وإبراهيم . روى الكلينيّ حديثاً طويلاً . وفيه أنّ الصادق عليه السلام منعهما من الخروج أشدّ المنع . ومنه استدلّ بعض المعاصرين على أنّهما ملعونان مطرودان من رحمة الله سبحانه . وحمل التشبيه المذكور فيما سيأتي من قوله : إنّي لَأَعْلَمُ أَنّكُمَا سَتَخْرُجَانِ كَمَا خَرَجَ ، على مطلق الخروج والقتل ، لا في الحقيقة . فإنّ زيداً محقّ قطعاً . وهو غير جيّد ، لأنّه إن أراد الحقيقة في الواقع ، فهما وزيد سواء لورود النهي بالنسبة إليهم جميعاً . وإن أرادها بالنسبة إلى الاعتقاد ، فكذلك أيضاً ، فإنّه لم يخرج أحد من هؤلاء إلّا لطلب ثأر الحسين عليه السلام ، أو لرفع تسلّط الظلمة عن بني هاشم ، أو ليكون خليفة وحاكماً . ولا ريب أنّهم أحقّ من بني أُميّة بها نظراً إلى الواقع والاعتقاد ، وإن كان أصلها لغيرهم وهم المعصومون منهم عليهم السلام . نعم يفرّق بينهما وبين زيد بإيذائهما للإمام عليه السلام وعدم إيذاء زيد له . وقد عرفتَ الجواب عنه !

وقال في ص ٥ : وأمّا غير زيد من أصحاب الخروج كيحيى ومحمّد وإبراهيم فقد استشكل أصحابنا حالهم لما صدر منهم من الإضرار بالإمام عليه السلام . والحقّ أنّ بكاءه عليهم بعد قتلهم وتأسّفه عليهم عند أسرهم ممّا يرفعان الإشكال عن حالهم .

وأيّ فرد من أفراد الشيعة لم يصدر منه الإضرار بالإمام ولو لم يكن إلّا بارتكابنا للمعاصي فإنّه من أشدّ الضرر على طباعهم المباركة ، لكن شفقتهم علينا توجب الصفح عن مثله . كيف لا وقد رُوي أنّ الله تعالى غضب على الشيعة بإفشائهم أسرار الأئمّة وأراد أن يستأصلهم بالعذاب ، فأخبر موسى الكاظم عليه السلام بأنّي مستأصل شيعتك

هذه السنة . فقال عليه السلام : يا ربّ ! أُحبّ أن أفدي شيعتي بنفسي ويبقون هم على الأرض .

فإذا كان هذا حالهم مع الأجانب ، فكيف مع أولادهم وأقاربهم ؟! مع أنّ خروجهم إنّما كان بعد أن هُتكت حرمتهم ونُهبت أموالهم وسُبيت ذراريهم ولقّبوهم بالخوارج ، وقالوا لهم : لو كان جدّكم على الحقّ ، لما فعل بكم ما ترون !ومثل هذا يوجب أعمال الغيرة من أراذل الناس ، فكيف من بني هاشم ؟ مع أنّه روي عن الرضا عليه السلام صريحاً النهي عن تناول عِرض العبّاس بن موسى الكاظم عليه السلام ، مع أنّه صدر منه بالنسبة إلى أخيه الرضا عليه السلام ، وإلى أُمّ أحمد زوجة أبيه من الأذيّة والاستخفاف ما لم يصدر من غيره . فتكلّم بعض علمائنا في أعراضهم جرأة على ذرّيّة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام .

٣١٩) قال في «رياض السالكين» ص ١٥ و ١٦ ، طبعة سنة ١٣٣٤ ، وفي طبعة جماعة المدرّسين : ج ١ ، ص ١١٦ إلى ١١٩ : محمّد وإبراهيم ابنا عبد الله المذكوران هما الخارجان على أبي جعفر المنصور . قال الشهرستانيّ في كتاب «الملل والنحل» : كان يحيى بن زيد قد فوّض الأمر إليهما فخرجا بالمدينة ، ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما فقُتِلا ــ (انتهى) . أمّا محمّد فيلقّب بالنفس الزكيّة ، ويُكنّى أبا عبد الله ، وقيل : أبا القاسم . وكان تمتاماً ، أحول ، بين كتفيه خال أسود كالبيضة . ولُقّب بالمهديّ للحديث المشهور عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ المهديّ من ولدي ، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . حُكي أنّ المنصور أخذ بركابه ذات يوم فقيل له : من هذا الذي تفعل به هذا ؟! فقال للسائل : ويحك ! هذا مهديّنا أهل البيت ! هذا محمّد بن عبد الله ! وتطلّعت إليه نفوس بني هاشم وعظّموه . وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم في جماعة من بني هاشم . فلمّا بويع لبني العبّاس واستبدّوا بالأمر ، اختفى محمّد وإبراهيم مدّة خلافة السفّاح . فلمّا مَلَكَ المنصور ، علم أنّهما على عزم الخروج . فجدّ في طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما . فيُحكى أنّهما أتيا أباهما وهو في الحبس في زيّ بدويّين ، فقالا له : يُقْتَلُ رجلان من آل محمّد خيرٌ مِن أن يُقْتَلُ ثمانية . فقال لهما : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين !

روى ثقة الإسلام في كتاب «الروضة» عن معلّى بن خنيس قال : كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام ، إذ أقبل محمّد بن عبد الله ، فرقّ له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عيناه ، فقلتُ له : لقد رأيتك صنعتَ به ما لم تكن تصنع ! فقال : رققتُ له ، لأنّه ينسب لأمرٍ ليس له ، لم أجده في كتاب عليّ عليه السلام من خلفاء هذه الأُمّة ولا من ملوكها ــ (انتهى) . وكان أقبح ما صنعه محمّد لمّا ظهر بالمدينة أن دعا الصادق عليه السلام إلى

بيعته ، فأبى عليه إباءً شديداً ، فأمر بحبسه واصطفى ما له وما كان له ولقومه ممّن لم يخرج معه ، فلم يمهله الله حتّى قُتِل صاغراً .

وروى من جملة حديث عن الباقر عليه السلام أنّه قال في صفته : الأحولُ مشؤومُ قومِهِ مِن آلِ الحَسَنِ يَدْعُو إلى نَفْسِهِ قد تسمّى بغير اسمه . ولمّا عزم على الخروج واعد أخاه إبراهيم على الخروج في يوم واحد . فذهب إبراهيم إلى البصرة ، واتّفق أنّه مرض فخرج محمّد بالمدينة . فلمّا أيل (برئ) إبراهيم من مرضه ، أتاه خبر أخيه أنّه قُتل . وكان المنصور قد أرسل لقتال محمّد ، عيسى بن موسى بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس في جيش كثيف . فحاربهم محمّد خارج المدينة وتفرّق أصحابه عنه حتّى بقي وحده . فلمّا أحسّ الخذلان ، دخل داره وأمر بالتنّور فسجّر ، ثمّ عمد إلى الدفتر الذي أثبت فيه أسماء من بايعه فألقاه في التنّور فاحترق . ثمّ خرج فقاتل حتّى قُتل بأحجار الزيت . وكان ذلك على ما يزعمون مصداق تلقيبه بالنفس الزكيّة ، لما رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : يُقْتَلُ بأحجار الزيت مِن وُلدي نفسٌ زكيّة . وكان قتله سنة ١٤٥ في شهر رمضان . وقيل : في الخامس والعشرين من رجب ، وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وهذا أشهر ، لأنّه ولد سنة مائة بلا خلاف .

وأمّا إبراهيم ، فيُكنّى أبا الحسن . كان شديد الأيد والقوّة ، وكان متفنّناً في كثير من العلوم . قيل : كان يرى مذهب الاعتزال . وكان ظهوره بالبصرة ليلة الاثنين غرّة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة . وبايعه وجوه الناس ، وتلقّب بأمير المؤمنين ، وعظم شأنه وأحبّ الناس ولايته وارتضوا سيرته . وكان أبو حنيفة قد أفتى الناس بالخروج معه ، وكتب إليه : أمّا بعد ! فإنّي جهّزت إليك أربعة آلاف درهم ولم يكن عندي غيرها . ولولا أمانات للناس عندي ، لَلَحقت بك ! فإذا لقيتَ القوم وظفرتَ بهم فافعل كما فعل أبوك في أهل صفّين ! اقتُل مدبرهم ! وأجهز على جريحهم ! ولا تفعل كما فعل في أهل الجمل ، فإنّ القوم لهم فئة (جماعة متظاهرة يرجع بعضها إلى بعض في التعاضد والتعاون) .

ويقال : إنّ هذا الكتاب وقع إلى المنصور ، فكان سبب تغيّره على أبي حنيفة . ولمّا بلغ المنصور خروج إبراهيم ، ندب عيسى بن موسى من المدينة إلى قتاله . وسار إبراهيم من البصرة حتّى التقيا بباخمرى ، قرية قريبة من الكوفة ، فنشبت الحرب بينهم ، وانهزم عسكر عيسى بن موسى . فنادى إبراهيم : لا يتبعنّ أحد منهزماً . فعاد أصحابه ، فظنّ أصحاب عيسى أنّهم انهزموا ، فكرّوا عليهم فقتلوه وقتلوا أصحابه إلّا قليلاً . ولمّا اتّصل بالمنصور انهزام عسكره ، قلق قلقاً عظيماً . ثمّ جاءه بعد ذلك خبر الظفر وجيء برأس إبراهيم فوُضع في طست بين يديه . فلمّا نظر إليه قال : وددت أنّه فاء إلى طاعتي

. وكان قتله لخمس بقين من ذي القعدة ، وقيل : في ذي الحجّة سنة خمس وأربعين ومائة ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، والله أعلم .

٣٢٠) قال المامقانيّ في الهامش : قال في «القاموس» : كرخايا شرب يفيض الماء إليه من عمود نهر عيسى .

٣٢١) تنقيح المقال» ج ١ ، ص . ٤٧١

٣٢٢) نقل السيّد علي خان المدنيّ في «رياض السالكين» ص ٨ و٩ ، الطبعة الحجريّة الرحليّة ، سنة ١٣٣٤ ، وفي الطبعة الحديثة لجماعة المدرّسين : ج ١ ، ص ٧٣ إلى ٧٥ ، كلام الشيخ المفيد حول زيد بن عليّ عليهما السلام ، ثمّ قال : وقال أهل التأريخ : كان السبب في خروجه وخلعه طاعة بني مروان أنّه وفد على هشام بن عبد الملك شاكياً من خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم ، أمير المدينة فجعل هشام لا يأذن له . وزيد يرفع إليه القصص . وكلّما رفع إليه قصّة ، كتب هشام في أسفلها ! ارْجِعْ إلى أرضك ! فيقول زيد : والله لا أرجع إلى ابن الحرث أبداً . ثمّ أذِن له بعد حبس طويل . فلمّا قعد بين يديه ، قال له هشام : بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها ! ولستَ هناك لأنّك ابن أمة ، فقال زيد : إنّ لك جواباً ! قال : تكلّم . قال : إنّه ليس أحد أولى بالله من نبيّ بعثه ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو ابن أمة قد اختاره الله لنبوّته ، وأخرج منه خَيْرَ البَشَرِ ، فقال هشام : فما يصنع أخوك البقرة ؟ فغضب زيد حتّى كاد يخرج من إهابه . ثمّ قال : سمّاه رسول الله الباقر وتسمّيه أنت البقرة ! لشدّ ما اختلفتما ! ولتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنّة وترد النار . فقال هشام : خذوا بِيَدِ هذا الأحمق المائق (شديد الغيظ والغضب) فأخرجوه ! فأُخرج زيد وأُشخص إلى المدينة ومعه نفر يسير حتّى طردوه عن حدود الشام . فلمّا فارقوه عدل إلى العراق ودخل الكوفة . فبايعه أكثر أهلها ، والعامل عليها وعلى العراق يوسف بن عمر الثقفيّ فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ . وخذل أهل الكوفة زيداً وثبت معه ممّن بايعه نفر يسير ، وأبلى بنفسه بلاءً حسناً وجاهد جهاداً عظيماً حتّى أتاه سهم غرب فأصاب جانب جبهته اليُسرى فثبت في دماغه ، فحين نزع عنه مات . وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ، وله اثنان وأربعون سنة ، ثمّ صُلب جسده الشريف بكناسة الكوفة أربعة أعوام ، فسدّت العنكبوت على عورته . وبُعث برأسه إلى المدينة ونُصب عند قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله يوماً وليلة . وعن جرير بن أبي حازم قال : رأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله في المنام كان مستنداً إلى خشبة زيد بن عليّ وهو يقول : هكذا تفعلون بولدي ؟! ولمّا هلك هشام ، وولّي بعده الوليد بن يزيد ، كتب إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد ، فإذا أتاك كتابي فاعمد إلى عجل أهل العراق فَحرّقه ثُمّ انْسِفْهُ فِي اليَمّ نَسْفاً ! فأنزله وحرّقه ثمّ ذرّاه في الهواء . ولمّا قال الحكم بن عبّاس الكلبيّ :

صَلَبْنا لَكُمْ زَيْداً عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ
وَلَمْ أَرَ مَهْدِيّاً عَلَى الجِذْعِ يُصْلَبُ

فبلغ قوله الصادق عليه السلام ، رفع يديه إلى السماء وهما ترعشان فقال : اللَهُمّ إن كان عبدُكَ كاذِباً فَسَلّطْ عليه كَلْبَكَ ! فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة فافترسه الأسد واتّصل خبره بالصادق عليه السلام فخرّ ساجداً وقال : الحمُد للّهِ الذي أنجز لنا ما وَعدنَا .*

* ــ «بحار الأنوار» ج ٤٦ ، ص . ١٩٢

٣٢٣) قال أحمد أمين المصريّ في «فجر الإسلام» ص ٢٧٢ : فالزيديّة أتباع زيد بن حسن* بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب . ومذهبهم أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى السنّة . ولعلّ هذا راجع إلى أنّ زيداً إمام الزيديّة تتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة وأخذ عنه كثيراً من تعاليمه . فزيد يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل . فقال : كان عليّ بن أبي طالب أفضل من أبي بكر ، وعمر ، ولكن مع هذا إمامة أبي بكر وعمر صحيحة .

وقال أيضاً في كتاب «ظهر الإسلام» ج ٤ ، ص ١٠٩ : ومن أشدّ الخصومات ما كان بين المعتزلة والروافض لما رُوي من أنّ جماعة كثيرة جاءت زيد بن عليّ لتبايعه ، وألحّوا عليه في قبول البيعة ومحاربة بني مروان . فلمّا أراد زيد أن يجاهر بالأمر ، جاء إليه بعض رؤسائهم وقالوا له : ما قولك في أبي بكر وعمر ؟! قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما . ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلّا خيراً ، وأشدّ ما أقول : إنّا كُنّا أحَقّ بِسُلْطَانِ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلّمَ مِنَ النّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَإنّ القَوْمَ استَأْثَرُوا عَلَيْنَا وَدَفَعُونَا عَنْهُ . وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْراً . قَدْ وَلّوْا فَعَدَلُوا فِي النّاسِ وَعَمِلُوا بِالكِتَابِ وَالسّنّةِ . فلم تعجبهم هذه الأجوبة . فنكثوا عن البيعة له ورفضوه . فقال زيد : رَفَضْتُمُونِي فِي أَشَدّ سَاعَاتِ الحَاجَةِ ! فسُمّوا بالروافض عند ذلك . وقد يُسَمّون بالرافضة أيضاً وهو اسم مكروه .

وهناك طوائف غير الرافضة بعضهم أكثر غلوّاً ، وبعضهم أكثر اعتدالاً ، ومن أعدلهم الزيديّة . كذلك من أعدلهم من جَمَعَ بين الشيعة والاعتزال ــ انتهى كلام أحمد أمين . وأقول : إنّ ما نُسب إلى زيد ــ تبعاً لبعض المؤرّخين ــ ترحّمه على الشيخين ، وعدم براءته منهما ، وجواز إمامتهما مع وجود من هو أفضل منهما خلاف صريح لمذهب الشيعة وأهل البيت ، وزيد خرّيج مدرسة أهل البيت عليهم السلام فلا يمكن أن يخالفهم أبداً . ومن المحتمل أنّ كلامه في تلك المعركة كان من منطلق التقيّة . وإذا قال البعض : لاتقيّة عند الخروج بالسيف ، فجوابه : كان خروجه على بني مروان ، لا على الشيخين . ولعلّ كثيراً من جنده كانوا يتولّونهما . فإنكاره لهما وبراءته منهما في تلك الظروف الحسّاسة يغايران العقل والاحتياط . وكان زيد بن عليّ أحد الاثنين اللذين رويا

«الصحيفة السجّاديّة» . وفي ضوء كلام ابنه يحيى ، كان يقرأ «الصحيفة» ، وكان من الملتزمين بقراءة أدعيتها . ونقرأ في الدعاء الثامن والأربعين الخاصّ بعيد الأضحى ويوم الجمعة أنّ الإمام عليه السلام يدخل ميدان الجدال في مقام الردّ على الخلفاء الأُوَل وغصبهم الخلافة فيقول : اللَّهُمّ إنّ هَذَا المَقَامِ لِخُلَفَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ وَمَوَاضِعِ أُمَنَائِكَ فِي الدّرَجَةِ الرّفِيعَةِ الّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدِ ابْتَزّوهَا ، وَأَنْتَ المُقَدّرُ لِذَلِكَ ، لَا يُغَالَبُ أَمْرُكَ وَلَا يُجَاوَزُ المَحْتُومُ مِنْ تَدْبِيرِكَ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنّى شِئْتَ ، وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ غَيْرُ مُتّهَمٍ عَلَى خَلْقِكَ وَلَا لِإِرَادَتِكَ حَتّى عَادَ صَفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزّينَ ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدّلاً ، وَكِتَابَكَ مَنْبُوذاً ، وَفَرَائِضَكَ مُحَرّفَةً عَنْ جِهَاتِ أَشْرَاعِكَ ، وَسُنَنَ نَبِيّكَ مَتْرُوكَةً .

* ــ (حسن) زائدة . وزيد هو نجل الإمام زين العابدين عليه السلام بلا فصل .

٣٢٤) تنقيح المقال» ج ١ ، ص ٤٦٧ إلى . ٤٧١ ذكر ترجمة زيد بن عليّ عليه السلام مفصّلاً ، ونقلنا عنه استنتاجه ، وملخّص مقاله هو في آخر ص . ٤٦٩

٣٢٥) الصحيفة الثالثة السجّاديّة» ص ٢ إلى ٥ ، منشورات مكتبة الثقلين : القرآن والعترة ، عيد الغدير . ١٤٠٠

٣٢٦) الصحيفة الخامسة السجّاديّة» ص ١٣ و١٤ ، تحت عنوان الخامس من المقدّمات التي أوردها في البداية ، ومجموعها تسع ، مطبعة الفيحاء في دمشق .

٣٢٧) جاء في «منتهى الآمال» ج ٢ ، ص ٢١٧ و٢١٨ ، طبعة علميّة إسلاميّة ، من القطع الرحليّ ، ما تعريبه : والدته أُمّ ولد اسمها سبيكة ، وسمّاها الإمام الرضا عليه السلام خيزران ، وكانت من أهل النوبة ومن قبيلة مارية القبطيّة أُمّ إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليهوآله . وكانت أفضل نساء زمانها . وأشار إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله بقوله : بِأَبِي ابنُ خِيَرَةَ الإِمَاءِ النّوْبِيّةِ الطّيّبَةِ .

٣٢٨) الآية ٤٢ ، من السورة ٥٣ : النجم .

٣٢٩) منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٩ إلى ٢٠٣ ، طبعة علميّة إسلاميّة ، القطع الرحليّ .

٣٣٠) الغدير» ج ٣ ، ص ٢٧١ إلى . ٢٧٣

٣٣١) ذكر ابن شهرآشوب في الجزء الثاني ، ص ٧٦ من مناقبه المطبوعة طبعة حجريّة ، أنّ عمر تزوّج أُمّ كلثوم . ونقل عن كتاب «الإمامة» لأبي محمّد النوبختيّ أنّها كانت صغيرة ، وأنّ عمر مات قبل أن يدخل بها . فتزوّجها عون بن جعفر ، ثمّ محمّد بن جعفر ، ثمّ عبد الله ابن جعفر . ونقل المحدّث القمّيّ في «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٣٥ ، الطبعة الحجريّة الرحليّة ، طبعة علميّة إسلاميّة ، زواج عمر بها دون دخول ، وموت عمر ، نقلاً عن «مناقب ابن شهرآشوب» ، عن النوبختيّ . وروى الكلينيّ في «فروع الكافي» ج ٥ ، ص ٣٤٦ ، باب تزويج أُمّ كلثوم ، بسنده المتّصل عن الإمام

الصادق عليه السلام أنّه قال : إِنّ ذَلِكَ فَرْجٌ غُصِبْنَاهُ . وكذلك روى عنه عليه السلام أنّه لمّا خطب عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ابنته ، قال له أمير المؤمنين عليه السلام : إنّهَا صَبيّةٌ . فلقى عمر العبّاس فقال له : مَا لِي ؟! أَبِيَ بَأْسٌ ؟! فقال له العبّاس : وما ذاك ؟! فقال عمر : خَطَبْتُ إِلَى ابْنِ أَخِيكَ فَرَدّنِي . أَمَا لَأُعَوّرَنّ زَمْزَمَ ، وَلَا أَدَعُ لَكُمْ مَكْرُمَةً إِلّا هَدَمْتُهَا ، وَلَأُقِيمَنّ عَلَيْهِ شَاهِدَينِ بِأَنّهُ سَرَقَ ، وَلَأُقَطّعَنّ يَمِينَهُ . فَأتاه العبّاس فأخبره ، وسأله أن يجعل الأمر إليه ، فجعله إليه .

٣٣٢) قال ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» ج ٤ ، ص ٤٦٨ : أُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب ، أُمّها فاطمة ابنة النبيّ . إنّ عمر خطب إلى عليّ ابنته أُمّ كلثوم ، فذكر له صغرها . فقيل له : إنّه ردّك فعاوده . فقال له عليّ : أبعث بها إليك ، فإن رضيت فهي امرأتك . فأرسل بها إليه ، فكشف عن ساقها ، فقالت : مَهْ ! لَوْلَا أَنّكَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ لَلَطَمْتُ عَيْنَيْكَ !

قال الزبير : ولدت لعمر ابنيه : زيداً ورقيّة . وماتت أُمّ كلثوم وولدها في يومٍ واحد . أُصيب زيد في حربٍ كانت بين بني عديّ ، فخرج ليُصلح بينهم ، فشجّه رجل وهو لا يعرفه في الظلمة ، فعاش أيّاماً ، وكانت أُمّه مريضة فماتا في يومٍ واحد . وقال بعد شرح له في ص ٤٦٩ : إنّ عمر خطب أُمّ كلثوم إلى عليّ عليه السلام ، فقال له عليّ : إنّما حَبَسْتُ بناتي على بني جعفر ! فقال عمر : زَوّجنيها ! فوالله ما على ظهر الأرضِ رَجُلٌ يَرْصُد من كرامتها ما أَرْصُدُ ! فقال عليّ : قد فَعَلْتُ . فجاء عمر إلى المهاجرين ، فقال : رَفّؤوني ،١ فَرَفّؤُوهُ . فقالوا : بمن تزوّجت ؟! قال : ابنة عليّ . إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : كُلّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ سَيُقطعُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلّا نَسَبِي وَسَبَبِي ، وَكُنتُ قَدْ صَاهَرتُ فَأَحْبَبْتُ هَذَا أَيضَاً .٢ ومن طريق عطاء الخراسانيّ أنّ عمر أمهرها أربعين ألفاً . وأخرج بسندٍ صحيح أنّ ابن عمر صلّى على أُمّ كلثوم ، وابنها زيد . فجعله ممّا يليه وكبّر أربعاً .

هذا هو ما ذكره ابن حجر في «الإصابة» ، وذكر ابن عبد البرّ مثله في كتاب «الاستيعاب» ، في ذيل الصفحة والجزء المذكورين من «الإصابة» ، إلى أن قال : جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : بعثتني إلى شيخ سوءٍ ! فقال : يَا بُنَيّة إِنّهُ زَوْجُكِ !

فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأوّلون فجلس إليهم ، فقال لهم : رَفّؤُنِي ! فقالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوّجتُ أُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب . ثمّ قرأ عليهم الرواية ، وفيها كلمة الصهر مضافة إلى النسب والسبب . وقال أيضاً : إنّ عمر بن الخطّاب تزوّج أُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب على مهر أربعين ألفاً .

وقال ابن كثير الدمشقيّ :أبو الفداء في تأريخه «البداية والنهاية» ج ٧ ، ص ٨١ : قال الواقديّ : وفيها (في سنة ١٧ ه) تزوّج عمر بأُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب ، من

فاطمة ابنة رسول الله . ودخل بها في ذي القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها ، وأنّه أمهرها أربعين ألفاً . وقال في ص ١٣٩ : قال المدائنيّ : وكان قد خطب أُمّ كلثوم ابنة أبي بكر وهي صغيرة ، وراسل فيها عائشة . فقالت : لا حاجة لي فيه . فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين (عمر) ؟ فقالت : نَعَمْ ! إنّه خشن العيش . فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص ، فصدّه عنها ، ودلّه على أُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب ، ومن فاطمة ابنة رسول الله ، وقال : تعلّق منها بسبب من رسول الله ! فخطبها من عليّ ، فزوّجه إيّاها ، فأصدقها عمر أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقيّة .

٣٣٣) إلى أن قال : وخطب أُمّ أبان ابنة عُتبة بن شَيبة . فكرهته ، وقالت : يُغْلِقُ بَابَهُ وَيَمْنَعُ خَيْرَهُ ، وَيَدْخُلُ عَابِساً وَيَخْرُجُ عَابِساً . وقال الطبريّ في «تاريخ الأُمم والملوك» ج ٣ ، ص ٢٧٠ ، طبعة القاهرة ١٣٥٧ ه : تزوّج عمر أُمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب وأُمّها فاطمة ابنة رسول الله . وأصدقها فيما قيل أربعين ألفاً ،٣ فولدت له زيداً ورقيّة .

قال المدائنيّ : وخطب عمر أُمّ كلثوم ابنة أبي بكر وهي صغيرة ، وأرسل فيها إلى عائشة . فقالت : الأمر إليك . فقالت أُمّ كلثوم : لا حاجة لي فيه ! قالت لها عائشة : ترغبين عن أمير المؤمنين (عمر) ؟! قالت : نعم ! إنّهُ خَشِنُ العَيْشِ شَدِيدٌ عَلَى النّسَاءِ . فأرسلت إلى عمرو بن العاص ، فأخبرته ، فقال : أكفيك ! فأتى عمر ، فقال : يَا أَميرِ المؤمِنِينَ بَلَغَنِي خَبرٌ أُعِيذُكَ بِاللَهِ مِنْهُ !

قال عمر : ما هو ؟! قال عمرو بن العاص : خطبتَ أُمّ كلثوم ابنة أبي بكر ؟! قال : نَعَمْ ! أَفَرَغِبْتَ بِي عَنْهَا أَمْ رَغِبْتَ بِهَا عَنّي ؟!

قال عمرو بن العاص : لَا وَاحِدَةٌ وَلَكِنّهَا حَدَثَةٌ نَشَأْتُ تَحْتَ كَنَفِ أُمّ المُؤْمِنِينَ فِي لِينٍ وَرِفْقٍ ، وَفِيكَ غِلْظَةٌ وَنَحْنُ نَهَابُكَ وَمَا نَقْدِرُ أَنْ نَرُدّكَ عَنْ خُلُقٍ مِنْ أَخْلَاقِكَ فَكَيْفَ بِهَا إِنْ خَالَفَتْكَ فِي شَيءٍ فَسَطَوْتَ بِهَا كُنْتَ قَدْ خَلَفْتَ أَبَا بَكْرٍ فِي وُلْدِهِ بِغَيْرِ مَا يَحِقّ عَلَيْكَ !

قال عمر : فكيف لي بعائشة وقد كلّمتُها فيها ؟! فقال عمرو بن العاص : أَنا لَكَ بِهَا وَأَدُلّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْهَا : أُمّ كُلثُومِ ابْنَةِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ تَعَلّقُ مِنْهَا بِنَسَبٍ مِنْ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ !

ونقل ابن أبي الحديد عين هذه الرواية عن الطبريّ ، وذلك في «شرح نهج البلاغة» ج ١٢ ، ص ٢٢١ و٢٢٢ ، طبعة مصر .

٣٣٤) وذكر العلّامة الأمينيّ في كتاب «الغدير» ج ٦ ، ص ٩٥ إلى ٩٩ ، في باب نوادر الأثر في علم عمر ، إعلان عمر على المنبر أنّ مهر النساء ينبغي أن لا يزيد على أربعمائة درهم ، وإذا زاد فإنّه يُرجعه إلى بيت المال . ونقل ذلك في تسع صور عن المصادر الوثيقة للعامّة . وقال في ختام كلامه : ولعلّ الخليفة أخذ برأي امرأةٍ أصابت

وتزوّج بأُمّ كلثوم ، وجعل مهرها أربعين ألفاً كما في «تاريخ ابن كثير» ج ٧ ، ص ٨١ و١٣٩ ؛ و«الإصابة» ج ٤ ، ص ٤٩٢ ؛ و«الفتوحات الإسلاميّة» ج ٢ ، ص . ٤٧٢

وسرد عبد الجليل القزوينيّ الرازيّ في كتاب «النقض» المعروف ب «بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض» ص ٢٧٦ إلى ٢٧٩ ، هذه القصّة على لسان المعاندين ، ثمّ ذكر جوابها . ونحن نذكر فيما يأتي أصل الإشكال الذي طرحه السّنّيّ الناصبيّ ، وجواب ذلك الرجل العظيم تتميماً للفائدة حتّى تستبين جوانب القضيّة جيّداً . قال : قوله : ذكر الشريف المرتضى في كتابه أنّ عليّاً عليه السلام أعطى عمرَ ابنتَهُ ، لأنّه كان قد أقسم بهدم حجرة فاطمة على رأسه إن لم يعطها إيّاه . وقال البهريّ : لم يظفر بها عمر ، إذ علم الله تعالى أنّ هذا الزواج لا يصلح . وقال البعض : حرّضت عائشة عمر على ذلك الزواج ، لأنّها كانت ترغب في أن يؤذي عمر عليّاً ، وقالت لعمر : اخطب أُمّ كلثوم ابنة فاطمة ابنة رسول الله على الرغم من عليّ لأنّها في غاية الجمال ، والزهراء غير موجودة عنده فيمتنع من ذلك . ولم يقبل عليّ ، فشكى عمر إلى العبّاس بن عبد المطّلب قائلاً : إذا لم يعطني عليّ ابنته فسأستشهد عليه أنّه زنى . فقال عليّ : من أين تأتي بالشاهد ؟! قال عمر : أنا حاكم ووالٍ ، وإذا حكمتُ فليس لأحد أن يفسخ حكمي . ثمّ أرجمك ! فأخبر عليّ عمّه العبّاس بذلك . فقال العبّاس : يا بن أخي ، أعطه ابنتك فإنّه إذا أراد أن يفعل ما عزم عليه فمن ذا الذي يمنعه ؟! ليست البنت بأعظم وأفضل من الخلافة التي غصبها .

يمنعه ؟! ليست البنت بأعظم وأفضل من الخلافة التي غصبها .

٣٣٥) قال عليّ : أنا لا أرضى أن يتّصل تَيْس بني عَديّ بكبش بني هاشم . فقال العبّاس : إذا لم تعطها فأنا أُعطيها إذ لي عليك وعلى ابنتك ولاية . ولم ترض البنت ، فجاء العبّاس وأخذها وأعطاها عمر وعليّ غير راضٍ .

فلو صحّ ما قاله الخواجة الرافضيّ إنّ عمر زانٍ وغاصب ، وهو عند الرافضيّ مهين ، فقد أُخذت أُمّ كلثوم حراماً ، ووُلد منها زيد حراماً ، وكان العبّاس قوّاداً ، وكان عليّ أقلّ من العنكبوت منزلةً ، وأثبت أن لا حميّة عنده ، كما هو مذهب أهل الرفض ، إذ ينسبونه إلى العجز والنقص والعصيان والمداهنة والنفاق وعدم الكياسة والدهاء . وهو ما يناسب (حيو) الحائك ، و(مدوس) الندّاف ، و(زيرك) الحارس ، و(فَرّخ) الحاجب ، وإسكندر المخنّث ، إذ يأخذون منه ابنته ويُمسكون بها وهو غير راضٍ ، ويرضخ لهم ويقول : أنتم وما تعلمون ، ثمّ يأخذ من عمر المال والصلات والأرزاق . وقال : سئل جعفر الصادق عليه السلام عن هذا الزواج فقال : ذَلِكَ فَرْجٌ غُصِبْناهُ . وليس على وجه الأرض أكذب من الرافضيّ ، ولا رصيد للرافضة إلّا البهتان .

أمّا جواب هذا الفصل الطويل الذي أورده على هذا الوجه فنقول فيه : لا يرى المذهب الشيعيّ أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من النبيّ صلّى الله عليه وآله أو أنّه يساويه في المنزلة أيضاً ! وابنة عليّ عليه السلام ليست أفضل من بنات النبيّ صلّى الله عليه وآله . ويتّفق السنّة على أنّ عمر أفضل من عثمان بن عفّان ولا تنكر الشيعة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله زوّج عثمان ابنتيه . فإذا جاز ذلك وقد تحقّق ، فقد جاز هذا أيضاً . وإذا وُجد نقصان هنا ، فقد كان هناك أيضاً . وإذا كانت فيذلك مصلحة ، ففي هذا مصلحة أيضاً . وزوّج المصطفى صلّى الله عليه وآله ابنتيه بأمر الله تعالى . ولم يكن عليّ عليه السلام أعلم من المصطفى صلّى الله عليه وآله ، حتّى يُقاس هذا الفصل بذلك الفصل . وليعلم هذا المصنّف أنّه قد افترى على هذه الطائفة وكذب عليها . ويضاف إلى هذا الفصل أنّه قد جاء في التواريخ والآثار أنّ المصطفى صلّى الله عليه وآله زوّج ابن أبي لهب ابنته ، وزوّج ربيع بن العاص ابنته الأُخرى لِيُعْلَمَ أنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام جميعاً قد زوّجوا بناتهم لمن هم أقلّ منهم درجةً ، ولم تنقص منزلتهم لذلك . والألفاظ التي استخدمها هذا المصنّف غير المنصف وغير الموثوق به في حقّ عليّ والعبّاس كلّها فسق وكفر وطغيان . وكان عمر والعبّاس وغيرهما يعلمون أنّ الآخرين إذا كانوا قد أسلموا بعد كفرهم فقد كان عليّ عليه السلام مؤمناً منذ البداية . وإذا نُسب الآخرون إلى الكفر والمعصية ، فقد كان عليّ عليه السلام منزّهاً عن المعاصي كلّها بدليل المأثور عن الرسول صلّى الله عليه وآله أنّه قال : إنّي لَا أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ كَافِراً بَعْدَ إِيمَانٍ وَلَا زَانِياً بَعْدَ إِحْصَانٍ . فأمير المؤمنين عليه السلام لم يخش إذا قال عمر شيئاً أو لم يَقُل .

وذلك الكلام لم يقله عمر . وإذا قال تلك الكلمة رغبةً في الاتّصال ، فلا يُستَبْعَدُ منه لأنّه غير معصوم . وإنّ ما تقوّله المصنّف المذكور على الإمام الصادق عليه السلام ، والشريف المرتضى رضي الله عنه والشيعة والإماميّة كثّر الله عددهم ، كلّه كذب وبهتان . فقد كان النكاح بِرِضَا عليّ ، وكان العبّاس مصيباً في وساطته ، وكان عمر محموداً على رغبته . ويعرف العلماء أنّ زواج عثمان بابنة المصطفى صلّى الله عليه وآله كان فخراً لعثمان لا للمصطفى صلّى الله عليه وآله . وكان إلى يوم وفاتها يقول : نِعْمَ الخَتَنُ القَبْرُ . ٤

وإذا كانت ابنة المرتضى عليه السلام زوجةً لعمر ، فذلك فخر لعمر نفسه ، لا لعليّ عليه السلام . وشتّان ما بين بني هاشم وبني عَديّ . وبين الخطّاب وأبي طالب ، وبين عمر وعليّ المرتضى عليه السلام . وإن المصنّف غير الموثوق به يتحمّل وزر تلك الكلمة التي قذف بها الشريف المرتضى والشيعة كذباً والحمد لله رب العالمين .

٣٣٦) أجل ، استبان ممّا ذكرناه أنّ زواج عمر بأُمّ كلثوم أمر تأريخيّ ثابت مسلّم به ولا يمكن إنكاره ،٥ وبعد قتل عمر ، تزوّجت عوناً ثمّ محمّداً ابني جعفر الطيّار . فتحقّق ما كان يريده أمير المؤمنين عليه السلام . وأمّا زواجها الأوّل فقد مرّ تفصيله في تضاعيف الموضوع .

ومن الغرائب مهرها المقدّر بأربعين ألفاً . وهو أمر لا عهد للناس به يومئذٍ . وأمّا رغبة عمر في الفخر بحفيدة رسول الله ، وفي أن يكون له ولد منها مع ما كان عليه من القدرة والإمارة والسلطة ، فهذا أمر لا ريب فيه . ولا ندري ماذا كان يقصده بعمله ذلك ؟ هل كان يريد أن يؤذي أمير المؤمنين عليه السلام ، ويأتي عند المهاجرين ورأسه يقطر ماءً ، فيرفع صوته في المسجد النبويّ بين المحراب والقبر الشريف حيث كان يجلس المهاجرون ، ويقول متباهياً متبختراً : رَفّؤنِي ! رَفّؤنِي !؟ أم أنّه أراد أن ينفّس عن حنقه الدفين الذي اختزنه على فاطمة الزهراء سلام الله عليها عندما عادها وهي مريضة وسلّم عليها فلم تردّ سلامه ومالت بوجهها إلى الجدار ، وأعلنت عن كفره وشركه عمليّاً ، فأراد أن يثأر منها بابنتها الصغيرة نور عينها ، ويبكّت بضعة رسول الله من وحي شيطنته وتعصّبه الجاهليّ ؟ نحن لا نحكم هنا بشيء ، ونترك الحكم إلى المطّلعين على التأريخ . فهو الذي ضغط الباب على ضلع فاطمة بالأمس ، وأجهض جنينها محسناً ، ورماه على الأرض ٦ ففارق الحياة بعد ثلاثة أشهر . أجل ، هذه هي قضايا التأريخ الثابتة . ماذا نفعل فقد ذكرها التأريخ بإتقان وإحكام ؟ إنّ وضع الحبل في عنق عليّ ، وجرّه إلى المسجد من أجل البيعة من قضايا التأريخ المقطوع بها .٧ وهكذا قُدماً وصولاً إلى كربلاء حيث استشهاد إمام الحقّ تحت مخالب فرعون زمانه المشؤوم الذي انتهل من فرعونيّة

ذلك الرجل الخبيث ، وحيث انطلق السهم من السقيفة ، فاستقرّ في عنق عليّ الأصغر في أرض الطفّ ! فهذه كلّها من مسلّمات التأريخ .

٣٣٧) وأمّا قول الإمام الصادق عليه السلام : ذَلِكَ فَرْجٌ غَصَبُوهَا ، فهو صحيح ، أي : أنّ الزواج تمّ بدون إمضاء الأب والبنت ورضاهما ، مع أنّ المراسم الصوريّة والصيغة العرفيّة قد تحقّقت . ولكن لمّا كان من وحي الإكراه ، فلا تترتّب عليه آثار الزواج الحقيقيّ . لقد كان عمل عمر حراماً ، بَيدَ أنّ عمل أُمّ كلثوم لم يكن حراماً . فعملها بالنسبة إليه لم يكن زنا ، ويعدّ أولادها منه أولاد حلال ، لأنّ كلّ عمل يتحقّق بإكراه ، فلا مؤاخذة ولا عذاب عليه في شريعة الإسلام المقدّسة . وتترتّب آثار أولاد الحلال على من ولدوا من امرأةٍ موطوئة بإكراه ، كأولاد الوطء بالشبهة ، المذكورة تفاصيله في الفقه .

وعلى هذا فالروايات التي تدلّ على أنّ أمير المؤمنين زوّج ابنته بوساطة العبّاس مبتنية على الظروف والمصلحة القائمة آنئذٍ . وأنّ ذلك الزواج تمّ من أجل الحؤول دون المفاسد التي قد تترتّب على رفض عمر وعدم الزواج . والروايات التي تدلّ على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يزوّجها عن رضاً قائمة على أساس عدم الميل الباطنيّ وطيب النفس المعبّر عنهما في الخبر بالغصب .

ومن الجدير ذكره أنّ البنات اللائيّ نزوّجهنّ بإكراه ، لا عن طيب خاطرهنّ وخاطر آبائهنّ أو نزوّجهنّ عن حياء ، يصحّ زواجهنّ هذا وتترتّب عليه الآثار المارّ تفصيلها .

١ــ في «الإصابة» و«الاستيعاب» المطبوعين : زفّوني بالزاي المعجمة ! وهذا خطأ لفقدانه المعنى المناسب . والصحيح بالراء المهملة ، من رفأ وتفعيله رَفّأَ . (كما في «الطبقات الكبرى» ج ٨ ، ص ٤٦٣) . وفي «النهاية» لابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، مادّة رفأ : نهى أن يقال للمتزوّج بالرّفاء والبنين . الرّفاء: الالتئام والاتّفاق والبركة والنماء ، من قول العرب : رَفَأْتُ الثّوْبَ رَفْأً . وإنّما نهى عنه كراهية ، لأنّه كان من عادتهم . ولهذا سنّ فيه غيره . وفي «أقرب الموارد» : (رَفَّأَهُ) تَرْفِيئَةً وتَرْفِيئاً : قال له بالرّفاء والبنين ، أي : بالالتئام وجمع الشمل واستيلاد البنين . وهو دعاءٌ للمتأهّل . والباء من قوله : بالرّفاء متعلّقة بمحذوف تقديره لِيَكُن الأمر . وهَنّا بعضهم معرّساً فقال : بالرّفاء والثبات والبنين والبنات . أي : بالالتئام وعدم الطلاق واتّساع الولادة فتشتمل على البنين والبنات .

٣٣٨)٢ــينبغي الالتفات إلى أنّ زواج عمر من أُمّ كلثوم لا يفضي إلى علاقة نسبيّة .

٣ــ جاء في كتاب «المقدّمات لبيان ما في رسوم المدوّنة الكبرى» تأليف أبي الوليد محمّد بن أحمد بن رشد المتوفّى سنة ٥٢٠ ، المشهور بمقدّمات ابن رشد ، طبعة مطبعة السعادة ، ج ١ ، ص ٣٥٨ فما بعدها ، في ذكر الصداق ومقدار المهر : وروى الشعبيّ عنه (عن عمر) أنّه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه . ثمّ قال : لا تُغالوا في صدقات

النساء . فإنّه لا يبلغني عن أحدٍ ساق أكثر من شيء ساقه نبيّ الله صلّى الله عليه وآله ، أو سيق إليه إلّا جعلتُ فضل ذلك في بيت المال . ثمّ نزل فعرضت له امرأة من قريش . فقالت : يا أمير المؤمنين ! كتاب الله أحقّ أن يُتّبع أو قولك ! قال : بلى ، كتاب الله ، لم ذلك ؟ قالت : إنّك نهيت الناس أن يتغالوا في صداق النساء ، والله يقول في كتابه : وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَ هُنّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا . فقال عمر : كُلّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْ عُمَر مرّتين أو ثلاثاً . ثمّ رجع إلى المنبر ، فقال للناس : إنّي كنتُ نهيتكم عن صداق النساء فليفعل رجل في ماله ما شاء . فرجع عمّا كان رآه فيها اجتهاداً نظراً للناس إلى ما قامت به عليه الحجّة . فأباحه للناس واستعمله في نفسه .فأصدق أمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب أربعين ألفاً . وممّا يدلّ على إباحة قليل الصدقة وكثيرها أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أصدق عنه النجاشيّ أُمّ حبيبة لمّا زوّجه إيّاها أربعة آلاف وجهّزها من عنده ، وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حبيبة ، فلم ينكر ذلك من فعله ولا أعطاها هو شيئاً من عنده على ما روى والله أعلم . وزوّج سعيد بن المسيّب ابنته بدرهمين . وقيل : بثلاثة دراهم . وقيل : بأربعة دراهم من عبد الله بن وداعة . وقصّته في إنكاحه إيّاها مشهورة . ولو شاء أن يزوّجها من أهل اليسار والشرف بأربعة آلاف وأضعافها مرّات ، لفعل ، لتنافس الناس فيها ، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

٤ــ في «أقرب الموارد» : وأمّا عند العامّة فختن الرجل زوج ابنته . من هنا ندرك مدى العذاب الذي لاقته ابنة رسول الله من عثمان حتّى عبّر صلّى الله عليه وآله عن القبر بأنّه أفضل ختن حافظ وزوج جيّد لا أذى فيه لبنته .

٣٣٩)٥ــ من الوثائق الدالّة على زواج عمر بأُمّ كلثوم رواية واردة في كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير الجزريّ ، ج ٤ ، ص . ١٢ وفيها قال جويريّة بن أسماء : كان بسر بن أبي أرطاة عند معاوية فنال من عليّ وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضر وأُمّه أُمّ كلثوم ابنة عليّ فعلاه بالعصاه وشجّه ، فقال معاوية لزيد : عمدت إلى شيخ قريش وسيّد أهل الشام فضربتَه ، وأقبل على بسرٍ فقال : تشتم عليّاً وهو جدّه وابن الفاروق على رؤوس الناس أترى أن يصبر على ذلك ؟! فأرضاهما جميعاً .

٦ــ أجمع علماء الإماميّة على أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام عُصِرَتْ بِالبَابِ حَتّى كُسِرَ ضِلْعُهَا وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا وَمَاتَتْ وَفِي عَضُدِهَا كَالدّمْلُج .

قال الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كتاب «جنّة المأوى» ص ١٥٦ :

(فاطمة الزهراء عليها السلام)

طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام والقرن الأوّل مثل كتاب سُليم بن قيس ، ومن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده بل إلى يومنا ، كلّ كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمّة ، وأبيهم الآية الكبرى وأُمّهم الصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم

أجمعين . وكلّ من ترجم لهم وألّف كتاباً فيهم ، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة : إنّها بَعْدَ رِحلةِ أَبِيهَا المُصْطَفَى ضَرَبَ الظّالِمُونَ وَجْهَهَا ، وَلَطَمُوا خَدّهَا ، حَتّى احْمَرّتْ عَيْنُهَا وَتَنَاثَرَ قُرْطُهَا وَعُصِرَتْ بِالبَابِ حَتّى كُسِرَ ضِلْعُهَا ، وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا ، وَمَاتَتْ وَقِي عَضُدِهَا كَالدّمْلُجِ .

ثمّ أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ، ونظموها في أشعارهم ومراثيهم وأرسلوها إرسال المسلّمات : من الكُميت ، والسيّد الحميريّ ، ودِعبل الخُزاعيّ ، والنّميريّ ، والسّلاميّ ، وديك الجنّ ومن بعدهم ومن قبلهم إلى هذا العصر .

وتوسّع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الذي نحن فيه ، كالخطّيّ ، والكعبيّ ، والكوازين ، وآل السيّد مهدي الحلّيّين ، وغيرهم ممّن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم .

٧ــ تحدّثتُ في هذا الموضوع بأسناد تأريخيّة معتبرة وذلك في ج ٢ ، الدرس ٢١ من كتابنا هذا «معرفة الإمام» ، من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة .

٣٤٠) الأغاني» ج ١٦ ، ص ١٤٩ ، طبعة دار الكتب .

٣٤١) موسوعة آل النبيّ» للدكتورة عائشة بنت الشاطئ ، ص . ٨٢٧

٣٤٢) مستدرك نهج البلاغة» تأليف الشيخ هادي كاشف الغطاء ، ص . ١٧٠

٣٤٣) مستدرك نهج البلاغة» ص . ١٧٠ ذكر الشيخ الكلينيّ في «فروع الكافي» ج ٥ ، ص ٥٣٤ و٥٣٥ ، كتاب النكاح ، باب التسليم على النساء ، طبعة مطبعة الحيدريّ ، أربع روايات ، الأُولى : بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تبدؤوا النساءَ بالسلامِ وَلا تدعوهنّ إلى الطعام فإنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : النساءُ عَيّ وَعَوْرَةٌ فَاستروا عيّهنّ بالسكوت واستروا عوراتهنّ بالبيوت .

الثانية : بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال : لَا تُسَلّم عَلَى المرأة .

الثالثة : بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال : كَانَ رَسُولُ اللَهِ صلّى الله عليه وآله يُسلّم على النساء ويردّون عليه ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلّم على النساء وكان يكره أن يسلّم على الشابّة منهنّ ويقول : أتخوّفُ أن يُعجبني صوتُها فيدخل عَلَيّ أكثر ممّا طلبتُ مِنَ الأجرِ .

الرابعة : بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : النساء عَيّ وعورةٌ فاستروا العورات بالبيوت ، واستروا العَيّ بالسكوت . وجاء في الهامش في بيان وتفسير الخبر الأوّل الذي يشبه مضمونه هذا الخبر ، نقلاً عن كتاب «مرآة العقول» للمجلسيّ رحمه الله : العيّ : العجز عن البيان . أي : لا يمكنهنّ التكلّم بما ينبغي في أكثر المواطن . فاسعوا في سكوتهنّ لئلّا يظهر منهنّ ما تكرهونه . فالمراد

بالسكوت سكوتهنّ . ويحتمل أن يكون المراد سكوت الرجال المخاطبين وعدم التكلّم معهنّ لئلّا يتكلّمن بما يؤذيهم . والعورة ما يُستحى منه وينبغي ستره .

٣٤٤) في «أقرب الموارد» : إيْهاً بالكسر للإسكات والكفّ : يقال : إيهاً عنّا أي : كُفّ واسكت . وأيهاً بالفتح : اسم فعل كهَيْهَاتَ .

٣٤٥) الإرشاد» ص ٢٧٢ ، الطبعة الحجريّة .

٣٤٦) روى آية الله الشعرانيّ هذا الموضوع كلّه في هامش ص ١٨٦ من «دمع السجوم» عن ابن حجر العسقلانيّ في «الإصابة» ، عن ابن الكلبيّ النسّابة الذي كان من أكابر الإماميّة ومن معاصري الإمام الصادق عليه السلام .

٣٤٧) الأفحج : من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه . الأجلح : الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه . الأمعر : القليل الشعر .

٣٤٨) من الجدير ذكره أنّ امرئ القيس هذا هو ابن عديّ بن أوس بن جابر ، وهو كلبيّ . وهو غير امرئ القيس المعروف ، إذ إنّ والده هو حجر الكنديّ . ومات قبل البعثة بثمانين سنةً .

٣٤٩) الأغاني» ج ١٦ ، ص ١٤٠ و١٤١ ، طبعة دار الكتب .

٣٥٠) ذكر المرحوم المحدّث القمّيّ في «نفثة المصدور في تجديد أحزان يوم العاشور» ، ص ٢٥ ، قضيّة توجيه الحديد بالجيش .

٣٥١) دمع السجوم» ص . ١٨٦

٣٥٢) يقول : «وضع حرملةُ السهم في القوس فأحدث ضجيجاً بين الملائكة .

عندما انطلق السهمُ من قوسه المشؤوم استقرّ في نحر الطفل مرفرفاً .

لمّا مزّق السهمُ الأليم نحره فإنّه انتهك يد الله (سلالة الإمامة الطاهرة) .

منذ وتّرت السماء قوسها (نزل بلاؤها) لم ير أحد سهماً ضرب هدفين .

أخرج الإمام السهم وقال : اللهمّ احكم بيني وبين هؤلاء الكافرين .

هل هذا البرعم الغضّ من براعم نبيّك أهون عليك من فصيل ناقة ثمود ؟» .

٣٥٣) نفس المهموم» ص ٢١٦ و٢١٧ ؛ «دمع السجوم» ص ١٨٦ و . ١٨٧

وروى المحدّث القمّيّ في «نفس المهموم» ص ٢١٦ و٢١٧ ، وآية الله الشعرانيّ في «دمع السجوم» ص ١٨٦ و١٨٧ ، عن الشيخ المفيد في ذكر مقتل الطفل الرضيع : ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأُتي بابنه عبد الله بن الحسين ، وهو طفل ، فأجلسه في حجره . فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه . قال أبو مخنف : قال عقبة بن بشير الأسديّ : قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام : إنّ لنا فيكم يا بني أسد دماً . قال : قلتُ : فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر ، وما ذلك ؟! قال : أُتي الحسين عليه السلام بصبيّ له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهمٍ فذبحه

. فتلقّى الحسين صلوات الله عليه دمه ، فلمّا ملأ كفّيه صبّه في الأرض ، ثمّ قال : ربّ إنّك حبستَ عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين . وحكى السبط في «التذكرة» عن هشام بن محمّد الكلبيّ قال : لمّا رآهم الحسين عليه السلام مصرّين على قتله أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى : بيني وبينكم كتاب الله وجدّي محمّد رسول الله ! يا قوم بم تستحلّون دمي ؟! فساق الكلام إلى أن قال : فالتفت الحسين عليه السلام فإذا بطفلٍ له يبكي عطشاً . فأخذه على يده وقال : يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل . فرماه رجل منهم بسهمٍ فذبحه ، فجعل الحسين عليه السلام يبكي ويقول : اللهمّ احكم بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا فقتلونا . فنودي من السماء : دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنّة . ثمّ قال : ورماه حصين بن تميم بسهمٍ فوقع في شفتيه ، فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول : اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يُفعل بي وبإخوتي وولدي وأهلي . وقال ابن نما : ثمّ حمله فوضعه مع قتلى أهل بيته . وقال محمّد بن طلحة في «مطالب السئول» نقلاً عن صاحب كتاب «الفتوح» أنّه عليه السلام كان له ولد صغير ، فجاءه سهم فقتله فرمله وحفر له بسيفه وصلّى عليه ودفنه ، وقال هذه الأبيات :

* كَفَرَ القَوْمُ وَقِدْماً رَغَبُوا *

٣٥٤) نفثةالمصدور في تجديد أحزان يوم العاشور» ص ٣٨ و٣٩ ، الطبعة الحجريّة . قال المرحوم المحدّث القمّيّ هنا : وقُبض الحسن المثنّى بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة . وضربت زوجته فاطمة ابنة الحسين عليه السلام على قبره فسطاطاً ، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل إلى سنة . نقل ذلك الشيخ المفيد وكثير من علماء الشيعة والسّنّة . وكان هذا شائعاً بين النساء المحترمات الحانيات .

٣٥٥) نفس المهموم» ص ٢١٤ ؛ و«دمع السجوم» ص . ١٨٤ قال آية الله الشعرانيّ بعد هذه الأبيات : أيّاً كان قائل هذه الأبيات ، الإمام عليه السلام أو شخص آخر أنشدها على لسانه ، فلها مصداق ، إذ إنّ سكينة عمّرت طويلاً وكانت خيرة نساء عصرها . ولم تكن امرأة مثلها في كمال الشرف والأدب والعظمة . وكانت دارها مجمعاً للأُدباء والشعراء ، والجميع ينتظرون منها الإكرام والعطاء ، ويقصدون زيارتها من مدن بعيدة .

٣٥٦) نفس المهموم» ص ١٩٢ و١٩٣ ؛ و«دمع السجوم» ص ١٦٤ و. ١٦٥ ومن الأدلّة على أنّ له زوجة وولداً رواية الشيخ الكلينيّ عن عليّ بن إبراهيم القمّيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ رضي الله عنه ، عن الإمام الرضا عليه السلام قال : سألته عن الرجل يتزوّج المرأة ويتزوّج أُمّ ولد أبيها . فقال : لا بأس بذلك . فقلتُ له : بلغنا عن أبيك أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام تزوّج ابنة الحسن بن عليّ وأُمّ ولد الحسن عليه السلام ، وذلك أنّ رجلاً من أصحابنا سألني أن أسألك عنها . فقال عليه

السلام : ليس هكذا ، إنّما تزوّج عليّ بن الحسين عليه السلام ابنة الحسن عليه السلام وأُمّ ولد لعليّ بن الحسين المقتول عندكم !

ورواه الحميريّ بسند صحيح مثله . وفي الزيارة الطويلة المرويّة عن الثماليّ ، عن الصادق عليه السلام قال في زيارة عليّ بن الحسين المقتول بالطفّ : صَلّى اللَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى عِتْرَتِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَآبَائِكَ وَأَبْنَائِكَ !

٣٥٧) الآية ٣١ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٣٥٨) قال آية الله الشعرانيّ في الهامش (٢) من ص ١٦٠ من «دمع السجوم» : كان عمر بن سعد بن أبي وقّاص من قريش من بني زهرة بن كِلاب ، والإمام عليه السلام من أولاد عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب . فابن سعد كان من قرابة الإمام عليه السلام لكنّه لم يرع حقّ القُربى ، وقطع الرحم .

٣٥٩) الآيتان ٣٣ و٣٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

ونقلنا هذا الكلام عن «الإرشاد» للمفيد حتّى الموضوع الأخير عن «نفس المهموم» ص ١٨٨ و١٨٩ ؛ و«دمع السجوم» ص ١٥٩ إلى . ١٦١

٣٦٠) نفس المهموم» ص ١٨٩ ؛ و«دمع السجوم» ص . ١٦٠

يقول : «أخذ ملك العاشقين وخلّاق المحاسن لحيته الشريفة بيده .

قال متأوّهاً متحسّراً : اللهمّ أنت ترى قد بزر ولدي علي الأكبر إلى الميدان .

وهذا الفتى يشبه المصطفى المختار خَلقاً وخُلقاً وسمتاً» .

٣٦١) على وزن كَتِف للضرورة الشعريّة .

٣٦٢) قال آية الله الشعرانيّ في الهامش الأوّل من ص ١٦١ ، من «دمع السجوم» : نقل المؤلّف (يعني المحدّث القمّيّ) في «نفس المهموم» هامش ص ١٨٩ ، حديثاً عن «مدينة المعاجز» للسيّد البحرانيّ ، عن أبي جعفر الطبريّ ، عن عبيد الله بن الحرّ قال : شهدتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام وقد اشتهى عليه ابنه عليّ الأكبر عنباً في غير أوانه . فضرب بيده إلى سارية المسجد فأخرج له عنباً وموزاً فقال : ما عند الله لأوليائه أكثر . وكلام المحدّث القمّيّ لدفع التعجّب من طلب عليّ الأكبر ماءً وهو يعلم بعدم وجوده ــ انتهى .

أقول : هذا الموضوع دليل واضح على كلامنا وهو أنّ أولياء الله يصبرون ويتحمّلون الشدائد والعطش مختارين ابتغاء مرضاة الله مع إمكان الكرامة والمعجزة ، فيصبح هذا سبباً في علوّ مقامهم .

٣٦٣) وقال محمّد بن أبي طالب في مقتله : وقيل : إنّه عليه السلام قال : يَا بُنَيّ هات لسانكَ فأخذ بلسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه وقال : أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوّك

فإنّي أرجو أنّك لا تُمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً .
(«نفس المهموم» ص ١٨٩ ؛ و«دمع السجوم» ص ١٦١) .

٣٦٤) يقول :

«مضى إلى عسكر العدوّ مسرعاً ولا أدري مَن ذا الذي أخذه وأين ذهب .

الذي أعلمه أنّ بدن روح الأرواح قد تقطّع إرباً كآيات القرآن لمّا مضى نجل ملك العشق إلى الميدان تبعه أبوه مسرعاً خلفه .

كان يمزّق ميمنة العدوّ وميسرته فعلا النداء (الحذر) من نينوى» .

٣٦٥) يقول : «رأى الإمام الحسين جواد عليّ الأكبر مهيضاً وإذا عليّ مجدّل ووقع سرج فرسه .

رأس بلا تاج وفرق مشقوق . فاضت روحه إلى بارئها وقطع منه الأمل .

نزل من سرجه بهيبة وجلالة كنزول النبيّ من معراج الرسالة .

خاطب عصارة روحه العاشقة فقال : على الدنيا بعدك العفا» .

٣٦٦) نفس المهموم» ص ١٨٩ و١٩١ ؛ و«دمع السجوم» ص ١٦١ إلى . ١٦٣

٣٦٧) يقول : «لمّا مضى نجل ملك العشق إلى الميدان تبعه أبوه مسرعاً خلفه . ل

ل فقد قدرته وأُغمي عليه ثمّ احتضن جثمانه الدامي» .

٣٦٨) لم أجد في أيّ من المقاتل حضور ليلى في كربلاء . وقال المحدّث القمّيّ أيضاً في«نفس المهموم» ص ١٩٣ : وأمّا أُمّه عليه السلام هل كانت في كربلاء أم لا ؟ لم أظفر بشيءٍ من ذلك .

٣٦٩) يقول : «لمّا أتوا بشبيه النبيّ خرجت ابنة حيدر من خيمتها .

وخرجت النساء المفجوعات خلف نعشه الطاهر .

وصاحت ليلى الثكلى صيحةً أدهشت بها العقول» .

٣٧٠) يقول :

«وضعت رأسها على ركبتها وقالت : أيّها الممشوق القامة .

أيّها الكوكب المتألّق في برج الشرف ، كيف صرتَ هدفاً لسهم الحوادث ؟

يا من أرى مكانه خالياً في عيني ، قم كي أرى قدّك الممشوق» .

٣٧١) يقول : «لا تجرح قلبي أكثر من هذا يا بنيّ ، ولا تُدهش عقلي يابن ليلى .

أيّها الظبي الجميل المعطّر ، اعلم أنّ قرّة عيني بوجودك .

رحلتَ وأخذتَ منّي الصبر فالدنيا بغيرك خراب أيّها الأكبر .

سافرتَ فاسترحتَ من الغموم وتركتني حليف الآلام في هذه الدنيا» .

٣٧٢) الإبدار : طلع عليه البَدْرُ .

٣٧٣) هذه القصيدة لعليّ بن محمّد بن الحسن بن عبد العزيز الكاتب التّهاميّ الذي اتّخذ الشام وجبل عامل مسكناً له بعد تهامة . وهو من الإماميّة . وننقل فيما يأتي ترجمته اعتماداً على كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» لآية الله السيّدحسن الصدر ، ص ٢١٥ و٢١٦ قال : قال الشيخ الحرّ في «أمل الآمل في علماء جبل عامل» : كان فاضلاً ، عالماً ، شاعراً ، أديباً ، منشئاً ، بليغاً . له ديوان شعر حسن . قال أبو الحسن الباخرزيّ في «دمية القصر» عند ذكره : هو أنّه توّج هامة تهامة بالانتساب إليها ، وطرّز أكمّ الصناعة بالاشتمال عليها . فإنّ مقامه لم يزل بالشام ، حتّى انتقل من جوار بيتها الأجلّة الكرام ، إلى جوار الله ذي الجلال والإكرام ، وله شعر أدقّ من دين الفاسق ، وأرقّ من دمع العاشق . وكانت له همّة في معالي الأُمور ، فسوّل له خلافة الجمهور ، وقصد مصر واستولى على أموالها ، وملك أزمّة عمّالها . ثمّ غدره بعض أصحابه ، حتّى أنّه صار سبباً للظفر به ، وأُودع السجن حتّى مضى لسبيله .

قال المرحوم الصدر : وله مدائح حسنة في أهل البيت تدلّ على حسن عقيدته . وذكره ابن خلّكان وأثنى عليه . وذكر طرفاً من شعره ، وقال : وله ديوان شعر أكثره نُخب . وقال ابن بسّام في «الذخيرة» : كان مشتهراً بالإحسان ، ذرب اللسان ، مخلى بينه وبين ضروب البيان . يدلّ شعره على ورى القدح دلالة برد النسيم على الصّبح ، ويُعرب عن مكانة من العلوم إعراب الدمع بسرّ الهوى المكتوم . وذكره ضياء الدين في «نسمة السّحَر في ذكر من تشيّع وشعر» ، وأجاد في الثناء عليه في ترجمته ، وذكر قصيدته في رثاء ولده الصغير ، المشهورة ، أوّلها :

حُكْمُ المَنِيّةِ فِي البَرِيّةِ جَارِي
مَا هَذِهِ الدّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
وَمُكَلّفُ الأيّامِ ضِدّ طِبَاعِهَا
مُتَطَلّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا
صَفْواً مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ المُسْتَحِيلَ فَإِنّمَا
تَبْنِي الرّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ
إنّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِيّ لِحَرّ ما
ضَمِنَتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ اللّهِ بِي فَعُيُونُهُمْ
فِي جَنّةٍ وَقُلُوبُهمْ فِي نَارِ
يَا كَوْكَباً مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ

وَكَذَاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ الأَسْحَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبّهُ
شَتّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
وَتَلَهّبُ الأَحْشَاءِ شَيّبَ مَفْرَقِي
هَذَا الشّوَاظُ دُخَانُ تِلْكَ النّارِ

آخر كلام السيّد حسن الصدر في «تأسيس الشيعة» . وكما نقل فقد ذكر القاضي ابن خلّكان ترجمته مفصّلاً في تأريخه «وفيّات الأعيان وإنباء أبناء الزمان» وأورد نخباً من أشعاره البديعة والمليحة في ج ٢ ، ص ٥٣ إلى ٥٥ ، طبعة بولاق ، الطبعة الأُولى ؛ وفي طبعة دار صادر بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس : ج ٣ ، ص ٣٧٨ إلى ٣٨١ ، رقم ٤٧١ .

٣٧٤) يقول : «طلعت من الخيمة كطلوع الشمس وكانت لم تر الشمس وجهها . ولحرّ المصيبة كانت تنتف شعرها وتُعول كالفاختة التي ترفع صوتها في كلّ مكان» .

٣٧٥) في «أقرب الموارد» : السليل : الولد .

٣٧٦) الباء حرف جرّ ، ونَيّ في الأصل نَيّئ وعلى وزن سيّد بمعنى اللحم الذي لم ينضج ، وقد أُسقطت الهمزة للتخفيف .

٣٧٧) مجموع المطالب المنقولة عن المحدّث القمّيّ ، منتخبات من «نفس المهموم» ص ١٩١ إلى ١٩٣ ، ومن «دمع السجوم» ص ١٦٣ إلى ١٦٥ .

٣٧٨) نفس المهموم» ص ٢٤ ، عن المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن محمّد بن أبي طالب الموسويّ ضمن بيان رؤياهُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٣٧٩) نفس المهموم» ص ١٢٢ و ١٢٣ .

٣٨٠) منتهى الآمال» ج ١ ، ص ٨٩ ، طبعة علميّة إسلاميّة الرحليّة . وعدّه ثامن صحابيّ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله .

٣٨١) منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٥٦ ، الطبعة السابقة نفسها . وعدّه الرابع والعشرين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام .

٣٨٢) أفضل دليل على هذا الموضوع رواية تدور حول سعد الخير . قال المرحوم المحدّث القمّيّ في كتاب «تحفة الأحباب» ، ص ١١٨ : هو سعد بن عبد الملك من أولاد عبد العزيز بن مروان . وهو الذي كتب إليه الإمام الباقر عليه السلام الرسالة الموجودة في «روضة الكافي» ، وأوّلها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ؛ فَإنّي أُوصيك بتقوى الله فإنّ فيها السلامة مِنَ التلف والغنيمة في المنقلب . ورسالة أُخرى خاطبه فيها بقوله : يا أخي . وفيها قيل : لَا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون أبغض إلى الناس إلى آخرها . روى العلّامة المجلسيّ في «مرآة العقول» عن كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد أنّه

روى بإسناده عن أبي حمزة الثماليّ قال : دخل سعد بن عبد الملك ، وكان أبو جعفر عليه السلام يسمّيه سعد الخير وهو من وُلد عبد العزيز بن مروان ، على أبي جعفر عليه السلام . فبينا ينشج كما تنشج النساء . قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : ما يبكيك يا سعد ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن ؟! فقال له : لَسْتَ مِنْهُم أنتَ أُمَويّ مِنّا أهل البيت . أما سمعتَ قول الله عزّ وجلّ يحكي عن إبراهيم : فَمَن تَبِعَنِى فَإِنّهُ مِنِّى .

وجاء في «رياض السالكين» ص ٢٧ ، طبعة سنة ١٣٢٧ ، وطبعة جماعة المدرّسين : ج ١ ، ص ١٨٥ إلى ١٨٧ ، الأوّل تحت عنوان (تكملة) ، والثاني تحت عنوان (تتمّة) : ما ذكره (الإمام الصادق) عليه السلام في مقدّمة «الصحيفة السجّاديّة» من أنّ الآية أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَتَ اللَهِ كُفْرًا وَأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ١ أُنزلت في بني أُميّة ، وردت به روايات أُخرى من طريق العامّة والخاصّة . أمّا من طريق العامّة فأخرج البخاريّ في تأريخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن عمر بن الخطّاب في قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَتَ اللَهِ كُفْرًا قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة وبنو أُميّة . فأمّا بنو المغيرة فقد كفيتموهم في يوم بدر . وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا حتّى حين . ٢

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبرانيّ في «الأوسط» ، والحاكم وصحّحه ، وابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَتَ اللَهِ كُفْرًا قال : هما الأفجران من قريش : بنو أُميّة وبنو المغيرة . فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر . وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين . ٣ وأخرج ابن مردويه عن عليّ عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية ، قال : بنو أُميّة ، وبنو مخزوم ، رهط أبي جهل . ذكر ذلك كلّه الحافظ السيوطيّ في «الدرّ المنثور» . ٤

وأمّا من طريق الخاصّة : فروى عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن عثمان بن عيسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَتَ اللَهِ كُفْرًا ، قال : نزلت في الأفجرين : بني أُميّة ، وبني المغيرة . فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر . وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين . ثمّ قال : ونحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده ! وبنا يفوز من فاز . ٥

—

١) الآيتان ٢٨ و٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢ إلى ٤) «الدرّ المنثور» ج ٤ ، ص . ١٨٤

٥) «تفسير القمّيّ» ج ١ ، ص . ٣٧١

٣٨٣) نفثة المصدور في تجديد أحزان يوم العاشور» ص ٢٤ و . ٢٥

٣٨٤) الآية ١٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣٨٥) جنّة المأوى» ص ٢١١ إلى . ٢١٣

٣٨٦) قال محقّق هذا الجزء من الطبعة الحديثة والمعلّق عليه السيّد محمّد مهدي الخرسان في هامش ص ١٢٤ من الجزء ٤٦ : وهم جمع كثير من المتقدّمين والمتأخّرين . وحسبك منهم من أعلامنا المتقدّمين : الشيخ المفيد في «الاختصاص» ص ١٩١ ، والإربليّ في «كشف الغمّة» ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، والراونديّ في «الخرايج والجرايح» ص ١٩٥ ، والسيّد المرتضى في أماليه ، ج ١ ، ص ٦٧ إلى ٦٩ ، والشيخ حسين بن عبد الوهاب معاصر المرتضى والرضيّ ومشاركاً لهما في بعض مشايخهما في «عيون المعجزات» ص ٦٣ ، طبعة النجف . أمّا سائر أعلام المسلمين الذين ذكروا ذلك فهم كثير . وإليك طائفة منهم : أبو الفرج وابن الجوزيّ في «صفة الصفوة» ج ٢ ، ص ٥٤ ، والسبكيّ في «طبقات الشافعيّة» ج ١ ، ص ١٥٣ ، وابن العماد الحنبليّ في «شذرات الذهب» ج ١ ، ص ١٤٢ ، واليافعيّ في «مرآة الجنان» ج ١ ، ص ٢٣٩ ، وابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام ، وابن خلّكان في «وفيّات الأعيان» في ترجمة الفرزدق ، وابن طلحة في «مطالب السئول» ص ٧٩ ، طبعة إيران ، وابن الصبّاغ المالكيّ في «الفصول المهمّة» ص ١٩٣ ، طبعة النجف ، وسبط ابن الجوزيّ في «تذكرة الخواصّ» ص ١٨٥ طبعة إيران ، والدميريّ في «حياة الحيوان» مادّة الأسد ، والسيوطيّ في «شرح شواهد المغني» ص ٢٤٩ ، طبعة مصر ، سنة ١٣٢٢ ، والكنجيّ الشافعيّ في «كفاية الطالب» ص ٣٠٣ ، طبعة النجف ، والخطيب التبريزيّ في «شرح ديوان الحماسة» ج ٢ ، ص ٢٨ ، والعينيّ في «شرح الشواهد الكبرى» بهامش «خزانة الأدب» للبغداديّ ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ، والقيروانيّ في «زهر الآداب» ج ١ ، ص ٦٥ ، وابن نباتة المصريّ في «شرح رسالة ابن زيدون» بهامش «الغيث المسجم» للصفديّ ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، وابن كثير الشاميّ في «البداية والنهاية» ج ٩ ، ص . ١٠٨ وقال : وقد روى من طرق ذكرها الصوليّ ، والجريريّ ، وغير واحد ، وابن حجر في «الصواعق المحرقة» ص ١٩٨ ، طبعة مصر ، سنة ١٣٧٥ ، والشبلنجيّ في «نور الأبصار» ص ١٢٩ ، والصاويّ في «ديوان الفرزدق» ج ٢ ، ص ٨٤٨ ، وغيرهم وغيرهم .

٣٨٧) في قوله : (كانت لاؤهُ نَعَمُ) قلب ، والأصل (كانت لاؤه نَعَمْ) . وتُقرأ (نَعَمُ) للضرورة الشعريّة .

٣٨٨) معنى بعض المفردات الواردة في «بحار الأنوار» وغيره :

خيزُران بضمّ الزاي : شجرٌ هنديّ .

نَمى يَنْمِي الرّجُلَ إلى أبيه : نسبه إليه . يُنْمَى إلى ذِروة العِزّ : أي نسب إليه .

الذّرْوة بالضمّ والكسر : المكان المرتفع . أعلا الشّيء . ج ذُرَى وذِرَى .

عرفان راحته منصوب ، لأنّه مفعول لأجله ليُمسكه ، والفاعل : ركن الحطيم .

عَبِقَ ــ عَبَقاً الطّيبُ : انتشرت رائحته . العَبِق : المنتشر .

الأرْوَع : من يعجبك بحسنه ، الشّجاع ، الذّكيّ .

العِرنين : الأنف كلّه أو ما صلب منه .

الشّمم : القُرب والبُعد (ضدّ) ارتفاع قصبة الأنف مع حسنها واستوائها .

الغُرّة : بياض في جبهة الفرس . من الرّجل : وجهه ، وكلّ ما بدا لك من ضوءٍ أو صبحٍ فقد بَدت غُرّته .

انجاب يَنجاب من باب انفعال من مادّة جَوَبَ : السّحاب : انكشف ــ الثّوب انشقّ .

النّبع : شجر تتّخذ منه السهام والقِسِيّ . والنّبعة : واحدة شجرة النّبع . يقال : هو من نبعة كريمة : أي : من أصل كريم .

الخيم : الطبيعة والسّجيّة .

الإغضاء : إدناء الجفون . وأغضى على الشيء : سكت .

الشّيَم بالكسر فالفتح : السجيّة والطبيعة .

استوكف : استقطر .

بَوادر جمع البادرة وهي ما يبدو من حدّتك في الغضب من قول أو فعل .

فُدِحوا أي : أُثقلوا ، لأنّه من أفدحه الدين ، أي : أثقله .

النّقيبة : العقل والطبيعة ــ المشورة . يقال : إنّه ميمون النقيبة . أي : محمود المختبر .

رحب الفناء ، كناية عن الكرم والجود .

الأريب : العاقل .

يُعْتَرَم على صيغة المجهول من العرام بمعنى الشدّة . أي : عاقل إذا أصابته شدّةٌ ومصيبةٌ .

٣٨٩) انقشع : ارتفع واضمحلّ .

الإملاق : المسكنة والفقر .

عَنَى يَعْني عنايةً الأمر فلاناً : أشغله وأهَمّه . وعُنِي به : اشتغل واهتمّ به وأصابه مشقّة بسببه . وفي نسخة المجلسيّ ضبط العماية وهي من العمى وفقدان العين .

الغيث : المطر والسّحاب الذي فيه المطر . الكِلاء : الذي ينبت بماء الغيث ، ج الغيوث .

الأزْمَة : الشدّة والضيق والقحط . أزَمَ الدهر عليه : اشتدّ بصاحبه ، لزمه . الشدّة والضيق : لزمت .

الشرى كعلى : طريق في سلمى كثيرة الأُسد .

احتدم عليه : تحرق ــ النار : التهبت ــ الدم : اشتدّت حمرته حتّى تسودّ .

ثرى ــ ثُراءً وأثرى إثراءً الرجل : كثر ماله ، فهو ثَريّ .

النّدى : المطر ، ويستعار للمطر الكثير .

الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعدٍ وبرق . ج دِيَم وذُيُوم .

٣٩٠) ورد هذان البيتان بتفاوت يسير في اللفظ ، في «ديوان الفرزدق» الذي جمعه كرم البستانيّ ، ج ١ ، ص . ٤٧

ونقل العلّامة الحلّيّ في «منهاج الكرامة» ص ١٦ و١٧ ،طبعة عبد الرحيم ، هذه القصيدة كلّها مع ذيلها .

٣٩١) بحار الأنوار» ج ١١ ، ص ٣٦ و٣٧ ، طبعة الكمبانيّ ، وفي طبعة إسلاميّة : ج ٤٦ ، ص ١٢٤ إلى ١٢٨ ؛ و«مناقب ابن شهرآشوب» ج ٣ ، ص ٢٦٥ إلى ٢٦٧ ، الطبعة الحجريّة ، وفي طبعة المطبعة العلميّة بقُم : ج ٤ ، ص ١٦٩ إلى . ١٧٢

٣٩٢) بحار الأنوار» ج ١١ ، ص ٣٧ ، و : ج ٤٦ ، ص ١٢٨ إلى ١٣٠ ؛ و«اختيار معرفة الرجال» للكشّيّ ، ص ٨٦ ؛ و«الاختصاص» للشيخ المفيد ، ص . ١٩١

٣٩٣) بحار الأنوار» ج ١١ ، ص ٣٧ ، و : ج ٤٦ ، ص ١٢٨ إلى ١٣٠ ؛ و«اختيار معرفة الرجال» ص ٨٦ ؛ و«الاختصاص» ، ص . ١٩١

٣٩٤) بحار الأنوار» ج ١١ ، ص ٣٧ و٣٨ ، طبعة الكمبانيّ ، وفي طبعة المكتبة الإسلاميّة : ج ٤٦ ، ص ١٣٠ و١٣١ ، نقلاً عن «الاختصاص» ص . ١٩١

٣٩٥) ديوان الفرزدق» ج ٢ ، ص ١٧٨ إلى . ١٨١ أوّل قصيدة ميميّة ، طبعة دار صادر ودار بيروت . جمعه كرم البستانيّ ، وطبع سنة ١٣٨٠ ه .

وذكر محقّق كتاب «بحار الأنوار» والمعلّق عليه السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان في الجزء ٤٦ منه ، ص ١٢٧ و١٢٨ ، عند التعليق على قصيدة الفرزدق أنّ عبد الله إسماعيل الصاويّ ، صاحب «دائرة المعارف للأعلام العربيّة» عنى بجمع الديوان وطبعه والتعليق عليه ، لكنّه ذكر في ج ٢ ، ص ٨٤٨حرف الميم ، ستّة أبيات فقط من القصيدة . وهو الذي نقلها عن «تاريخ ابن خلّكان» ، و«الأغاني» ، و«شرح رسالة ابن زيدون» . وذكرها سبط ابن الجوزيّ برواية أبي نعيم وأكملها . ولا أدري ما الذي حدا الصاويّ على هذه الخيانة الأدبيّة فذكر ستّة أبيات فقط وهو ما عليه من العلم والاطّلاع ؟!

٣٩٦) ناسخ التواريخ» ج ٧ ، ص ٣٧٢ فما بعدها ، ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام ، طبعة إسلاميّة من القطع الوزيريّ .

٣٩٧) إذا أردنا أن نعرف أرقام الأبيات التي نقلنا «ناسخ التواريخ» وعددها (٢٩) ، وهي تقلّ عن «بحار الأنوار» ١٢ بيتاً ، فيكفي ــ وفقاً لترقيم الأبيات التي نقلناها هنا عن «بحار الأنوار» ــ أن نحذف الأرقام (١) و(٤) إلى (٨) ، و(٢٨) ، و(٣٧) إلى (٤١) .
«بحار الأنوار» ــ أن نحذف الأرقام (١) و(٤) إلى (٨) ، و(٢٨) ، و(٣٧) إلى (٤١) .